الجزء الاول من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف
﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ﴾
المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمود كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

﴿ طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد اسماعيل ﴾

الجزء الاول من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد اسماعيل »

فهرس الجزء الاول من كتاب العمدة

٠٣ خطبة الكتاب واهداؤه لعلي بن أبي الرجال الكاتب

٠٤ (باب في فضل الشعر)

٠٥ مطلب من احتج للنثر على الشعر بأن القرآن كلام منثور

٠٦ « من فضل الشعر أن الكذب المجمع على قبحه حسن فيه

٠٧ « وفود كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأمناً وانشاده

٠٧ « توقف عمر بن عبد العزيز في اعطاء الشعراء وذكر الاحوص له عطية رسول الله كعبا

٠٨ « اعتذار حسان لعائشة رضى الله عنهما من قوله في الافك

٠٨ « إن لشعراء العرب ذكراً في التوراة

٠٩ « ومن فضائل الشعر عند اليونانيين

(باب في الرد على من يكره الشعر)

٠٩ مطلب ماروي من ذلك من الحديث والآثار الدالة على استحسانه

١٠ « انشاد حسان الشعر في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

١٠ كلام لمعاوية في الشعر وثباته يوم صفين بسبب أبيات لابن الاطنابه

١١ مطلب انكار سعيد بن المسيب وابن سيرين على من كره الشعر

١٢ « في قوله تعالى .. والشعراء يتبعهم الغاوون

١٢ (باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء)

١٢ « فيما يروى لابي بكر من الشعر

١٣ « فيما يروي لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشعر

١٤ « فيما يروي لعثمان وعلي رضى الله عنهما من الشعر

١٤ « فيما يروي للحسن بن علي ومعاوية رضى الله عنهما

١٥ « فيما يروى للحسين بن علي رضي الله عنهما

١٥ « فيما يروى لحمزة والعباس عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٦ « ومن شعر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

١٦ « ومن شعر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

١٦ « فيما يروى لعبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٦ « فيما يروى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله

صحيفه

١٧ « وحسبك من القضاة شريح بن الحارث قاضي عمر بن الخطاب
١٨ « ومن الفقهاء عبيد الله بن عتبة بن مسعود
١٨ « ومن الفقهاء محمد بن ادريس الشافعي صاحب المذهب
١٩ ﴿ باب من رفعه الشعر ومن وضعه ﴾
١٩ « خبر عرابة الاوسي واشتهاره بشعر الشماخ
١٩ « فيمن صنع الشعر فصاحة لا رغبة
٢١ « وممن رفعه الشعر الحارث بن حلزة
٢١ مطلب خبر الاخطل وتطاوله لمكانة شعره عند عبد الملك بن مروان
٢٣ « وممن رفعه الشعر أبو الطيب المتنبي
٢٣ « في ذكر طائفة نطقوا في الشعر بكلمات صارت لهم شهرة
٢٤ مطلب خبر المحلق واشتهاره بشعر الاعشى
٢٥ « خبر بني أنف الناقة واشتهارهم بشعر الحطيئة
٢٦ مطلب وممن وضعه الشعر بنو نمير بكلمة جرير
٢٦ مطلب ومنهم الربيع بن زياد بكلمة لبيد بحضرة النعمان
٢٧ مطلب ومنهم بنو العجلان بكلمة النجاشي
٢٨ ﴿ باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه ﴾
٢٨ مطلب خبر النابغة الجعدي وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة
٢٨ مطلب خبر حسان بن ثابت وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالجنة
٢٨ مطلب خبر تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة والنفر امامهم بشعر الاعشى
٢٩ مطلب اجازة القاضي بن أبي ليلى شهادة أبي دلامة لشعره
٢٩ مطلب خبر محاكمة جرير والحماني الشاعر
٣٠ مطلب فتوى الحسن البصري بشعر الفرزدق
٣٠ مطلب تسمية زهير بقاضي الشعر بيت له من الشعر
﴿ باب شفاعات الشعراء وتحريضهم ﴾
٣٠ مطلب خبر قتيلة بنت النضر وانشادها النبي صلى الله عليه وسلم رثاء أبيها
٣١ مطلب شفاعة علقمة بن عبدة في أخيه عند الحارث بن أبي شمر الغساني
٣١ مطلب خبر أمية بن حرثان مع عمر بن الخطاب بشأن ولده كلاب

صحيفه

٣١ خبر العتابي الشاعر والرشيد وسؤاله ولاية العهد لولده القاسم
٣٢ شفاعة العتابي للواثق عند أبيه المعتصم ان يوليه العهد
٣٣ استعطافه مالك بن طوق لقومه بني تغلب
٣٣ خبر أبي قابوس الشاعر مع الرشيد وشفاعته عنده للفضل بن يحيي
٣٣ خبر استعطاف المتنبي سيف الدولة لبني كلاب
٣٤ خبر استنفار أبي عزة المشركين لقتال النبي صلى الله عليه وسلم
٣٤ خبر إغراء أوس بن حجر النعمان بن المنذر ببني حنيفة
٣٤ خبر اغراء سديف بن ميمون السفاح العباسي بسليمان بن هشام الاموى
٣٥ قتل عبد الله بن علي رجالا من بني أمية بشعر اشبل بن عبد الله
٣٦ تحامل ابن حزم على الاحوص واسقاط الوليد لآل حزم بشعر الاحوص
٣٦ خبر ابراهيم بن المهدي وعبد الملك الزيات
٣٧ (باب احتماء القبائل بشعرائها)
٣٧ فمن حمى قبيلته زياد الاعجم وخبره مع الفرزدق
٣٧ ومنهم الزبير بن وخبره مع ابن الزبعري
٣٨ ومنهم الفرزدق عبد المطلب وخبره مع رجل من بني حرام
٣٨ خبر تحامي الشعراء مهاجاة الاحوص
٣٩ (باب من قال الشعر وطيرته)
٣٩ تفاؤل حسان للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة
٣٩ تفاؤل أبي الشمقمق لخالد بن يزيد
٤٠ تطير أبي الحول على جعفر البرمكي
٤٠ تطير ابن الرومي
٤١ (باب في منافع الشعر ومضاره)
٤١ خبر طفيل الغنوي مع يزيد
٤١ خبر أبي الشمقمق مع جميل بن محفوظ وأبي دهمان
٤٢ خبر مصعب بن الزبير مع أسير من أصحاب المختار
٤٢ خبر ابن شهاب الزهري مع يزيد بن عبد الملك
٤٢ وممن ضره الشعر ابن الرومي

٤٠ ومنهم دعبل بن علي الخزاعي
٤٣ ومنهم والبة بن الحباب
٤٤ ومنهم يزيد بن أم الحكم الثقفي
٤٤ ومنهم الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك
٤٥ ومنهم سديف عند المنصور
٤٥ (باب تعرض الشعراء)
٤٥ استشارة عمر بن الخطاب حسان بن ثابت في أمر النجاشي حين هجا رهط مقبل
٤٦ استشارته اياه أيضاً في هجاء الحطيئة الزبرقان بن بدر
٤٦ خبر معاوية مع الاحنف بن قيس
٤٧ خبر الفرزدق مع نسوة مر بهن
٤٨ خبر الفرزدق مع مضرس الفقعسي
٤٩ (باب التكسب بالشعر والانفة منه)
٥٠ مطلب في ان الشاعر كان أرفع منزلة من الخطيب
٥١ خبر ابن ميادة مع أبي جعفر المنصور
٥٢ مهاجاة ذي الرمة لمروان بن أبي حفصة
٥٤ (باب تنقل الشعر في القبائل)
٥٦ (باب في القدماء والمحدثين)
٥٨ فصل لعبد الكريم في ان الشعر قد يحسن عند قوم دون قوم وفي زمان دون آخر
٥٩ (باب المشاهير من الشعراء)
٦٥ (باب المقلين من الشعراء والمغلبين)
٦٥ فمن المقلين طرفة وعبيد بن الابرص
٦٦ ومنهم علقمة الفحل
٦٦ ومنهم سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
٦٧ وأما المغلبون فمنهم نابغة بني جعدة
٦٠ ومنهم الزبرقان بن بدر والبعيث
٦ ومنهم تميم بن أبي مقبل
٦ ومنهم مغلبي المولدين على جلالته بشار وحبيب

صحيفه

٦٨ ومنهم حبيب

٦٩ (باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الاكفاء)

٦٩ منهم الزبرقان بن بدر مع المخبل السعدي

٦٩ ومنهم الفرزدق مع عمرو بن لجاء

٧٠ ومنهم جرير مع بشار بن برد

٧٠ ومنهم بشار بن برد مع حماد عجرد

٧٠ ومنهم البحتري مع ابن الرومي

٧٠ ومنهم أبو تمام مع مخلد بن بكار الموصلي

٧١ بحث في ان من يحسن المدح هل يحسن الهجاء أم لا

٧٢ (باب في الشعراء والشعر)

٧٢ طبقات الشعراء أربعة

٧٢ بحث في بيان معنى المخضرم

٧٣ طبقات الشعراء في الاجادة

٧٧ (باب حد الشعر وبنيته)

٨٠ (باب في حد اللفظ والمعنى)

٨٣ (باب في المطبوع والمصنوع)

٨٨ (باب في الاوزان)

٨٨ مطلب أول من ألف الاوزان وجمع الاعاريض

٨٨ مطلب اختلاف الناس في القاب الشعر

٩٠ مطلب في الاجزاء التي يتألف الشعر منها

٩٠ مطلب في الزحاف والعلل والعيوب

٩٣ مطلب في ان الخزم ليس عندهم بعيب وأمثلة ذلك

٩٤ مطلب ومن الزحاف في الاوساط الاقعاد

٩٥ مطلب ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء

٩٩ (باب القوافي)

٩٩ مطلب اختلاف الناس في القافية ما هي

١٠١ مطلب فيما يلزم القافية من الحروف والحركات

صحيفه

١٠٨ مطلب فى حصر مايلحق القوافي من الحروف والحركات وتفصيل ذلك
١١٤ (باب التقفية والتصريع)
١١٧ مطلب ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديس
١١٨ مطلب ومن الشعر نوع غريب يسمونه المسمط
١٢١ (باب فى الرجز والقصيد)
١٢٤ (باب في القطع والطوال)
١٢٥ مطلب فى ذكر المشهورين بجودة القطع من المولدين
١٢٦ مطلب فى أول من قصر الشعر وطول الرجز
١٢٦ باب فى البديهة والارتجال
١٢٦ مطلب فى الارتجال ونتف من الاخبار فيه
١٢٨ مطلب فى البديهة وطرف من ذلك
١٢٩ مطلب فيمن وجد نفسه عند احاطة الموت به فأجاد
١٣١ (باب فى آداب الشاعر)
١٣٤ مطلب فى أول شعر اختير لامرئ القيس
١٣٥ مطلب في مماتنة امرئ القيس التوءم اليشكرى وطرف فى الباب من هذا النوع
١٣٦ (باب عمل الشعر وشحذ القريحة له)
١٣٧ مطلب ان للناس ضروبا مختلفة يستدعون بها الشعر وأخبارهم فى ذلك
١٣٩ مطلب في الاوقات التى يحسن للشاعر ان يصنع فيها الشعر
١٤٠ مطلب اختلاف عادات الشعراء في صناعة الشعر
١٤٤ (باب فى المقاطع والمطالع)
١٤٥ (باب المبدأ والخروج والنهاية)
١٤٦ مطلب فى ابتداآت مختارة أوردها تمثيلا
١٤٧ مطلب في ذكر من سقطت قصيدته لسوء المبدأ وطرف من هذا الباب
١٥٠ مطلب فى مذاهب الشعراء في الافتتاح واختلافهم باختلاف الطباع وما يألفون
١٥٦ مطلب فى ابتداآت مختارة لابى تمام
١٥٦ مطلب في الخروج ومذاهب الشعراء فيه
١٥٧ مطلب فيما عيب فيه أبو الطيب من لاستطرادا الى الخروج

صحيفه

١٥٨ مطلب في التخلص من معنى الى معنى وأمثلة في الباب
١٥٩ مطلب في الانتهاء وتعريفه وعاداتهم في ذلك
١٦١ (باب البلاغة)
١٦٧ (باب الايجاز)
١٦٩ (باب البيان)
١٧١ (باب النظم)
١٧٥ (باب المخترع والبديع)
١٧٧ مطلب أول من جمع البديع وألف فيه ابن المعتز
١٧٧ (باب المجاز)
١٨٠ (باب الاستعارة)
١٨٧ (باب التمثيل)
١٨٩ (باب المثل السائر)
١٩٤ (باب التشبيه)
٢٠٦ (باب الاشارة)
٢٠٧ مطلب ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء
٢٠٧ مطلب ومن أنواعها التعريض
٢٠٩ مطلب ومن أنواع الاشارات الكناية
٢٠٩ مطلب ومن أنواعها الرمز
٢١٠ مطلب ومن أخفى الاشارات اللغز
٢١٢ مطلب في ان مبلغ الاشارات أبلغ من مبلغ الصوت
٢١٣ مطلب ومن الاشارات الحذف
٢١٣ مطلب وأما التورية في أشعار العرب
٢١٥ مطلب ومن الكناية اشتقاق الكنية
٢١٥ (باب التتبيع)
٢٢٠ (باب التجنيس)

ترجمة المؤلف

قال صاحب الحلل السندسية في كلامه على القيروان ٠٠ ومن بلغاء القيروان وأبنائها الحسن بن رشيق أحد البلغاء الأفاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة كذا قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمائة وأبوه مملوك رومي من موالى الازد وتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه وملاقاة أهل الادب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها ولم يزل بها الى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازرى رحمه الله واختلف في تاريخ وفاته ٠٠ قال ابن خلكان رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة قال والاول أصح قال وقيل انه توفى ليلة السبت غرة ذى القعدة سنة ست وخمسين ٠٠ ومن شعره

يارب لا أقوى على دفع الاذى وبك استعنت على الضعيف المؤذى

مالى بعثت اليَّ ألف بعوضة وبعثت واحدة الى نمروذ

وكان بينه وبين عبدالله بن أبي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف القيرواني مناقضات ومهاجاة وصنف عدة رسائل في الرد عليه منها رسالة سماها ساجور الكلب ورسالة نجح الطلب ورسالة قطع الانفاس ورسالة نقض الرسالة الشعوذية والقصيدة الدعية والرسالة المنقوضة ورسالة رفع الاشكال ودفع المحال وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة قراضة الذهب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وهو كتاب جيد وغير ذلك ٠٠ قال صاحب الوافي في الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها ٠٠ ومن شعره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله أهلِ الحمد ومستحقه • وصلاته على صفوته من خلقه • محمدٍ خيرته • وعلى أبرار عترته • وسلم تسليما • ﴿ أما بعد ﴾ فان أحق مَن جنى ثمر الألباب • واقتطف زهر الآداب • متنزهاً فى عقول الحكماء • متفكهاً فى أقاويل العلماء • بالغاً بهمته أعلي المراتب • خاطباً لنفسه أسني المطالب • مستقراً فى أرفع ذروة • متمسكا بأوثق عروة • مَن عرف للعلم حقه وفضله • وسلك به طرقه وسبله • وأ كرم فى الله مثواه ونزله • وخص بالقرب ذويه وأهله • فاستوجب من جميل الذكر • وجزيل الذخر • ما هو أزين فى الدنيا وأبقى في الاخرى • كالسيد الامجد • والفذ الاوحد • حسنةِ الدنيا • وعلم العليا • وباني المكارم • وآبى المظالم[1] • رجل الخُطَب • وفارس الكتب • أبى الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب • زعيم الكرم • وواحد الفهم • الذى نال الرياسة • وحاز السياسة • وانفرد بالبسط والقبض • واتحد في الابرام والنقض • عن سعي مشكور • وفضل مشهور • وعلم بالموارد والمصادر • ونظر فى الأوائل والاواخر • وتتبع لآثار مَن سلف • من أهل القدر[2] والشرف • وتقلب فى مجالس الحكم • بين ذوي الأقدار والهمم • الي أن صار نسيج وحده • وقريع دهره • غيرَ مدافع عن ذلك ولا منازع فيه • فالحمد لله الذي اختصه بالجلالة • واستخلصه لشرف الحالة • وقدّمه على المتقدمين في الرتب • وأقام به سوق العلم والأدب • وجعل ذكره باقياً • وجده سامياً • وأيده من النصر والتوفيق • بما فيه رضى الخالق والمخلوق • فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم • وانا أطال الله بقاء السيد محروس النعمة • مرهوب النقمة • موقي فى دنياه ودينه • متنعماً بظنه ويقينه • قليل الانداد • كثير الحساد • وان لم أعلق من العلم الا بحاشية • ولا

(١) ن وداريء المظالم (٢) ن الاخطار

أخذت منه الا في ناحية ، لسوء المكان ، وقلة الامكان ، وَزَمانة الزمان ، وحدوث الحدثان ، قبل أن أعلق بحبل عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته ، فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الادب ، وأحري أن تقبل شهادته ، وتمتثل ارادته ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان من الشعر لحكما وروى لحكمة ، وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم ، مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الابية ، وعز الانفة ، وسلطان القدرة ، ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون ، ويقلون ويكثرون ، قد بوبوه أبواباً مبهمة ، ولقبوه ألقاباً متهمة ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه ، فجمعت أحسن ماقاله كل واحد منهم في كتابه ، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ان شاء الله تعالى ، وعولت في أكثره على قريحة نفسي ، ونتيجة خاطري خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ليؤتى بالامر على وجهه فكل مالم أسنده الى رجل معروف باسمه ، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه ، فهو من ذلك الا أن يكون متداولا بين العلماء لا يختص به واحد منهم دون الآخر وربما نحلته أحد العرب ، وبعض أهل الادب ، تسترا بينهم ، ووقوعاً دونهم ، بعد أن قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع الي أصله ، وبينت الناشيء المبتدىء وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لبس الارتياب به حتى أعرف باطله من حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أسم كتابي هذا باسم السيد زاده الله تعالى سمواً لا كون كجالب التمر الى هجر ومهدى الوشي الى عدن ، لكن تزينا باسمه الشريف وذكره الطيب واستسلاماً بين يدى علمه الطائل ، وادبه الكامل

إن قصَّرت عن غرض رميةٌ أو زلَّ فكرٌ أو نبا خاطرُ
لانـني فيـه على نيَّـةٍ يخبرُ عن باطنها الظاهرُ

ولما عدلت بي الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعني الاجلال من مناسمة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقي الى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصي على تلك المشاهد

العظيمة ، وعلمت أن لا بد لى منه ، ولا غنى لى عنه ، الا ما حجز دونه آنفاً من خدمة ، ولا ، خلد الله ملكه لما غمرنى من فضله وقيدني من احسانه

ومَن وجد الاحسان قيداً تقيدا

نفضت جراب صدري ، وانتقدت كنز معرفتي ، وأيقنت أن صورة الانسان ، فضلة عن القلب واللسان ، وان استحقاقه للفضل ، انما هو من جهة النطق والعقل ، فثاب له نفسى وأهديتها اليه ، ومثلت بها حقيقة بين يديه ، اذ كانت الانفاس منوطة بالانفس ، والمرء لولاهما مَوَات ملق لا خير فيه ولا نفع عنده وأيضاً فان النفس تفوت الحس وانما تدرك بالبصائر لا بالابصار ، والسيد أدام الله عزه أعلم بمعذرتى ، وأقوم بحجتى ، من أن أعرض خزفي على جوهره ، أو أقيسَ وشلي بأبحره ، بل استقيله واسترشده ، واستعفيه واستنجده ، ثم إني لا أظهر حرفاً من كتابي هذا الا عن أمره وبعد اذنه لا كون به أقوى ثقة ، وله أشد مقة ، فان وقع منه بموقع ، وحل من قبوله في موضع ، بلغت الارادات ، ورجوت الزيادات

وازرقُ الفجر يبدو قبل أبيضه وأولُ الغيث قطرٌ ثم ينسكبُ

والا سترته ستر العورة ، وطرحته طرح القُلامة ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ، أسأله حسن التوفيق والهدايه ، وأرغب اليه فى العصمة والكفاية بمنه وقدرته ولطفه ورحمته

باب في فضل الشعر

العرب أفضل الامم ، وحكمتها أشرف الحكم ، كفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، اذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ، إذ لا بد للانسان من ان يكون تولي ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه الى آلة أو معين من جنسه ، وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور ، لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة وردية فاذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحداهما فضل علي الاخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الاترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس و به يشبه اذا كان منثورا لم

يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب . ومن أجله انتخب . وان كان أعلى قدراً وأغلى ثمنا فاذا نظم كان أصون له من الابتذال . وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الاسماع . وتدحرج عن الطباع . ولم تستقر منه الا المفرطة في اللفظ وان كانت أجله . والواحدة من الالف وعسي أن لاتكون أفضله . فان كانت هي اليتيمة المعروفة . والفريدة الموصوفة . فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يعبأ به ولا ينظر اليه . فاذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته . وازدوجت فرائده وبناته . واتخذه اللابس جمالا . والمدخر مالا . فصار قرطة الآذان وقلائد الاعناق . وأماني النفوس . وأكاليل الرؤس . يقلب بالالسن . ويخبأ في القلوب . مصوناً باللب . ممنوعاً من السرقة والغصب . وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً وان الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لان في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور . . وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر أيامها الصالحة . وأوطانها النازحة . وفرسانها الأنجاد . وسمحائها الاجواد . لتهز أنفسها الى الكرم . وتدل أبناءها على حسن الشيم . فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم شعروا به أي فطنوا . . وقيل ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . . ولعل بعض الكتاب المتنصرين للنثر الطاعنين على الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور وان النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقول الله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ويرى أنه قد أبلغ في الحجة . وبلغ في الحاجة . والذي عليه في ذلك أكثر مما له لان الله تعالى انما بعث رسوله أمياً غير شاعر الى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة علي الخلق واعجازاً للمتعاطين وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال الله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك

أعجز الخطباء وليس بخطبة والمرسلين وليس بترسيل واعجازه الشعراء أشد برهاناً ألا تري كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الشعر لما غُلبوا وتبين عجزهم فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه مالا يُلحق والمنثور ليس كذلك فمن ههنا قال الله تبارك وتعالي ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ أي لتقوم عليكم الحجة ويصح قِبَلكم الدليل ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال معناه ما الذى علمناه شعراً وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً •• وقال غيره أراد وما ينبغى له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه أى ليس هو ممن يفعل ذلك لامانته ومشهور صدقه •• ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غضٌ من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفي على أحد •• واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ولا تجد(١) كاتباً يخدم شاعراً وقد عميت عليهم الانباء وانما ذلك لان الشاعر واثق بنفسه مدل بما عنده على الكاتب والملك فهو يطالب مافي أيديهما و يأخذه والكاتب بأي آلة يفضل(٢) الشاعر فيرجو ما فى يده وانما صناعته فضلة عن صناعته على ان يكون كاتب بلاغة •• فأما كاتب الخدمة فى القانون وما شاكله فصانع مستأجر مع انه قد كان لابى تمام والبحترى قهارمة وكتاب • وكان من عميان الشعراء كتاب أزمّة كبشار وأبى على البصير وكان ابن الرومى من أكبر كتاب الدواوين فغلب عليه الشعر لانه غلاّب •• وكما تجد من يمدح السوقة فى الشعراء فكذلك تجد للسوقة كتابا وللتجار الباعة فى زمننا هذا وقبله • ولم أهجم بهذا الرد وأورد هذه الحجة لولا ان السيد أبقاه الله قد جمع النوعين وحاز الفضيلتين فهما نقطتان من بحره ونوارتان من زهره وسيرد فى أضعاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلا على صدق ماقلته ان شاء الله تعالى •• ومن فضل الشعر ان الشاعر يخاطب الملك باسمه وينسبه الى أمه ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقل السوقة فلا ينكر ذلك عليه بل يراه أوكد فى المدح وأعظم اشتهاراً للممدوح كل ذلك حرص علي الشعر ورغبة فيه ولبقائه علي مر الدهور واختلاف العصور والكاتب لا يفعل ذلك الا ان يفعله منظوما غير منثور وهذه مزية ظاهرة وفضل بين •• ومن فضائله ان الكذب الذى اجتمع الناس على قبحه حسن فيه وحسبك ما حسّن الكذب واغتفر له قبحه

(١) ن يجدون (٢) ن يقصد

فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخوه ويحك ان النبي صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خطل وابن ضبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزِّبَعْرَى وهبيرة ابن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر[1] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل من جاء تائبا والا فانج الى نجائك فانه والله قاتلك فضاقت به الارض فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يده صلى الله عليه وسلم ثم قال يارسول الله ان كعب بن زهير قد اتى مستأمنا تائبا أفتؤمنه فآتيك به قال هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك انا كعب بن زهير فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد كعب قصيدته التي أولها

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ — متيَّم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله

أُنبئتُ أن رسولَ الله أوعدني — والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـقرآنِ فيـه مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ فلم — أذنبْ ولو كثرت فيَّ الاقاويلُ

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله وما كان ليوعده على باطل بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم .. وقال العتبي[2] بعشرين ألفاً وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركا بها .. وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الابل قال وقال الاحوص يذكر عمرَ بن عبد العزيز عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقد توقف في عطاء الشعراء

وقبلكَ ما أعطى هُنَيْدَةَ جلة — على الشعر كعباً من سَديس وبازِلِ
رسولُ الالهِ المستضاء بنوره — عليه السلام بالضحي والاصائل

---

(١) ن فصر (٢) ن القتبي

واعتذر حسان بن ثابت من قوله فى الافك بقوله لعائشة رضى الله عنها فى أبيات مدحها بها

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتصبحُ غَرْثَى من لحوم الغوافل

يقول فيها

فان كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتم فلا رفعتْ سوطى الىَّ أناملى

ثم يقول

فان الذى قد قيل ليس بلائط(١) ولكنه قولُ امرئٍ بِىَ ماحلِ

فاعتذر كما تراه مغالطا فى شئ نفذ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد وزعم ان ذلك قول امرئ ماحل أي مكايد فلم يعاقب لما يرون من استخفاف كذب الشاعر وانه يحتج به ولا يحتج عليه . . وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال ماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا فيهم . . حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الاحبار قال له عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة فقال كعب أجد فى التوراة قوماً من ولد اسماعيل أناجيلهم فى صدورهم ينطقون بالحكمة و يضربون الامثال لا نعلمهم الا العرب . . وقيل ليس لاحد من الناس أن يطرى نفسه و يمدحها في غير منافرة الا أن يكون شاعراً فان ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه . . وقال بعضهم وأظنه أبا العباس الناشئ العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات أعلى وهو علم ماغاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس . وأوسط وهو علم الآداب النفيسة التى أظهرها العقل من الاشياء الطبيعية كالاعداد والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون . وأسفل وهو العلم بالاشياء الجزئية والاشخاص الجسمية فوجب اذا كانت العلوم أفضلها مالم يشارك فيه الجسوم ان يكون أفضل الصناعات مالم تشارك فيه الآلات . واذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذى هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة فكان أعظم من الذى هو اعظم أركان الفلسفة والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً . . فان قيل فى الشعر انه سبب التكفف وأخذ الاعراض وما أشبه ذلك لم يلحقه من

---

(١) بلى بقول

ذلك الا ما يلحق المنثور . ومن فضائله أن اليونانيين انما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التي يخشي ذهابها فكيف ظنك بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم . وزعم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذ كلها اللحن ونحن نعلم أن الاوزان قواعد الالحان والاشعار معايير الاوتار لا محالة مع أن صنعة صاحب الالحان واضعة من قدره مستخدمة له نازلة به مسقطة لمروءته . ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه بل تكسبه مهابة العلم وتكسوه جلالة الحكمة . فأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلان هذا متشوق اليه يحب استماع من بحضرته أجمعين بغير آلة ولا معين ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً وليدل علي نفسه و يعلم أنه المتكلم دون غيره وكذلك الخطيب . وصاحب اللحون لا يمكنه القيام لما في حجره كرامة منه على القوم على أن منهم من كان يقوم بالدف والمزهر . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما وقيل لحكمة . فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم وجعل من الشعر حكما لان السحر يخيل الانسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة . وقال رؤبة

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحراً   راويةً مَراً ومَراً شاعرا

فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ويروي أيضاً لقد حسنت بسين مضمومة غير معجمة ونون والتاء مفتوحة

باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه . وقد قال عليه الصلاة والسلام انما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب . وقالت عائشة رضى الله عنها الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخذ الحسن واترك القبيح . ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الشعر ميزان القول ورواه بعضهم الشعر ميزان القوم • وروى ابن عائشة يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به فى بواديها وتسل به الضغائن من بينها وأنشد ابن عائشة قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

قلدتكَ الشعرَ يا سلامة ذافا ... يش والشئ حيث ما جُعلا

والشعرُ يستنزلُ الكريمَ كما ... ينزلُ رعدُ السحابة السَّبَلا

ويروى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت مرَّ الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره فقال مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه اذا أنشده • ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أرغاء كرغاء البكر • فقال حسان دعنى عنك ياعمر فوالله انك لتعلم لقد كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك فما يغير علىّ ذلك فقال عمر صدقت • وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعرى مر مَن قِبَلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الانساب • وقال معاوية رحمه الله يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الادب • وقال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا أبيات عمرو بن الإطنابة

أبتْ لى همتى وأبىَ بلائى ... وأخذي الحمدَ بالثمنِ الربيحِ

وإقحامى على المكروهِ نفسى ... وضربى هامةَ البطلِ المُشيحِ

وقولى كلما جشأتْ وجاشتْ ... مكانكِ تُحمدى أو تستريحى

لأدفعَ عن مآثرَ صالحاتٍ ... وأحمى بعدُ عن عرضٍ صحيحِ

ويروى أن اعرابياً وقف على علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال ان لى اليك

حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك فان أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك فقال له عليّ خط حاجتك في الارض فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابي على الأرض انى فقير فقال عليّ ياقنبر ادفع اليه حلتي الفلانية فلما أخذها مثل بين يديه فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال عليّ ياقنبر اعطه خمسين ديناراً أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلادبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم • وقيل لسعيد بن المسيب ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجمياً • وقال ابن سيرين الشعر كلام عقد بالقوافي فما حسن في الكلام حسن فى الشعر وكذلك ماقبح منه • وسئل في المسجد عن رواية الشعر فى شهر رمضان وقد قال قوم انها تنقض الوضوء فقال

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فأم الناس وقيل بل أنشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

وقال الزبير بن بكار سمعت العمرى يقول روّوا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان و يشجع قلب الجبان و يطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل • وسئل ابن عباس هل الشعر من رفث القول فأنشد

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

وقال انما الرفث عند النساء ثم أحرم للصلاة • وكان ابن عباس يقول اذ قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب • وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً • وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر يقال انها كانت تروى جميع شعر لبيد • وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال لاتدع العرب الشعر حتي تدع الابل الحنين • وكان أبوالسائب المخزومي

على شرفه وجلالته وفضله فى الدين والعلم يقول أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة الموضع الذى تقام فيه الحدود يريد انه لا يستطيع الصبر عنه فيحد فى كل يوم مراراً ولا يتركه . فأما احتجاج من لايفهم وجه الكلام بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط وسوء تأول لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شيء من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عز جل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ماظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان ابن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر أشد علي قريش من نضح النبل . وقال لحسان بن ثابت اهجهم يعني قريشا فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات . فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم علي الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم . وأما قوله عليه الصلاة والسلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً فانما هو في من غلب الشعر علي قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن . والشعر وغيره مما جرى هذه المجرى من شطرنج وغيره سواء . وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين وسأذكر من ذلك طرفا يقتدي به فى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب فى أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه قالوا واسمه عبدالله بن عثمان ويقال عتيق لقب له . قال في غزوة عبيدة بن الحارث رواه ابن اسحاق وغيره

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت أو امر في العشيرة حادث

ترى من لؤي فرقة لا يصدها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الي الحق أدبروا وهروا هرير المحجرات اللواهث

فكم قد متنا فيهم بقرابة وترك التقي شيء لهم غير كارث

فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث

ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الاثائث

فأولي برب الراقصات عشية حراجيج تخدي في السريح الرثائث

كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البئر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ولست اذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ولا يرأف الكفار رأف بن حارث

فأبلغ بني سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغي الشر باحث

فان شعثوا عرضي على سوء رأيهم فاني من أعراضهم غير شاعث

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ويروى للأعور الشني

هون عليك فان الامو ر بكف الاله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس اليه وقد روى لورقة بن نوفل في أبيات

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمانُ اذ تجري الرياحُ له ... والجنُّ والإنسُ فيما بينها ترِد
حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذب ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومن شعره أيضاً رضي الله عنه

توعَّدني كعبٌ ثلاثاً يعدُّها ... ولاشك أن القولَ ماقال لي كعبُ
وما بيَ خوفُ الموتِ اني لميتٌ ... ولكنْ خوفُ الذنبِ يتبعهُ الذنبُ

ومن شعر عثمان بن عفان رضي الله عنه

غنى النفس يغني النفسَ حتى يكفَّها ... وان عضَّها حتى يضرَّ بها الفقرُ
وما عسرةٌ فاصبر لها ان لقيتَها ... بكائنةٍ الاَّ سيتبعها يسرُ

ومن شعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان مجوِّداً ما قاله يوم صِفّين يذكر همدان ونصرهم اياه

ولما رأيتُ الخيلَ ترجمُ بالقنى ... نواصيُها حمرَ النحور دوامي
وأعرضَ نقعٌ في السماء كأنه ... عجاجةُ دَجنٍ ملبس بقتامِ
ونادى ابنُ هندٍ في الكلاع وحمير ... وكندةَ في لخمٍ وحيِّ جذامِ
تيممت همدانَ الذين همُ همُ ... اذا ناب دهرٌ جُنتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصبة ... فوارسُ من همدان غيرُ لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارَها ... وكانوا لدى الهيجا كشربِ مدامِ
فلو كنت بوابا على باب جنةٍ ... لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام

وهو القائل بصفين أيضاً

لمن راية حمراء[1] يخفق ظلُّها ... اذا قلتُ قدمها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى يَردْبها ... حياضَ المنايا تقطرُ الموتَ والدما

فهؤلاء الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم مامنهم الا من قال الشعر . وخامسهم الحسن بن علي رحمه الله وهو القائل وقد خرج على أصحابه مختضبا رواه المبرد

نسوِّدُ أعلاها وتأبى أصولها ... فليت الذي يسودُّ منها هو الأصلُ

ومن شعر معاوية بن أبي سفيان رحمة الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن عبدالرحمن

(١) ن سوداء

المدني قال لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول

ان تناقش يكن نقاشك يا ر ... ب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رؤف ... عن مسيء ذنوبه كالتراب

وروى في غير موضع واحد

فقدت سفاهتي وأزحت غيي ... وفيّ على تحامي اعتراض
على أني أجيب اذا دعتني ... الي حاجاتها الحدق المراض

ومن قوله أيضاً وهو لائق به دال على صحة ناقله .

اذا لم أجد بالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذ كري فعل ماجد ... حباك على حرب العداوة بالسلم

وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فكثير شعرهم مشهور . ومن شعر الحسين بن علي رضى الله عنهما وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله في امرأته

لعمرك إنني لأحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل جل مالي ... وليس للائمي عندي عتاب

وليس من بني عبد المطلب رجالا ونساءً من لم يقل الشعر حاشى النبيّ صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً

عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلى
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا ... مطايا وعقلنا مدي غرض النبل
وقلنا لهم حبل الاله نصيرنا ... وما لكم الا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً ... فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن الا في ثلاثين راكباً ... وهم مائتان بعد واحدة فضل

وأما العباس فكان شاعراً مفلقاً حسن النهدى من ذلك قوله رحمه الله يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا هل أتى عرسي مكرّي وموقفي بوادي حُنين والأسنة تُشرع
وقولي اذا ما النفس جاشت لها قدي وهامٌ تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددتُ الخيلَ وهي مُغيرةٌ بزوراءَ تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسولَ الله في الحرب سبعةً وقد فر مَن قد فر عنه فأقشعوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنه

اذا طارقاتُ الهم ضاجعتِ الفتى واعمل فكرَ الليل والليلُ عاكرُ
وباكرني في حاجة لم يجد بها سواي ولا من نكبة الدهر ناصرُ
فرجتُ بمالي همه من مقامه وزايله همٌ طروقٌ مُسامرُ
وكان له فضلٌ عليَّ بظنه بيَ الخير إني للذي ظنَّ شاكرُ

ومن شعر جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه قوله يوم مؤتة وفيه قتل رحمة الله عليه

يا حبذا الجنةُ واقترابُها طيبةٌ وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابُها عليَّ اذ لاقيتها ضرابها

وشعر أبي سفيان بن الحارث مشهور في الجاهلية والاسلام . فأما أبو طالب ومَن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما القاضي أبو الفضل وهما

وأحورَ مخضوبِ البنان محجبٍ دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلتُ بنفسي عن مقامٍ يشينها فلستُ مريداً ذاك طوعاً ولا كرها

وكانت فاطمة رضي الله عنها تقول الشعر رُويت لها أشياءُ كثيرة . ثم نرجع الى الخلفاء المرضيين . قال عمر بن عبد العزيز رواه الاوزاعي عن محمد بن كعب

أيقظانُ أنت اليومَ أم أنت حالمُ وكيف يطيق النومَ حيرانُ هائمُ
فلو كنت يقظانَ الغداةَ لحرّقتْ جفوناً لعينيك الدموعُ السواجمُ
نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ وليلُك نومٌ والردى لك لازمُ

وتشغلُ فيما سوف تكره غبّهُ كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

ومما أنشده حماد الرواية من شعره

إنه الفؤاد عن الصّبا وعن انقياده للهوى

فلعمرُ ربك إن في شيب المفارق والجلى

لك واعظاً لو كنتَ تـ ـتعظُ اتعاظَ ذوي النهى

حتى متى لا ترعوى والى متى والي متى

بَلِيَ الشبابُ وأنت ان عُمّرتَ رهنٌ للبلي

وكفى بذلك زاجراً للمرء عن غيٍّ كفى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسى في كتابه

ولولا النهي ثم التقي خشيةَ الردا لعاصيتُ في حبِّ الصّبا كلَّ زاجرِ

صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى له صبوةٌ أخرى الليالى الغوابر

ومن قول عبدالله بن الزبير قوله وقدولي الحرمين مدة ودعي بأمير المؤمنين ماشاء الله حتى قتل رحمة الله عليه وقد روى لعبد الله بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء

لاأحسبُ الشرَّ جاراً لايفارقنى ولا أحزُّ على ما فاتنى الوَدجا

وما لقيتُ من المكروهِ منزلةً إلاَّ وثقتُ بأنْ ألقى لها فرَجا

ومن قوله المشهور عنه

وكم من عدوٍّ قد أراد مَساءتى بغيبٍ ولو لاقيتُه لتندما

كثيرِ الخنا حتى اذا ما لقيتُه أصر على اثم وان كان أقسما

وحسبك من القضاة شريحُ بنُ الحارث كان شاعراً مجوّداً وقد استقضاه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كتب الي مؤدب ولده وقد وجده وقت الصلاة يلعب بجرو كلب وأودع الأبياتِ رقعةً وأنفذَها مع ولده مختومةً الى المؤدب

تركَ الصلاةَ لأكلُبٍ يسعَى بها طَلبَ الهراش مع الغُواةِ الرُّجسِ

فليأتينك غدوة بصحيفة كتبت له كصحيفة المتلمس
فاذا هممت بضربه فبدرة واذا بلغت به ثلاثاً فاجلس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه مع ما يجرعنى أعز الأنفس

فهذا شريح وهلم جرا الى حيث شئت ٠٠ ومن الفقهاء عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة ابن مسعود قال فى امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس ورغبوا فيها خاطبين

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الوليد مولعي شهيدى أبو بكر فنعم شهيد
ويعلم وجدي قاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما ألقي سليمان علمه وخارجة يبدي بنا ويعيد
متى تسألي عما أقول تخبري فلله عندي طارف وتليد

هؤلاء الستة الذين ذكرهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ٠ وقاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ٠ وعروة بن الزبير بن العوام ٠ وسعيد بن المسيب ٠ وسليمان بن يسار ٠ وخارجة بن زيد بن ثابت ٠ وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم وهم فقهاء المدينة وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار ٠٠ وقد كان جماعة من أصحاب مالك ابن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ٠٠ والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويت ومحال أن يحرّم الشعرَ من يحل الغناء به ٠٠ وأما محمد بن ادريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً فى الشعر وهو القائل

ومتعب العيس مرتاحاً الى بلد والموت يطلبه فى ذلك البلد
وضاحك والمنايا فوق مفرقه لو كان يعلم غيباً مات من كمد
من كان لم يؤت علماً فى بقاء غد ماذا تفكره فى رزق بعد غد

ومن قوله أيضاً فى غير هذا المعنى

الجدُّ يدني كلَّ شيء شاسع والجدُّ يفتح كل باب مغلق

فاذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى عوداً فأورقَ في يديه فصدق

واذا سمعتَ بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فجف فحقق

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق

ولربما عرضت لنفسي فكرة فأود منها أنني لم أخلق

وهذا باب لو تقصيته لاحتمل كتاباً مفرداً ولكني طبقت المفصل وذكرت بعض المشاهير من الناس

باب من رفعه الشعر ومن وضعه

انما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل مايضع من قدر الشريف الكامل وأنه أسنى مروءة الدني وأدنى مروءة السري لامر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل وظنه مثلبة وهو منقبة وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مدح به مثل مايضع من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر وقد كان أشرف بني ذبيان هذا وانما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم ٠٠ وكاشتهار عرابة الاوسي بشعر الشماخ بن ضرار وقد بذل له في سنة شديدة وسق بعير تمراً فقال

رأيتُ عرابةَ الاوسيَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرين

اذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجد تلقاها عرابةُ باليمين

حتى صار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً لا تبلى جدته ولا تتغير بهجته وقدح ذلك في مروءة الشماخ وحط في قدره لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوي الاقدار ٠٠ فأما مَن صنع الشعر فصاحة ولَسناً وافتخاراً بنفسه وحسبه وتخليداً لمآثر قومه ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ولا مدحاً ولا هجاء كما قال واحد دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله اليه والينا فيه

وجدتُ طريقَ اليأسِ أسهلَ مسلكاً ... وأحري بنجح من طريقِ المطامع
فلستُ بعطرٍ ما حييت أخا ندى ... ولا أنا في عرض البخيل بواقع

فلا نقص عليه في ذلك بل هو زائد في أدبه وشهادة بفضله كما انه نباهة في ذكر الخامل ورفع لقدر الساقط وانما فضل امرؤ القيس وهو من هو لما صنع بطبعه وعلا بسجيته عن غير طمع ولا جزع ‥ حكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معاً علمنا مَن السابق منهم واذ لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة فقيل ومن هو فقال الكندي قيل ولم قال لانى رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة ‥ وقال على بن الجهم في مدح المتوكل

وما الشعرُ ممـا أستظلُّ بظله ... ولازادني قدراً ولاحطَّ من قدري

ثم قال

ولكنَّ احسانَ الخليفة جعفرٍ ... دعاني الى ماقلتُ فيه من الشعر

فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر أى لا يتكسب به وانه لم يزده قدراً لأنه كان نابهَ الذكر قبل عمل الشعر ثم قال ـ ولا حط من قدرى ـ فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر يقول ليس الشعر ضعة فى نفسه ولا صنعته فيمن دون الخليفة وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بازاء الخليفة بل مكافئاً له بشعره علي احسان بدأه الخليفة به ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتديا ‥ وقال الطائى فى هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات على ما كان فيه من الكبر والاعجاب وهو حينئذ الوزير الاكبر

لقد زدتَ أوضاحي امتداداً ولم أكن ... بهيماً ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن أيادٍ صادفتني جسامها ... أغرَّ فوفت في أغرَّ محجلا

فطمح بنفسه الى حيث نري وجعل الغرة من كسبه وهى في الوجه مشهورة والتحجيل من زيادات الممدوح وهو فى القوائم ‥ وقد سبق الي هذا المعنى ابو نخيلة السعدى فقال يمدح مسلمة بن عبد الملك

وأحييتَ من ذكرى وما كان خاملا ... ولكنَّ بعضَ الذكر أنبه من بعض

وقد حكي أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر وغفل أكثر الناس عن السبب وذلك انه كان خليعاً متهتكا شبب بنساء أبيه و بدأ بهذا الشر العظيم واشتغل بالخمر والزنا

عن الملك والرياسة فكان اليه من أبيه ما كان ليس من جهة الشعر لكن من جهة البغي والبطالة .. فهذه العلة وقد جازت كثيراً من الناس ومرت عليهم صلحاً .. وأما تفسير القول الآخر في الاسرى ولدنى فانه اذا بلغت بالدني نفسه وطمحت به همته الى أن يصنع الشعر الذي هو أخو الأدب وتجارة العرب يكافأ به الأيادي ويحل به صدر النادى ويرفع صوته على من فوقه ويزيده في القدر على ما استحقه فقد صار سرياً على أنه القائل فان كان المقول له فذلك أعظم مزية وأشرف خطة ومنزلة واذا انحطت بالسرى همته وقصرت مروءته الى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافأ به الأيادي دون غيره وهو يعلم أنه أبقى من المال وأنفس ذخائر الرجال وانه ان خاطب به من فوقه فقد رضي بالضراعة وان خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة وان خاطب به من دونه سقط جملة ذلك على أن يكون شعره مزحا أو عتابا واما أن يكون هجاء فأبغي لخزيه وأضل لسعيه وسأذكر ممن رفعه أو ممن وضعه ماقال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر الناس لئلا أخلي الكتاب من ذلك وان كنت حريصا على الايجاز والاختصار ..

فممن رفعه ما قال من القدماء الحارث بن حِلِّزة اليشكري وكان أبرص فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته * آذنتنا ببينها أسماء *

وبينه وبينه سبعة حجب فما زال يرفعها حجابا فحجابا لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ثم أدناه وقربه وأمثاله كثيرة .. ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله لم تكن له مانة ولاسابقة في الجاهلية والاسلام الا شعره وقد بلغ من رضى الله عز وجل ورضى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .. ومن الفحول المتأخرين الاخطل واسمه غياث بن غوث وكان نصرانيا من تغلب بلغت به الحال في الشعر الى أن نادم عبد الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخطفي وهو تقي مسلم وقبل أمره بذلك بسبب شعر خايره فيه بين يديه وطول لسانه حتي قال مجاهرا لعنة الله عليه لايستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعا ولستُ بآكلٍ لحم الاضاحي
ولست بزاجرٍ عنسا بكوراً الى بطحاء مكةَ للنجاح

واست مناديا أبداً بليل | كمثل العيرحي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا | وأسجد قبل منبلج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة قريبة حمات من المسامحة في الدين على مثل بانسح والملوك ملوك بزعمهم •• وهجا الانصار ليزيد بن معاوية لماشبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعمته فاطمة بنت أبي سفيان وقل بل بأخته هند بنت معاوية ولولا شعره اقتل دون أقل من ذلك ••وقد رد على جرير أقبح رد وتناول من أعراض المسلمين وأشرافهم مالا ينجو مع مثله علوي فضلا عن نصراني •• ومن المحدثين أبونواس كان نديم الامين محمد بن زبيدة طول خلافته •• ومسلم بن الوليد صريع الغواني اتصل بذي الرياستين ومات على جرجان وكان تولاها على يديه •• والبحتري كان نديماً للمتوكل لا يكاد يفارقه وبحضره قتل المتوكل • وكثير ممن اكتفى بهؤلاء عن ذكره •• وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة الى كافور الاخشيدي فوعده بها وأجابه اليها ثم خافه لما رأي من تحامله وكبره واقتضاه أبو الطيب مراراً وعاتبه فما وجد عنده راحة •• فمن ذلك قوله يقتضيه

وهبت على مقدار كفي زماننا | ونفسي على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية | فجودك يكسوني وشغلك يسلب

•• وقوله يقتضيه أيضا ويعاتبه من قصيدة مشهورة

لنا عند هذا الدهر حق يلطه | وقد قل إعتاب وطال عتاب

ثم قال بعد أبيات

أري لي بقربي منك عينا قريرة | وان كان قربا بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا | ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم | واسكت كيما لايكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة | سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة | ضعيف هوى يبغي عليه ثواب
وما شئت الا أن أدل عواذلي | على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفونى فشرقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا

فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر فنالوا الرتب واتصلوا بالملوك وليس ذلك ببدع للشاعر ولا عجيب منه .. وقد كنت صنعت بين يدى سيدنا عن أمره العالى زاده الله علواً

الشعر شيء حسن ... ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها ... ب الهم عن نفس الشجي
يحكم في لطافة ... حل عقود الحجج
كم نظرة حسنها ... فى وجه عذر سمج
وحرقة بردها ... عن قلب صب منضج
ورحمة أوقعها ... فى قلب قاس حرج
وحاجة يسرها ... عند غزال غنج
وشاعر مطارح ... مغلق باب الفرج
قربه لسانه ... من ملك متوج
فعلموا أولادكم ... عقار طب المهج

وطائفة أخرى نطقوا فى الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها وألقابا يدعون بها فلا ينكرونها ..منهم عائذ الكلب واسمه عبد الله بن مصعب كان والياً علي المدينة للرشيد لقب بذلك لقوله

مالى مرضت فلم يعدنى عائد ... منكم ويمرض كلبكم فأعود

.. والممزق واسمه شاس بن نهار لقب بقوله لعمرو بن هند

فان كنت ما كولا فكن أنت آكلى ... والا فأدركنى ولما أمزق

وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها الى على بن أبي طالب رضى الله عنه .. ولقب مسكين الدارمى واسمه ربيعة من ولد عمر بن عمر ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بقوله

أنا مسكين لمن أبصرنى ... ولمن حاورنى جد نطق

فلما سمى مسكيناً قال

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة ... وانى لمسكين الى الله راغب

وانى امرؤ لا أسأل الناس مالهم ... بشعرى ولا تعمي على المكاسب

وانما هذا لمكان الشعر من قلوب العرب وسرعة ولوجه في آذانهم وتعلقه بأنفسهم .. ومنهم من سمى بلفظة من شعره لشناعتها مثل النابغة الذبيانى واسمه زياد بن عمرو وسمى نابغة لقوله

* فقد نبغت لنا منهم شئون *

وأما الجعدى واسمه قيس بن عبد الله فانما نبغ بالشعر بعد أربعين سنة فسمي نابغة لذلك .. وجران العود سمى بذلك لقوله

عمدت لعود فالتحيت جرانه ... وللكيس خير في الأمور وأنجح

خذا حذراً يا خلتى[1] فانني ... رأيت جران العود قد كاد يصلح

يخاطب امرأتيه وقد فركتاه ونشزتا عليه فلزمه ذا الاسم وذهب اسمه كرهاً .. وكذلك أبو العيال لا يعرف له اسم غير هذا لقوله

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتراً ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة وليسوا من هذا الباب في شيء لأن غلبة هذه الأسماء عليهم ليست شرفا لهم ولا ضعة وانما هى من جهة الشناعة فقط ولكن الكلام شجون .. ومن ههنا عظم الشعر وتهيب أهله خوفا من بيت سائر تحدى به الابل أو لفظة شاردة يضرب بها المثل ورجاء في مثل ذلك فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الخمول والاطراح حتى افتخروا بما كانوا يعيرون به ووضع جماعة من أهل السوابق والاقدار الشريفة حتي عيروا بما كانوا يفتخرون به .. فممن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد الخمول المحلق وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه

(١) ن يا جارتي

مجدود في الشعر مامدح أحداً الا رفعه ولاهجا أحداً الا وضعه وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه وكان في عصابة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرِّقُ وما بي من سُقم وما بي مَعشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله الى أن سمع

نفى الذم عن آل المحلق جفنةٌ كجابية الشيخ العراقي تفهقُ
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل دَرْدَقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نارٍ باليفاعِ تحرّقُ
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندَى والمحلق
رضيعي لبان ثدى أم تحالفا بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق
ترى الجودَ يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رونق

فما أتم القصيدة الا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .. وكذلك بنو أنف الناقة كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى أن الرجل منهم يسأل ممن هو فيقول من بني قريع فيتجاوز جعفراً أنف الناقة ابن قريع بن عوف بن مالك ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب الى أن نقل الحطيئة واسمه جرول بن أوس أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر الى ضيافته وأحسن اليه فقال

سيرى امام فان الاكثرين حصاً ... والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم فى جهارة .. وانما سمي جعفر أنف الناقة لان أباه قسم ناقة جزوراً ونسيه فبعثته أمه ولم يبق الا رأس الناقة فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يجره فسمي بذلك ..

ومثل هاتين القصتين قصة عرابة الاوسى مع الشماخ وقد تقدم ذكرها .. وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب اذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بنى نمير الى أن صنع جرير قصيدته التى هجا بها عبيد بن حصين الراعى فسهر لها وطالت ليلته الى أن قال

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فأطفأ سراجه ونام وقال قد والله أخزيتهم آخر الدهر فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت حتى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير ياجوذاب باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له اذا نبزوك فقل لهم فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا .. ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال غمض والا جاءك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .. ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بنى نمير ماقبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر

* فغض الطرف انك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا — وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدماغة تركت بنى نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر ابن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً الى أبيه هرباً من ذكر نمير وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة .. والربيع بن زياد كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان فرمي بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته

فقام لبيد فقال مرتجلا

يارُبَّ هيجا هي خير من دِعه نحن بنى أمِّ البنينَ الأربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان ، ولمه ، فقال ـ إن استه من برص ملمعه

فقال للنعمان وما علينا من ذلك ، فقال ـ وانه يولج فيها أصبعه

يولجها حتى يوارى أشجعه كأنما يطلب شيئاً أودعه

ويروى أطعمه فرفع النعمان يده عن الطعام وقال ماتقول يار بيع فقال أبيتَ اللعن كذب الغلام فقال لبيد مره فليجب فقال النعمان أجبه يار بيع فقال والله لما تسومنى أنت من الخسف أشدُّ عليَّ مما عضهني به الغلام فحجبه بعد ذلك وسقطت منزلته وأراد الاعتذار فقال النعمان

قد قيل ما قيل إنْ حقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الاضياف الى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال وما قال فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهطَ ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا انه قال

قُبَيِّلةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى من هؤلاء أوقال ليت آل الخطاب كذلك أوكلاماً يشبه هذا قالوا فانه قال

ولا يردون الماء الا عشيةً اذا صدر الورّادُ عن كل منهلِ

فقال عمر ذلك أقل للسكاك يعني الزحام قالوا فانه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر كفي ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه قالوا فانه قال

وما سمي العجلان الا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر كانا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال ما أسمع ذلك فقالوا فاسأل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل انه حده .. وهذه جملة كافية ونبذة مقنعة فيما قصدت اليه من هذا الباب

باب من قضى له الشعر ومن قضي عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها

علونا السماء عفةً وتكرماً وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أين المظهر يا أبا ليلى فقال الجنةُ بك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجل إن شاء الله فقضت له دعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وسبب ذلك شعره .. وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث قوله

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا حسان فلما قال

فان أبي ووالدَه وعرضي لعرض محمد منكم وقاءُ

فقال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .. ولما تنافر عامر بنُ الطفيل وعلقمةُ بن عُلاثةَ أقاما عند هرم بن قطبةَ بن سيار سنة لايقضى لاحدهما على الآخر الي أن قدم الأعشى وكانت لعامر عنده يده فقال شعره

علقم ما أنتَ الي عامر الناقضِ الأوتارِ والواترِ

إن تسد الحوصَ فلم تعدهم وعامرٌ سادَ بني عامر

حكمتموه فقضى بينكم أزهرُ مثلُ القمر الباهر

لا يقبل الرشوةَ في حكمه ولا يبالي غبنَ الخاسر

فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره وكان في رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .. والى هذا وأشباهه أشار أبو تمام الطائى بقوله في صفة الشعر

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ويُقضى بما يقضى به وهو ظالمُ

وكانت لرجل شهادة عند أبي دُلامةَ فدعاه الى تبليغها عند القاضى ابن أبي ليلى فقال له ان شهادتى لا تنفعك عنده فقال الرجل لا بد من شهادتك فشهد عند القاضى وانصرف وهو يقول

اذا الناسُ غطونى تغطيت دونهم وان بحثوا عنى ففيهم مباحثُ

فقطع القاضى على الخصم بشهادة أبي دُلامة وقبض المشهودُ له المال وغرمه القاضى للمشهود عليه تحرجاً من ظلمه .. ويقال انما شهد لطبيب عالج ولده من علةٍ به وأمره أن يدعي على من شاء بألف درهم ففعل الطبيب وشهد أبو دلامة وهذا أشبه بمجونه من الاول .. وذكر العتبي ان رجلا من أهل المدينة ادعي حقا على رجل فدعاه الى ابن حنطب قاضى المدينة فقال من يشهد بما تقول فقال زنقطة فلما ولى قال القاضى ماشهادته له إلاّ كشهادته عليه فلما جاء زُنقطةُ القاضى قال له فداك أبي وأمي أحسنَ والله الشاعر حيث يقول

من الحنطبيينَ الذين وجوههم دنانيرُ مماسيبَ في أرض قيصرا

فأقبل القاضي على الكاتب فقال كبير ورب السماء ماأحسبه شهد الا بالحق فأجز شهادته .. وخاصم جرير بن الخطفي الحمانى الشاعر الى قاضى اليمامة فقال في أبيات رجز بها

أعوذُ بالله العليِّ القهار من ظلم حمان وتحويل الدار

فقال الحمانى مجيباً له

ما لكليبٍ من حمىً ولا دار غيرُ مقام أتُنٍ وأعيار

* قُببِّ البطونِ داميات الأظفار *

ويروى قمس الظهور داميات الأظفار فقال جرير مقام أتُني وأعياري لا أريد غيره وقد اعترف به فقال القاضي هي لجرير وقضى على الحاني بشعره الذي قال ٠٠ وكان الفرزدق يجلس الى الحسن البصري فجاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون في هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج افتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها فقال الفرزدق قد قلت أنا مثل هذا في شعري فقال الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليلٍ أنكحتنا رماحُنا ... حلالاً لمن يبني بها لم تطلق

فقال الحسن صدق تحكم بظاهر قوله وما أظن الفرزدق والله أعلم أراد الجهاد في العدو المخالف للشريعة لكن أراد مذهب الجاهلية في السبايا كأنه يشير الى العزة وشدة البأس ٠٠ وقيل ان عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير

فان الحقَّ مقطعهُ ثلاثٌ ... أداء أو نفار أو جلاء

وسمي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت يقول لا يقطع الحق الا الاداء أو النفار وهو الحكومة أو الجلاء وهو العذر الواضح ويروى يمين أو نفار وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال على أنه جاهلي وقد وكدها الاسلام

باب شفاعات الشعراء وتحريضهم

قال عبد الكريم عرضت قُتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وقد كان قتل أباها فأنشدته

يارا كبَّا أن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسة وأنت موفقُ

أبلغْ به ميتاً بأن قصيدةً ... ما ان تزالُ بها الركائبُ تخفقُ

مني اليه وعبرةً مسفوحةً ... جادت لمائحها وأخرى تخنقُ

فليسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميتٌ لاينطقُ

ظلتْ سيوفُ بني أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هناك تشقق

قسراً يُقاد الى المنية متعباً ... رَسفَ المقيد وهو عانٍ موثقُ

أمحمدٌ ها أنت نجل نجيبة من قومها والفحلُ فحلٌ معرقُ
ما كان ضرك لو مننت وربما منَّ الفتى وهو المغيظُ المحنقُ
والنضر أقرب من قتلت وسيلة وأحقهم إن كان عتقٌ يعتقُ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته •• ولما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء وهو المنذر الأكبر وماء السماء أمه أسر جماعة من أصحابه وكان فيمن أسر شاس بن عبدة في تسعين رجلا من بني تميم وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس وهو معروف بعلقمة الفحل فقصد الحارث ممتدحاً بقصيدته المشهورة التي أولها

طحا بك قلبٌ بالحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَ حان مشيب

فأنشده إياها حتى اذا بلغ الى قوله

الى الحارث الوهاب أعملتُ ناقتي لكلكلها والقُصْريين وجيبُ
اليك أبيتَ اللعن كان وجيفها بمشتبهات هولهن مهيبُ
هداني اليك الفرقدان ولاحبٌ له فوق أعلام المتانِ علوبُ
فلا تحرمني نائلاً عن جنايةٍ فاني امرؤ وسطَ القباب غريبُ
وفي كل حي قد خبطتَ بنعمةٍ فحُقَّ لشاسٍ من نداك ذنوبُ

فقال الحارث نعم وأذنبة وأطلق له شاساً أخاه وجماعة أسرى بني تميم ومَن سأل فيه أو عرفه من غيرهم •• وكان لامية بن حرثان ولد اسمه كلاب هاجر الى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه فقال أمية

سأستعدي على الفاروق رباً له عمدَ الحجيجُ الى سباق
إن الفاروق لم يردُدْ كلاباً على شيخين هامهما زَواقي

فكتب عمر الى أبي موسى الاشعري باشخاص كلاب فما شعر أمية الا به يقرع الباب •• وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والامراء لابنائها وذوى قرابتها فيشفعون بشفاعاتهم وينالون الرتب بهم •• ودخل العماني الشاعر وهو أبو العباس محمد

ابن ذؤيب الفقيمي على الرشيد فأنشده أرجوزة يقول فيها

قل للامام المقتدى بأمه ... ماقاسم دون مدى ابن أمه

* فقد رضيناه فقم فسمه *

فقال الرشيد ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلى فقال له يا أمير المؤمنين ما أردت قيام جسم لكن قيام عزم فأمر الرشيد باحضار القاسم ولده ومر العماني في انشاده يهدر فلما فرغ قال الرشيد للقاسم أما جائزة هذا الشيخ فعليك وقد سألنا أن نوليك العهد فأجبناه .. وشفع الطائي للواثق عند أبيه المعتصم فى أن يوليه العهد فقال

فاشدد بهارون الخلافة انه ... سكن لوحشتها ودار قرار

بفتى بنى العباس والقمر الذى ... حفته أنجم يعرب ونزار

كرم العمومة والخئولة مجه ... سلفا قريش فيه والانصار

هو نوء يمن منكم وسعادة ... وسراج ليل فيكم ونهار

فاقمع شياطين النفاق بمهتد ... ترضى البرية هديه والبارى

ليسير في الآفاق سيرة رأفة ... ويسوسها بسكينة ووقار

فالصين منظوم بأندلس الى ... حيطان رومية فملك ذمار

ولقد علمت بأن ذلك معصم ... ما كنت تتركه بغير سوار

واستعطف مالك بن طوق لقومه بنى تغلب وكانوا أفسدوا في عمله الطرق فخافوه واستشفعوا بأبي تمام فقال فى قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكا

ورأيت قومك والاساءة منهم ... جرحى بظفر للزمان وناب

هم صيروا تلك البروق صواعقا ... فيهم وذاك العفو سوط عذاب

فاقل اسامة جرمها واصفح لها ... عنه وهب ما كان للوهاب

رفدوك فى يوم الكلاب وشققوا ... فيه المزاد بجحفل كلاب

وهم بعين أباغ راشوا للوغى ... سهميك عند الحارث الحراب

وليالى الثرثار والحشاك قد ... جلبوا الجياد لواحق الأقراب

قضت كهولُهم ودبرَ أمرهم أحداثُهم تدبيرَ غير صواب
لا رقةَ الحضر اللطيف غذتهم وتباعدوا عن فطنةِ الأعراب
فاذا كشفتهم وجدتَ لديهم كرمَ النفوس وقلةَ الآداب
لك في رسول الله أعظم إسوة وأجلها في سنةٍ وكتاب
أعطى المؤلفةَ القلوبِ رضاهم كرماً وردَّ أخائذَ الأحزاب

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع فأجزل ثوابه عليها وقبل شفاعته ورد القوم الى رتبتهم ومنزلتهم من بعد اليأس المستحكم والعداوة الشديدة . . وكان أبوقابوس الشاعر رجلا نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً الى البرامكة فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبوقابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحيي

أمين الله هبْ فضل بن يحيي لنفسك أيها الملك الهمام
وما طلبي اليكَ العفوَ عنه وقد قعد الوشاةُ به وقاموا
أرى سبب الرضى عنه قوياً على الله الزيادةُ والتمام
نذرتُ عليَّ فيه صيام شهرٍ فان تم الرضي وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو محاسنَ وجهه ريحٌ قتام
أما والله لولا خوف واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنام
لطفنا حول جزعك واستلمنا كما للناس بالحجر أستلام
وما أبصرتُ قبلك يا بن يحيي حُساماً قدّه السيفُ الحسام
عقابُ خليفةِ الرحمن فخرٌ لمن بالسيف عاقبه الامام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه أحدهما لاشجع السلمى والآخر لسلمان أخي صريع فالناس فيه مختلفون وهذه صحته . . فانظر الى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرثاء . . واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبنى كلاب وقد أغار عليهم فغنم الاموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

فانهم عبيدك حيث كانوا ... اذا تدعو لنائبة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا ... بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم ... وهجر حياتهم لهم عقاب
وماجهلت أياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده دلال ... وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم ... وحل بغير جارمه العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور.. وقد افتخر به البحتري فقال في قصيدة له طويلة

ان أبق (١) أو أهلك فقد نلت التي ... ملأت صدور أقاربي وعداتي
وغنيت ندمان الخلائف نابهاً ... ذكري وناعمة بهم نشواتي
وشفعت في الامر الجليل اليهم ... بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم ... من رفد طلاب وفك عناة

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأسر يوم بدر وجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكي اليه الفقر والعيال فرق له وخلى سبيله بعد أن عاهده الا يعين عليه بشعر فأمسك عنه مدة ثم عاد الى حاله الاولى فأسر يوم أحد فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ثم قتله صبراً وقال لا يلسع المؤمن من جحر مرتين .. وقال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة لان شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني وقال ابن جني انما قتل ابن النعمان

نبئت أن بني حنيفة أدخلوا ... أبياتهم تامور قلب المنذر

ويروى أن بني سحيم. فغزاهم النعمان وقتل فيهم وسبى وأحرق نخلهم ويقال انما أغرى بهم عمرو بن هند .. ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السفاح وعنده سليمان ابن هشام بن عبد الملك وابناه وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له وفي رواية ثالثة ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فأنشده سديف

(١) ن ان اتو

لا يغرنك ما ترى من أناس إنَّ بين الضلوع داءً دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوقَ ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتنى ياشيخ قاتلك الله ونهض أبو العباس فوضع المنديل فى عنق سليمان وقتل من ساعته . . ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بنى أمية وعنده منهم ثمانون رجلا

اقصهمْ أيها الخليفةُ واقطعْ عنك بالسيف شأفةَ الأرجاسِ
ذلُّها أظهرَ التوددَ منها وبها منكم كحزِّ المواسى
ولقد غاظنى وغاظَ سوائى قربُها من نمارقٍ وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الا ه بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدٍ وقتيلا بجانب المهراس
والقتيلَ الذي بحرّانَ أمسى ثاوياً بين غربةٍ وتناسى

فلما سمع بذلك تنكر وأمر بهم فقتلوا والقى عليهم البساط وجلس للغداء وان بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد : حكي ذلك جماعة من المؤلفين واختلفوا فى رواية الشعر وحده فأكثر الروايات موضع البيت الاول

لا تُقيلن عبد شمسٍ عثارا واقطعنْ كل رَقلةٍ وأوَاس

ويروى ــ وغراس ــ و بعضها على مافى النسخة ولا أدرى كيف صحة ذلك وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة اللهم الا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور وأكثر الناس يروى هذه الابيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح غير أن فى الرواية الاولي

نعم شبل الهراس مولاك شبل لو نجا من حبائل الافلاس

وهو يشهد ما روى . . وحكي غيرهم قال دخل العبدي الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين وقد دعى به وعنده من بنى أمية اثنان وثمانون رجلا والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه قال العبدى فاستنشدنى عبد الله بن على فأنشدته قولى

وقف المتيم فى رسوم ديار

وهو مصغ مطرق حتى انتهيت الى قولي

أما الدعاة الى الجنان فهاشم ... وبنو أميـة من دعاة النار

وبنو أمية دوحة (١) ملعونة ... ولهاشم في الناس عود نضار

أأمي ما لكم من قرار فالحقي ... بالجن صاغرة بأرض وبار

ولئن رحلت لترحلن ذميمة ... وكذا المقام بذلة وصغار

قال فرفع الغمر رأسه الي وقال يا بن الزانية ما دعاك الى هذا وضرب عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الارض وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسان فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا وأمر بالغمر فضربت عنقه صبراً .. وكان ابن حزم أميراً على المدينة فتحامل علي الاحوص الشاعر تحاملا شديداً فشخص الى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها فلما بلغ الى قوله كالذى يشتكى ابن حزم وخاله

لا ترثين لحزمي ظفرت به ... يوماً ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... والداخلين علي عثمان في الدار

فقال له الوليد صدقت والله لقد غفلنا (٢) عن حزم وآل حزم ثم كتب عهداً لعثمان بن حيان المري علي المدينة وعزل ابن حزم وأمر باستئصال أموالهم واسقاطهم جميعاً من الديوان .. ولما وثب ابراهيم بن المهدى على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون منها قوله

تذكر أمير المؤمنين قيامه ... بايمانه في الهزل منه وفي الجد

اذا هز أعواد المنابر باسته ... تغنى بليلي أو بعزة أو هند

ووالله ما من توبة نزعت به ... اليك ولا ميل اليك ولا ود

وكيف بمن قد بايع الناس واتقت ... ببيعته الركبان غوراً الى نجد

ومن صك تسليم الخلافة سمعه ... ينادى بها بين السماطين عن بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب في اللحد

---

(١) ن دولة (٢) ن شغلنا

وعرضها على ابراهيم وهو حينئذ خامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله كتمانها واستحلفه على ذلك وأدى مال أبيه دون سائر التجار ومثل ذلك كثير لو تقصى لطال به الكتاب،

باب احتفاء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم .. وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج .. فمن حمى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل وأنا مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مصحاً أراه في أديم الفرزدق

ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوا له من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتقي

فانا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغته الابيات كف عما أراد وقال لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .. وهجا عبد الله بن الزبعرى السهمي بنى قصي فرفعوه برمته الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلقاً شديد العارضة قذع الهجاء فلما وصل عبد الله اليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال

لعمرك ماجاءت بنكر عشيرتي ... وان صالحت اخوانها لا ألومها

فودّ جناة الشرّ أن سيوفنا ... بأيماننا مسلولةٌ لا نشيمها

فان قصيا أهلُ مجد وعزة ... وأهلُ فعال لا يُرام قديمها

هُم منعوا يومى عكاظ نساءنا ... كما منع الشول الهجان قرومُها

وكان الزبير غائباً بالطائف فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر .. قال

فلولا نحن لم يلبس رجالٌ ثيابَ أعزة حتى يموتوا
ثيابُهمُ سمالٌ أو طمارٌ بها وَدكٌ كأدسمِ الحميتْ
ولكنا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت

.. وهجا رجل من بني حرام الفرزدق فجاء به قومه يقودونه اليه فقال الفرزدق

ومن يك خائفاً لأذاة شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام
هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

وهجا الاحوص بن محمد الانصاري رجلا من الانصار يقال له ابن بشير وكان مكثراً فاشترى هدية ووفد بها علي الفرزدق مستجيراً به فأجاره ثم قال أين أنت من الاحوص ابن محمد فقال هو الذي أشكو فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أليس الذي يقول

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نعمي

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى ابن بشير أنفس من الهدية الاولى وقدم بها على جرير فاستجاره فأجاره ثم قال له ما فعل ابن عمك الاحوص بن محمد قال هو صاحبي الذي هجاني قال أليس القائل

تمشي بشتمي في أكارس مالك يُشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى أكثر من الهديتين وأهداها الى الاحوص وصالحه .. ولهذا وأمثاله قال جرير لقومه يعاتبهم في قصيدة خاطب فيها أباه وجده الخطفي مُمتنا عليهم بنفسه

بأيّ نجاد تحمل السيف بعد ما قطعت القوى من محمل كان باقيا
بأي سِنان تطعن القرن بعد ما نزعتَ سِناناً من قناتك ماضيا
ألا لا تخافا نبوتي في ملمّة وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
فقد كنتُ ناراً يصطليها عدوكم وحرزاً لما ألجأتم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه وقابضَ شرٍ عنكما بشماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريع اذا لم أرض جاري انتقاليا
جريء الجنان لا أهاب من الردي ... اذا ماجعلت السيف من عن شماليا
وليست لسبقي في العظام بقية ... ولا السيف أشوى وقعة من لسانيا

وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ورغبتي في الاختصار وانما جئت منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد وتبلغ في ذلك حد الاجتهاد

باب من فأل الشعر وطيرته

تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
يبارين الاعنة مصغيات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... يلطمهن بالخمر النساء

ورأيت من يستحسن يطلمهن من طلمت الخبزة اذا نفضت عنها الرماد ..فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن الغبار عنها بخمرهن فقال قائل لله در حسان اذ يقول وأنشد الأبيات وروي قوم أن الناس أمروا بالمسير الى كداء تفاؤلاً بهذا البيت ليصح فكان الأمر كما قال .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير ويحب الاسم الحسن وقال ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل له فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ .. ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكي محمد بن الجراح وذلك أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء فاغتم خالد لذلك وتطير منه فقال أبو الشمقمق

ما كان مندق اللواء لطيرة ... تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا العود أضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسري عن خالد وكتب صاحب البريد يخبر ذلك الى المأمون فزاده دينار وتبعة وأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم ٠٠ وبقي جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك فأمر المتوكل بحبسه قال فرأيت في النوم قائلا يقول

ابشر فقد جاءت السعودُ ‍ ‍ ‍ أباد أعداءك المبيدُ

لم يظفروا بالذى أرادوا ‍ ‍ ‍ بل يفعل الله ما يريد

ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب ايقاعه بهم وأمر باطلاقي واعادتي الى أشرف رتبة ولا بد من ذكر ما يتطير منه في باب غير هذا ٠٠ وقال قيس المجنون

قضاها لغيرى وابتلاني بحبها ‍ ‍ ‍ فهلا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

فما مات حتى برص ورأى فى منامه قائلا يقول له هذا ما تمنيت ٠٠ ويقال ان المؤمل ابن أميل لما قال

شفَّ المؤملَ يوم الحيرة النظرُ ‍ ‍ ‍ ليتَ المؤملَ لم يخلق له بصرُ

نام ذات ليلة صحيحاً فأصبح مكفوف البصر ٠٠ وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيي البرمكي ٠٠ فقال

أصبحت محتاجاً الى ضرب ‍ ‍ ‍ في طلب العرف من الكلب

اذا شكي صبٌّ اليه الهوى ‍ ‍ ‍ قال له مالى وللصب

اعنى فتى يطمنُ في ديننا ‍ ‍ ‍ يشبُّ منه خشب الصلب

فكان من أمر جعفر ما كان ٠٠ وكان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه حتى أن بعض اخوانه من الأمراء افتقده فاعلم بحاله في الطيرة فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به فلما أخذ أهبته للركوب قال للخادم انصرف الى مولاك فأنت ناقص ومنكوس اسمك لا بقا ٠٠ وابن الرومي القائل الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان وله فيه احتجاجات وشعر كثير

باب فى منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الفن ولا بد مع ذلك أن آتى منه بنبذة تقتضيها ترسيم الكتاب وحق التأليف وليست عليَّ مطالبة ولا قبلي حجة في ذكر مضاره بعد منافعه أو معها اذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليتزيد منه وتقبيح القبيح لينتهي عنه .. وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضى الله عنها وقول سواها من الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية من أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ويقبح فيه ما يقبح من الكلام و بقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره والله المتعال .. حكى أبو العباس المبرد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

أأتركُ ان قلّتْ دراهمُ خالدٍ زيارتَهُ اني اذاً للئيم

فقال أو قد قلت دراهم خالد احملوا اليه مائتي ألف درهم فدعي خالد بعمارة فقال هذا مطر من سحابك ودفع اليه عشرين ألفاً .. ووجد أبوجعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب فقال

ونحن الكاتبونَ وقد أسأنا فهبْنا للكرام الكاتبينا

فخلى سبيله اعجاباً ببديهته .. وحمل بعض العمال الى يزيد بن معاوية مالا جليلا فقطع عليه قسيم الغنوى فأخذه وأمر يزيد بطلبه فلما حصل بين يديه قال ماحملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل الينا قال اذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله قال ومتى أذنت لك قال حين قلت وأنا أسمعك

إعصِ العواذلَ وارمِ الليلَ عن عرضٍ بذى سبيب يقاسي ليله خببا
كالسيدِ لم ينقبِ البيطار سرّته ولم يَدجه ولم يقطع له ابيا
حتى تصادِف مالا أويقالَ فتى لاقي التي تَشعبُ الفتيانَ فانشعبا

فعصيت عواذلي وأسهرت ليلي وأعملت جوادي فأصبت مالا قال قدسوغنا كه فلا تعد .. وكان جبل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيي بن خالد فوفد عليها مرةً أبو

الشمقمق واسمه مروان بن محمد فأكرمه أبو دهمان وأساء اليه جميل ٠٠ فقال

رأيتُ جميلَ الازدقد عقَّ أمه ... فذاك أبو دهمان أمّ جميل

وتناظرا بعد ذلك فى مال بين يدي يحيي بن خالد فاستعلى جميل على أبي دهمان في الخطاب فقال له أبو دهمان احفظ الصهر الذي جمله بيننا أبو الشمقمق فضحك يحيي بن خالد حتى فحص الارض برجليه وترك المال الذى تشاجرا فيه ٠٠ وأتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار فأمر بقتلهم بين يديه فقام اليه أسير منهم فقال أيها الأمير ما أقبحَ بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنةُ ووجهك المليح الذى يستضاء به فأتعلق بك وأقول يا رب سل مصعباً فيم قتلنى فاستحيي مصعب وأمر باطلاقه فقال أيها الامير اجعل ماوهبت من حياتى في خفض ودعةٍ من العيش قال قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم قال قد أشهدك أيها الأميران شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات قال ولم ذلك قال لقوله

انما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلت عن وجهه الظلماءُ

فضحك مصعب وقال اقبض ما أمرنا لك به ولابن قيس عندنا مثله فما شعر عبد الله ابن قيس الا وقد وافاه المال ٠٠ وحكى عن ابن شهاب الزهرى قال دعانى يزيد بن عبد الملك وقد مضى شطر الليل فأتيته فزعاً وهو على سطح فقال لا بأس عليك اجلس فجلست واندفعت جاريته حبابة تغنى

اذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ ... من الحبِّ ميعادُ السلوِّ المقابرُ

سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا ... سريرةُ حب يوم تبلى السرائرُ

قال لمن هذا الشعر فقلت للأحوص قال ما فعل الله به قلت محبوس بدهلك فكتب من ساعته باطلاقه وأمر له بأربعمائة دينار وقدم اليه فأحسن جائزته ٠٠ وممن ضره الشعر وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره علي بن العباس بن جريج الرومي كان ملازماً لابى الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب مخصوصاً به فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه فقال لولده أبي الحسين أحب أن أرى ابن روميك هذا فجمع بينهما فرأى رجلا لسانهُ أطول من عقله فأشار عليه بابعاده فقال أخافه قال لم أرد اقصاءه

ولكن بيت أبي حية النميري

فقلنا لها في السر نفديك(١) لا يرح صحيحاً وإلا تقتليه فالمى

فحدث أبو القاسم ابنَ فراس بما كان من أبيه وكان ابن فراس من أشد الناس عداوةً لابن الرومي فقال له أنا أكفيكه فسم له لوزينجة فمات وسبب ذلك كثرة هجائه وبذائته ٠٠ ودِعبل بن علي الخزاعي كان هجاءً للملوك جسوراً على أمير المؤمنين متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك وطار اسمه فيه فصنع على لسانه بكر بن حماد التاهرتي وقيل غيره ممن كان دِعبل يؤذيه ويهاجيه

ملوكُ بني العباسِ في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ

كذلك أهلُ الكهف في الكهف سبعةٌ كرامٌ اذا عُدُّوا وثامنهم كلبُ

وقال قوم بل صنعها دعبل نفسه وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالمثمن أيضاً فبلغه ذلك فأمر بطلبه ففر منه الى بلد بالسودان بناحية المغرب وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب فمات بها وهنالك قبره والى جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله هكذا يروى أصحابنا ٠٠ وأما شعر البحتري فيشهد بخلاف هذا وذلك أنه رثى دعبلا وأبا تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخثعمي الشاعر

جدَثٌ على الأهواز يبعد دونه مسرى النعيّ ورُمةٌ بالموصلِ

فالذي بالموصل أبو تمام حبيب لاشك لانه مات بها وهو يتولى البريد للحسن بن وهب وكان يعني به كثيراً والآخر دعبل ورأيت من يرويه

شلو باعلى عقر قوفَ تلفه هوج الرياح ورمة بالموصل

والأول أعرف وأشبه بالصواب ٠٠ ووالبة بن الحباب ذكر أن الرشيد أو غيره سأل مَن القائل

ولها ولا ذنبَ لها حبٌّ كاطراف الرماح

في القلب يجرحُ دائباً فالقلبُ مكلومُ النواحْ

فقال له بعض من حضر من العلماء ذلك والبة بن الحباب يا أمير المؤمنين وأين تذهب

---

(١) ن سراً فديناك

عن معرفته والله ما رأيت أرق منه شعراً ولا أطيب نادرة ولا أكثر رواية ولا أجزل معرفة بأيام العرب منه فقال لم يمنعني منه الا بيتا شعر قالهما وهما

قلت لساقينا على خلوة ... ادن كذا رأسك من راسيا
ونم على وجهك لي ساعة ... اني امرؤ أنكح جلاسيا

أتحب أن ينكحنا لا أم لك قال فسالت أنوابي عرقاً من شدة الحياء .. ويزيد بن أم الحكم الثقفي عهد له الحجاج على فارس فأتاه يودعه فقال له أنشدني وقدر أنه يمدحه فأنشده

وأبي الذي سلب ابن كسرى راية ... بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فاسترد العهد منه وقال لحاجبه اذا رده عليك فقل له أورثك أبوك مثل هذا فقال له الحاجب ذلك فقال يزيد قل للحجاج

وورثتُ جدى مجده وفعاله ... وورثتَ جدك أعنزاً بالطائف

وبمثل هذا السبب غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق وذلك أنه استنشده لينشده فيه أو في أبيه فأنشده مفتخراً عليه

وركب كأنّ الريح تطلبُ عندهم ... لها تِرَةً من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح (١) وهي تلفهم ... الى شعب الاكوار ذات (٢) الحقائب
اذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

فتبين غضب سليمان وكان نصيب حاضراً فأنشده

أقول لركبٍ قافلين رأيتهم ... قفا ذات أوشال ومولاك قاربُ
قفوا خبروني عن سليمانَ انني ... لمعروفه من أهل وَدّانَ طالبُ
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار والحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق مغضباً يقول

وخيرُ الشعرِ أكرمه (٣) رجالا ... وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ

(١) ن الليل (٢) ن من كل جانب (٣) ن أشرفه

٠٠ وممن ضره الشعر وأهلكه سديف فانه طعن في دولة بني العباس بقوله لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة علي أبي جعفر المنصور في أبيات له

انا لنأمل أن ترتد الفتنا بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم نهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يابني الحسن

فكتب المنصور الى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ففعل ويقال ان الابيات لعبد الله ابن مصعب نسبت الى سديف وحملت عليه فقتل بسببها وذلك أشد ٠٠ وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له وما للشاعر والتعرض للحتوف وانما هو طالب فضل فلم يضيع رأس ماله لا سيما وانما هو رأسه وكل شيء يحتمل الا الطعن في الدول فان دعت الى ذلك ضرورة مجحفة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال لا كما فعل سديف ٠٠ وأبو الطيب لما فر ورأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً فقتل وكان سبب ذلك هذا البيت ٠٠ وكان كافور الاخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاظمه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال ياقوم من ادعي النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعي المملكة مع كافور حسبكم ٠٠ وزعم أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي أن أبا الطيب انما سمي متنبئاً لفطنته وقال غيره بل قال أنا أول من تنبأ بالشعر وادعي النبوة في بني القصيص والاخبار في هذا النوع كثيرة جداً وانما جئت بأقربها عهداً وأشهرها في كتب المؤلفين مما يليق بالموضع ذكره

باب تعرض الشعراء

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالماً بالشعر قليل التعرض لاهله استعداه رهط تميم

ابن أبي مقبل على النجاشي لما هجاهم فأسلم النظر في أمرهم الى حسان بن ثابت فراراً من التعرض لاحدهما فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصناعة ولم يكن حسان على علمه بالشعر بأبصر من عمر رضي الله عنه بوجه الحكم وان اعتل فيه بما اعتل وقدمضت الحكاية . . وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزبرقان ابن بدر سأل حسان ثم قضي على الحطيئة بالسجن وقيل بل سجنه لموافقته إياه وقوله ان لكل مقام مقالا فقال له أتهددني امضوا به الى السجن فسجنه في حفرة من الارض . . وسئل أبوعبيدة أي الرجلين أشعر أبو نواس أم ابن أبي عيينة فقال أنا لا أحكم بين الشعراء الاحياء فقيل له سبحان الله كأنّ هذا ما تبين لك فقال انا ممن لم يتبين له هذا . . وقيل ان أول من لقب قريشاً على شرفها و بعد ذكرها في العرب سخينة لحساء كانت تتخذه في الجاهلية عند اشتداد الزمان خداش بن زهير حيث يقول

يا شدةً ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان و بين الاحنف بن قيس التميمي حين قال له ما الشيء الملفف في البجاد فقال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

اذا ما مات ميتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجيء بزادِ
بخبز أو بلحم (١) أو بتمرٍ أو الشيء الملفف في البجاد

يريد وطب اللبن وأراد الأحنف قول خداش بن زهير يا شدة ماشددنا البيت . . وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الانصاري أترى الله نسي قولك يعني

زعمت سخينةُ أن ستغلب ربها وليُغلبنّ مغالبُ الغلابِ

ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تجنب الأشراف ممازحة الشاعر خوف لفظة تسمع منه مزحاً فتعود جداً كما قال دعبل الخزاعي

لا تعرضنّ بمزح لامرئ طبنٍ ما راضه قلبهُ أجراه في الشفة
فرب قافيةٍ بالمزح جاريةٍ في محفل (٢) لم يُرد إنماؤها نمت

(١) أو بتمر أو بسمن (٢) ن مشؤمة

اني اذا قلت بيتاً مات قائلهُ ... ومَن يقال له والبيتُ لم يمت

وقال رجل لابن الرومي يمازحه ما أنت والشعر لقد نلت منه حظاً جسيما وأنت من العجم أراك عربياً في الاصل أو مدعياً في الشعر قال بل أنت دعيّ اذا كنت تنتسب عربياً ولم تحسن من ذلك شيئاً .. وله يقول من أبيات

اياكَ يا بنَ بُويب ... أن يستشارَ بويب

قد تحسنُ الرومُ شعراً ... ما أحسنتهُ العريبُ

وهذا مثل قول الصيني الشاعر لبعض الاعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً فقال له الاعرابي ممن الرجل فقال من العجم قال ما للعجم والشعر أظن عربياً نزى على أمك قال فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فانما نزى على أمه أعجمي فسكت الاعرابي .. وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال

وللشعراء ألسنةٌ حدادٌ ... على العورات موفيةٌ دليله

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم ... وداراهم مداراةً جميله

اذا وضعوا مكاويهم عليه ... وان كذبوا فليس لهن حيله

والابيات لأبي الدهان .. ولأمر ما قال طرفة

رأيت القوافي يتّلجنَ موالجاً ... تضايقُ عنها أن تولجها الابر

وقال امرؤ القيس — وجرح اللسان كجرح اليد — ومع ذلك كله فلا ينبغي للشاعر أن يكون شرساً شديداً ولا حرجاً عريضاً لما يدل به من طول لسانه وتوقف الناس عن مخاشنته فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه لم يكن في جيله أطرف منه نادرة ولا أغرب مدحاً ولا أسرع جواباً اجتاز بنسوة وهو على بغلة فهمزها فخبقت فضحكن وكان عريضاً فقال ما يضحككن وما حملتني أنثى قط الا وفعلت مثل هذا قالت احداهن فاصنعت التي حملتك تسعة أشهر فانصرف خجلا .. ومرّ به رجل فيه لين فقال له من أين أقبلت عمتنا فقال نفاها الأغر ابن عبد العزيز فكأن الفرزدق صب عليه الماء لانه عرض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة

نفاكَ الأغرُّ بنُ عبد العزيز ... وحقك تنفى من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد والكميت صبي فأجاد الاستماع اليه فقال له يابني أيسرك أني أبوك قال أما أبي فلا أرى به بدلا ولكن يسرني انك أمي فأفحمه حتى غص بريقه ٠٠ وزعم قوم أن هذه الحكاية انما وقعت مع كثير ٠٠ ومر يوماً بمضرس الفقعسي وهو غلام حديث السن ينشد الناس شعره فحسده على ماسمعه منه فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح أدخلت أمك البصرة وفهم عنه مضرس ما أراد فقال كلا ولكن أبي ورجع الى انشاده فاستحيى الفرزدق حكي ذلك شيخنا أبو عبد الله وانما أراد الفرزدق انها ان دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابني قال مضرس بل أبي وقع على أمك ٠٠ ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الحطيئة فان الحطيئة قال له وقد سمعه ينشد شعراً أعجبه أنجدت أمك قال بل أنجد أبي ونظم ذلك جرير ونعاه عليه وادعى أنه صحيح فقال

كأن الحطيئة جارَ أمك مرةً ... والله يعلم شأنَ ذاكَ الجارِ
من ثم أنت الى الزناء بعلة ... بأشر شيخ في جميع نزارِ
لا تفخرنّ بغالب ومحمد ... وأفخر بعبس كل يوم فخار

وكان يزعم أن الحطيئة جاورَ لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوقع عليها وزوجها أخوها العلاء غالباً أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق على فراشه ٠٠ واحتذى هذا الحذو سواءً أبو السمط مروان الاصغر بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة فقال يهجو علي بن الجهم بن بدر

لعمرك ماالجهم بنُ بدر بشاعرٍ ... وهذا عليٌّ بعده يصنعُ الشعرا
ولكنْ أبي قد كان جارا لامه ... فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا

والشاعر أولى من كف منطقه وأقال عثرات اللسان لما رزق من القدرة على الكلام والعفو من القادر أحسن وبه أليق ولمن انتصرَ بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبرَ وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور

باب التكسب بالشعر والانفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم[1] عن قيل وقال وعن كثرة السؤال واضاعة المال وعقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات ٠٠ وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها الا بالشكر اعظاماً لها كما قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بنى تيم رهط المعلى

أقر حشا امرئ القيس بن حُجْرٍ   بنو تيم مصابيحُ الظلام

لأن المعلى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بنى أبيه الذين قتل بدير مرينا فقيل لبنى تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لبيت امرئ القيس ٠٠ وقال أيضاً لسعد بن الضباب

سأجزيك الذي دافعتَ عنى   وما يجزيك عني غيرُ شكري

فأخبره أن شكره هو الغاية فى مجازاته كما قدمت حتى نشأ النابغة الذبيانى فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه فى صحاف الذهب والفضة وأوانيه[2] من عطاء الملوك وتكسب زهير ابن أبى سُلمى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر مايقول عند العرب واقتداء بهم فيه على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استهجنه واستخف به لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب ٠٠ وأكثر العلماء يقولون انه أول مَن سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أسنُّ منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبح من مجاعلة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وماأشبه ذلك وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل لم خضع النابغة للنعمان فقال رغب فى عطائه وعصافيره وأما زهير فما بلغه الطائى قط معرفة باجتداء من يمدحه ويدلك على ذلك ماقاله عمر بن

(١) ن ان الله ينها كم (٢) ن واوانيها

الخطاب رضى الله عنه لابنة زهير حين سألها ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك قالت ابلاها الدهر قال لكن ما كساه أبوك هرماً لم يباه الدهر وقال عمر رضى الله تعالى عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدني ماقال فيكم زهير فأنشده فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن قال ياأمير المؤمنين انا كنا نعطيه فنجزل قال عمر ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .. ثم إن الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط الهمة فيه والالحاف حتى مقت وذل اهله وهلم جرا الى أن حرم السائل وعدم المسؤول

الا بقايا من أناس بهم الى سبيل المكرمات يهتدى

كالسيد أبي الحسن أحسن الله الى الدنيا ببقائه .. وأما أكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما فى أيدى الناس الا فيما لا يزرى بقدر ولا مروءة كالفلتة والنادرة والمهمة العظيمة ولهذا قال عمر رضى الله عنه نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته .. ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث اليه الوليد بن عقبة مائة من الابل ينحرها لعادته عند هبوب الصبا وقد أسن وأقل وكان يطعم الناس ماهبت الصبا قال لابنته اشكرى هذا الرجل فانى لأجد نفسي تجيبني ولقد أرانى لا أعيي بجواب شاعر فقالت هذه الابيات

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشمياً أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركباً عليها من بني حام قعودا

أباوهب جزاك الله خيراً نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد إن الكريم له معاد وظني بابن أروى أن يعودا

وعرضتها عليه فقال لقد أجدت لولا انك استعدت كراهية فى قولها

* فعد ان الكريم له معاد * ويروى لولا انك استزدت .. وقالوا كان الشاعر فى مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة

فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطاموا أموال الناس وجشموا فخشموا واطمأنت بهم دار الذلة الا من وقر نفسه وقارها وعرف لها مقدارها حتى قبض نقي العرض مصون الوجه مالم يكن به اضطرار تحل به الميتة فأما من وجد البلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر .. فقد حكي عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها

فوجدت حين اتيت أيمن طائر ... ووليت حين وليت بالاصلاح

وعفوت عن كسر الجناح ولم يكن ... لتطير ناهضة بغير جناح

قوم اذا جلب الثناء اليهم ... بيع الثناء هناك بالارباح

وأتاه راعي ابله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال سبحان الله أأفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني وصرف وجهه عن قصده فلم يفد عليه هذا على أنه ساقة الشعراء فأنت ترى كبر نفسه و بعد همته على أن عبد الله بن عمر على جلالته والحسن البصري وعكرمة ومالك بن أنس المدني وجلة من أهل العلم غير هؤلاء كانوا يقبلون صلات الملوك .. وقد سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مال السلطان فقال لحم طير زكي .. والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين وأصحاب الفتيا لما جرت به العادة قبل الاسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعده الى أيام المنصور الذى أنف ابن ميادة أن يفد عليه وهكذا يروى عن جميل ابن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط الا ذويه وقرابته وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر فكلفه أن يرجز به وظن أنه يمدحه فأنشأ يقول

انا جميل في السنام من معد ... في الذروة العلياء والركن الاشد

فقال له الوليد اركب لاحملت .. وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله في شعره

أبا مروان أنت فتى قريش ... وكهلهم اذا عد الكهول

توليه العشيرة ما عناها ... فلا ضيق الذراع ولا بخيل

كلا يوميه بالمعروف طالقٌ　　وكل بلائه حسن جميل

وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان يشبه به من المولدين العباس بن الاحنف فانه ممن أنف عن المدح تظرفاً وقال فيه مصعب الزبيري العباس عمر العراق يريد أنه لاهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لاهل الحجاز استرسالا في الكلام وأنفة عن المدح والهجاء واشتهر بذلك فلم يكن يكافه اياه أحد من الملوك ولا الوزراء وقد أخذ صلة الرشيد وغيره علي حسن التغزل ولطف المقاصد في التشبيب بالنساء .. وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا هذا الا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم في كتاب غير هذا ان شاء الله .. وعلى كل حال فان الاخذ من الملوك كافعل النابغة ومن الرؤساء الجلة كما فعل زهير سهل وخفيف .. فأما الحطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممن دون الملوك عارا فضلا عن العامة وأطراف الناس .. قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ويفتخر عليه بأنه لا يقبل الاصلة الملك الاعظم وحده هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضاً

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن　　مقسمةً من هؤلا وأولائكا

وما نلتَ حتى شبتَ الاعطيةٌ　　تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره

وما كان مالي من تُراث ورثته　　ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة　　الى كل محجوب السرادق خضرم

قال صاحب الكتاب (١) والذى أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب الى مروان بن أبي حفصة

من مبلغ مروان عني رسالة　　مغلغلة لا تنثني عن لقائكا

حباني أمير المؤمنين بنفحة　　ثمانين ألفاً طأطأت من حبائكا

ثمانينَ ألفاً نلتُ من صلب ماله　　ولم تك قسماً من أولى وأولائكا

---

(١) ن أبو علي

فأجابه مروان عن ذلك فقال

أسلمَ بن عمرو قد تعاطيت خطة ... تقصّر عنها بعد طول عنائكا
واني لسباق اذا الخيل كافت ... مدى مائة أو غاية فوق ذلكا
فدع سابقاً ان عاودتك عجاجة ... سنابكه أو هين منك سنابكا
رأيتَ امرأ نال السها فحسدته ... فلم يبق الا أن تموت بدائكا
طلبتَ من المهدى شطر حبائه ... فقال لك المهدىُّ لست هنالكا
فما أعولتْ أم على ابن ولا بكي ... على يوسف يعقوبُ مثل بكائكا
عضضت على كفيكَ حتى كأنما ... رزئت الذى أعطيت من صلب مالكا
حبيتُ بأوقار البغال وانما ... سرابُ الضحى ماتدعى من حبائكا
وما نلتَ حتى شبتَ الاعطية ... تقوم بها مصرورة فى ردائكا
وما عبتَ من قسم الملوك لشاعر ... به خص عفواً من أولى وأولائكا
وأقسم لولا ابن الربيع ورفدُهُ ... لما ابتلَّتِ الدلو التي فى رِشائكا

ومن قول مروان أيضاً

ولقد حبيتُ بألف ألف لم تكن ... الأَ بكف خليفة ووزير
مازلت آنف أن أؤلف مدحة ... الأَ لصاحب منبر وسرير
ما ضرنى حسدُ اللئام ولم يزل ... ذوالفضل يحسده ذوو التقصير

وقال آخر فيما يناسب هذا ويشاكله ويشد على يد من تمذهب به أو اعتقده

واذا لم يكن من الذل بدٌّ ... فالق بالذل ان لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد .. فقال

وانى لنهّاض اليدين الى العلا ... قروعٌ لأبواب الهمام المتوج

ويروى - وانى لسوار اليدين - أى مرتفع

باب تنقل الشعر فى القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي فى كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين أن الشعر كان فى الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وانما سمي مهلهلا لهلهلة شعره أى رقته وخفته وقيل لاختلافه وقيل بل سمي بذلك لقوله

لما توقل فى الكراع شريدهم هلهلت ثأرا جابراً أو صنبلا

ويروى ــ لما توعر فى الكلاب هجينهم ــ قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري يعني بقوله هجينهم امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكي ابنُ حمام

وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح وقد كان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلا ويروى لانّنا يعني لعلنا وهي لغة فيما زعم بعض المؤلفين والذى كنت أعرف لمننا باللامين ونونين وكذلك أعرف ابن حذام بذال معجمة كذا روى الجاحظ وغيره ويروى خذام بالخاء والذال المعجمتين وكان مهلهل أول من قصد القصائد •• قال الفرزدق بن غالب

* ومهلهل الشعراء ذاك الأول *

وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندى الشاعر وجد عمرو بن كلثوم الشاعر أبو أمه •• ومنهم المرقشان والاكبر منهما عم الاصغر والاصغر عم طرفة بن العبد واسم الاكبر عوف بن سعد وعمرو بن قميئة ابن أخيه ويقال انه أخوه واسم الاصغر عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا أعرف •• ومنهم سعد بن مالك الذى يقول

يا بؤسَ للحربِ التى وضعت أراهط فاستراحوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر والمرقش الاكبر أم لا •• وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حِلّزةَ والمتلمس وهو خال طرفة واسمه جرير بن عبد المسيح والاعشى واسمه ميمون بن قيس بن جندل وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير

٠٠ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب لانهم ينسبون في عبد الله بن غطفان واسم أبي سلمى ربيعة ٠٠ ولبيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار وقيل بل اسمه يزيد وجزء أخوهما وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه وهجي قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

تعلم رسولَ الله أنا كأنما أفأنا بأنمار ثعالب ذي صحل
تعلم رسولَ الله لم أر مثلهم أجر على الادنى وأحرم للفضل

ومنهم خداش بن زهير ٠٠ ثم استقر الشعر في تميم ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه و بقي شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع ٠٠ وكان الاصمعي يقول أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راوية أوس وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت رضي الله عنه من اشعر الناس فقال أرجلا أم حياً قيل بل حياً قال أشعر الناس حياً هذيل قال ابن سلام الجمحي وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ٠٠ وحكي الجمحي قال أخبرني عمر بن معاذ المعمري قال في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا وكان اسمُ الشاعر بالسريانية فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن اسحق فأعجب منه وقال قد بلغني ذلك ٠٠ وقال الاصمعي قال أبو عمرو بن العلاء أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الازد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد ٠٠ وقال أبو عمرو أيضاً أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس وقال أبو زيد أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعني عجز هوازن قال ولست أقول قالت العرب الا ما سمعت منهم والا لم أقل قالت العرب ٠٠ وأهل العالية أهل المدينة ومَن حولها ومَن يليها ودنى منها ولغتهم ليست بتلك عنده ٠٠ وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت وفي المولدين بالحسن بن هانيء وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعبل وكلهم من اليمن وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين حبيب والبحتري ويختمون

الشعر بأبي الطيب وهو خاتمة الشعراء لا محالة وكان ينسب في كندة وهي رواية ضعيفة انما ولد في كندة بالكوفة فيما حكي ابن جني والا فكان غامض النسب فيقولون بدئ الشعر بكندة يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون أبا الطيب ٠٠ وزعم بعض المتأخرين أنه جعفي وقوم منهم الصاحب بن عباد يقولون بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة فختم بها كما بدئ بها يريدون مهلهلا وأبا فراس ٠٠ وأشعر أهل المدر باجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت ٠٠ وقال أبو عمرو بن العلاء ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وقال انما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم والعجاج ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول لو كان في مكانه غيره لكان أجود وذكر أنه صنع أرجوزته ـ قد جبر الدين الإله فجبر ـ فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة قال ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها ٠٠ وقال أبو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصّده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكي على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرجاز كامرىء القيس في الشعراء ٠٠ وقال غيره أول من طول الرجز الأغلب العجلي وهو قديم وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ولا أظن ذلك صحيحاً لانه انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك ٠٠ وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامريء القيس وختم بابن هرمة ولم أر أنقد من الذي قال أشعر الناس من أنت في شعره ٠٠ وأنشد مروان بن أبي حفصة يوماً جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد هذا أشعر الناس فلما كثر ذلك عليه قال الناس أشعر الناس

باب في القدماء والمحدثين

كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله وكان أبو عمرو

ابن العلاء يقول لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين •• قال الاصمعي جلست اليه ثماني[1] حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي •• وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحدا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع •• هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة •• فأما ابن قتيبة فقال لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوماً دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عصره •• ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه لولا أن الكلام يعاد لنفد فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد وانما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط نأتي بها فيما بعد من الكتاب ان شاء الله •• وقول عنترة ـ هل غادر الشعراء من متردم ـ يدل على انه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ولا نازعه اياه متأخر •• وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام وكان اماماً في هذه الصناعة غير مدافع

يقولُ مَن تقرع اسماعَه   كم تركَ الأولُ للآخر

فنقض قولهم ما ترك الأول للآخر شيئاً وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ماقرتْ   حياضُك منه في العصورِ الذواهبِ

ولكنه صوبُ العقول اذا انجلت   سحائبُ منه أعقبتْ بسحائب

وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه ثم اتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن •• وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن احمد النحوي وقد سئل عن ذي الرمة وأبي تمام

(١) ن عشر حجج

فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .. وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين انما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات ما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه وانما تكتب أشعارهم لقربها من الافهام وان الخواص في معرفتها كالعوام فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب يستميل أمة من الناس الى استماعه وان جهل الالحان وكسر الأوزان .. وقائل الشعر الحوشي بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه الا من عرف فضل صنعته على أنه اذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وانما يجعل معلماً للمطربات من القينات يقومهن بحذقه ويستمتع بحلوقهن دون حلقه ليسلمن من الخطأ في صناعتهن ويطربن بحسن أصواتهن .. وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع الا أن أوله من قول أبي نواس

صفةُ الطلولِ بلاغة القدْم   فاجعلْ صفاتك لابنةِ الكرمِ
لا تخدعنَّ عن التي جُعلت   سقمَ الصحيحِ وصحة السقمِ
تصفُ الطلول على السماع بها   أفذو العيان كأنت في الحكمِ
واذا وصفتَ الشيءَ متبعاً   لم تخل من غلطٍ ومن وَهمِ

ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن ابراهيم فانه قال قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم/ قال والذي اختاره انا التجريد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره ويرتفع عن المولد[1] المنتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة

(١) ن المؤلف

الحسنة •• قال صاحب الكتاب وأنا أرجو ان أكون باختيار هذا الفصل واثباته ههنا داخلا في جملة المميزين ان شاء الله فليس من أتي بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في كل أرض معروف بكل مكان وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سفسافاً ولا بارداً غثاً كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا اعرابياً جافياً ولكن حالٌ بين حالين •• ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى الا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم اذ هو طبع من طباعهم فالمولد المحدث على هذا اذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب مع ما أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة

باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر مَن كان في أزمانهم ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له وقل ما يجتمع على واحد الا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار يعني شعراء الجاهلية والمشركين •• قال دعبل ابن علي الخزاعي ولا يقود قوماً الا أميرهم •• وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس ابن المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر •• قال عبد الكريم ـ خسف لهم ـ من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف وقوله ـ افتقر ـ أي فتح وهو من الفقير وهو فم القناة وقوله ـ عن معان عور ـ يعني أن امرأ القيس من اليمن وان اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل لهم معاني عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر •• قال وامرؤ القيس يماني النسب نزاري الدار والمنشأ وفضله علي رضي الله عنه بأن قال رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وانه لم يقل لرغبة ولا لرهبة •• وقد قال العلماء بالشعر ان امرأ القيس لم

يُقدم الشعراء لأنه قال مالم يقولوا ولكنه سبق الى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني واستوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه •• وروى الجمحي أن سائلا سأل الفرزدق مَن أشعر الناس قال ذوالقروح قال حين يقول ماذا قال حين يقول

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب

ويلتهمن هواء الجو طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوبُ

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب •• وسئل لبيد من أشعر الناس قال الملك الضليل قيل ثم من قال الشاب القتيل قيل ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه •• وكان الحذاق يقولون الفحول في الجاهلية ثلاثة وفي الاسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق والنابغة والأخطل والأعشى وجرير •• وكان خلف الأحمر يقول الاعشى أجمعهم •• وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره •• وكان أبو الخطاب الاخفش يقدمه جداً لا يقدم أعليه حداً •• وحكي الاصمعي عن ابن أبي طرفة كفاك من الشعراء أربعة زهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وعنترة اذا كلب وزاد قوم وجرير اذا غضب •• وقيل لكثير أو لنصيب مَن أشعر العرب فقال امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا شرب •• وكان أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم قعراً •• وسئل الفرزدق مرة مَن أشعر العرب فقال بشر بن أبي خازم قيل له بماذا قال بقوله

ثوى في ملحدٍ لا بد منه كفى بالموت نأياً واغترابا

ثم سئل جرير فقال بشر بن أبي خازم قيل بماذا قال بقوله

رهينُ بلى وكلُّ فتى سيبلى فشقي الجيبَ وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى ••وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم

بجمهرة أشعار العرب أن أبا عبيدة قال أصحاب السبع التي تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة •• قال وقال المفضل من زعم أن في السبع التي تسمي السمط لاحد غير هؤلاء فقد أبطل •• فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة وأثبت الاعشي والنابغة •• وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته •• وقال الجمحي في كتابه سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً من أشعر الناس قال أعن الجاهلية تسألني أم الاسلام قال ما أردت الا الاسلام فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها قال زهير شاعرهم قال قلت فالاسلام قال الفرزدق نبعة الشعر في يده قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعني فاني نحرت الشعر نحراً •• وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والاخطل أوصفهم •• وأما الحطيئة فسئل عن أشعر الناس فقال أبو دؤاد حيث يقول

لاأعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن ... فقدَ مَن قد رزئته الاعدام

وهو وان كان فحلا قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة •• وسأله ابن عباس مرة أخرى فقال الذى يقول

ومن يجعلِ المعروفَ من دون عِرضه ... يَفِرْه ومن لايتقى الشتمَ يُشتَم

وليس الذي يقول

ولستَ بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعثٍ أيُّ الرجال المهذب

بدونه ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين وأما الباقون فلا شك أني أشعرهم قال ابن عباس كذلك أنت يا أبا مليكة •• وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابغة وطرفة

ومايهل .. قال وقال المفضل سئل الفرزدق فقال امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير النابغة أشعر الناس وقال الاخطل الاعشى أشعر الناس وقال ابن أحمد زهير أشعر الناس وقال ذو الرمة لبيد أشعر الناس وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس وهذا يدلك على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق .. وكان ابن أبي اسحق وهو عالم ناقد ومتقدم مشهور يقول أشعر الجاهلية مرقش وأشعر الاسلاميين كثير وهذا غاو مفرط غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح .. وسأل عبد الملك بن مروان الاخطل من أشعر الناس فقال العبد العجلانى يعني تميم بن مقبل قال بم ذاك قال وجدته في بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين قال أعرف ذلك له كرهاً .. وقيل لنصيب مرة من أشعر العرب فقال أخو تميم يعنى علقمة بن أبي عبدة وقيل أوس بن حجر وليس لاحد من الشعراء بعد امرىء القيس ما لزهير والنابغة والاعشى فى النفوس .. والذى أتت به الرواية عن يونس ابن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس وان أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً .. وروي ابن سلام يرفعه عن عبدالله بن عباس أنه قال قال لي عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنشدني لاشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين قال زهير قلت ولم كان كذلك قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح الرجل الا بما فيه ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام قال أهل النظر كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح .. قال صاحب الكتاب واذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف أعنى ابن سلام لأن عمر انما وصفه بالحذق في صناعته والصدق في منطقه لانه لا يحسن في صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الامر الى التنقص والازراء كما أخذ ذلك علي أبى الطيب وغيره آنفاً وقد فسد الوقت ومات أرباب الصناعة فما ظنك والناس ناس والزمان زمان وسيرد عليك فى مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله وقد استحسن عمر الصدق لذاته ولما فيه من مكارم الاخلاق والمبالغة بخلاف ما وصف ويشد قول عمر رضى الله عنه فى زهير أنه لا يمدح الرجل الا بما فيه استحساناً لصدقه

ما جاء به الاثر أن رجلا قال لزهير اني سمعتك تقول لهرم

ولأنت أشجعُ من أسامةَ اذ   دعيتْ نزالِ ولج فى الذعر

وأنت لا تكذب فى شعرك فكيف جعلته أشجع من الاسد فقال إنى رأيته فتح مدينة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط •• فقد خرج لنفسه طريقاً الى الصدق وعدى عن المبالغة •• والذي أعرفه انا أن البيت المتقدم ذكره لأوس بن حجر والحكاية عنه ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سألته امرأته كيف قلت

فهناك مجزأة بن نو   ركان أشجع من أسامه

وصدر بيت زهير بن أبي سلمى

ولنعم حشوُ الدرع أنتَ اذا   دعيتْ نزالِ ولج فى الذعر

الا أن تكون الاخرى رواية فلا أبعدها لان زهيراً كان يتوكأ على أوس فى كثير من شعره وهي رواية الجمحي لاأظن غير ذلك فأما بيت زهير فى هذا المعنى فهو

ولانتَ أشجعُ حين تتجه الـ   ابطالُ من ليث أبي أجرِ

•• وأما النابغة فقال من يحتج له كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأذهبهم فى فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ومدحاً وهجاءً وفخراً وصفة •• وقال بعض متقدمي العلماء الاعشي أشعر الاربعة قيل له فأين الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت وذلك انه مامن حامل لواء الاعلى رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والأعشى الأمير •• وقالت طائفة من المتعقبين الشعراء ثلاثة جاهلي واسلامي ومولد فالجاهلي امرؤ القيس والاسلامى ذو الرمة والمولد ابن المعتز •• وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر •• وطائفة أخرى تقول بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف •• وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف وهذا قول من يؤثر الأنفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد فى فن واحد ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس لكن أبا العتاهية تصرف •• وليس فى المولدين أشهر اسماً من

الحسن أبي نواس ثم حبيب والبحتري ويقال انهما أخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد أن يجهلهم أحد من الناس ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ٠٠ والاشتهار بالشعر أقسام وجدود ولولا ذلك لم يكن نصر بن احمد الخبزرزي أشهر من منصور النمري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخزيمي وأبي سعيد المخزومي وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشعرهم بشار ابن برد وليس يفضل على الحسن مولد سواه كذا روى الجاحظ وغيره من العلماء ٠٠ ومن طبقة بشار مروان بن أبي حفصة وأبو دلامة زيد بن الجون الاعرابي وقيل زيد بالياء معجمة بواحدة ساكنة ومتحركة حكاه المرزباني والسيد الحميري وسلم الخاسر وأبو العتاهية وجماعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله ٠٠ ومن طبقة أبي نواس العباس بن الاحنف ومسلم بن الوليد صريع الغواني والفضل الرقاشي وأبان اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك الخليع ودعبل ونظراء هؤلاء سابقهم دعبل ليس فيهم نظير أبي نواس وأما طبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد تلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن المعذل وهو من فحول المحدثين وصدورهم المعدودين غمره حبيب ذكراً واشتهاراً وكأبي الشيص أيضاً أدرك أبا نواس ولحق البحتري فستره وكذلك الجماز والجماز يقول أبو نواس

أسقني يا ابن أذين من سلاف الزرجون

وديك الجن وهو شاعر الشام لم يذكر مع أبي تمام الا مجازاً وهو أقدم منه وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يحتذي عليها فسرقها ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز الا من ذكر بسببهما في مكاتبة أو مناقضة وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر الا أبو فراس وحده ولولا مكانه من السلطان لأخفاه وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه السن ثم سقطا عنه على أن الصنوبري يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ولقبه مرة بالصيصة أو غيرها فقال له يهزأ به أنت صاحب بغادين يريد قصيدته

شربنا في بغادين على تلك الميادين

لما فيها من المجون والخلاعة فقال له الصنوبرى أنت صاحب الطرطبة يريد قصيدته

ما أنصف القومُ ضبه وأمَّــه الطرطبـــه

لما فيها من اللين والركاكة ولكل كلام وجه وتأويل ومن التمس عيباً وجده وقيل بل قال له أنت صاحب جاجا قال نعم قال أنت شاعر بلدك يريد قوله فى صفة الوعل

ذاكَ أمْ أعْصَمٌ كأن مدْرَياهُ حينَ عاجا على القذالين جاجا

باب المقلين من الشعراء والمغلَّبين

ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ونبهت على بعض المغلبين منهم لما تدعو اليه حاجة التأليف وتقتضيه عادة التصنيف غير مفرط ولا مفرط ان شاء الله ٠٠ فمن المقلين فى الشعر طرفة بن العبد وعَبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة الفحل وعدي ابن زيد ٠ وطرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهى المعلقة ٭ لخولة اطلال ببرقة ثهمد ٭ وله سواها يسير لانه قتل صغيراً حول العشرين فيما روي وأصح ما فى ذلك قول اخته ترثيه

عددنا له ستاً وعشرين حَجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما

فجعنا به لمـــا رجونا ايابه على خيرِ حالٍ لا وليداً ولا قحما

انشده المبرد ـ والقحم ـ المتناهي فى السن ٠٠ وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في ايدي الناس على قدم ذكره وعظم شهرته وطول عمره ويقال انه عاش ثلاثمائة سنة وكذلك أبو دؤاد وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين قتلت بنو أسد أباه حجراً

وافلتهن علباءُ جريضا ولو أدركنه صفر الوطابُ

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره

فلو أدركت علباء بن قيس قنعت من الغنيمة بالايابِ

لأن امرأ القيس قد كان قال

وقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وقتل عبيداً النعمان بن المنذر يوم بؤسه وقيل عمرو بن هند •• وعلقمة بن عبدة حاكم امرأ القيس في شعره الى امرأته فحكمت عليه لعلقمة فطلقها وتزوجها علقمة فسمى الفحل لذلك وقيل بل كان في قومه آخر يسمى علقمة الخصي من ربيعة الجوع •• ولعلقمة الفحل ثلاثة قصائد مشهورات احداهن

* ذهبت من الهجران في كل مذهب *

ويروي — في غير مذهب — وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امريء القيس •• والثانية قوله

* طحى بك قلبٌ في الحسان طروبُ *

والثالثة قوله * هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم *

وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير والا فهو مقل ومشهوراته أربع قوله

* أرواحَ مودعٍ أم بكورُ *

•• وقوله * أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبد *

•• وقوله * ليس شيءٌ من المنونِ بباقي *

•• وقوله لم أر مثلَ الفتيان في غِيَرِ الـأيام ينسون ما عواقبها

وقال بعض العلماء أحسبه أبا عمرو عديٌّ في الشعراء مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها قليلة في أيدى الناس ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها •• ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المرى والمتلمس والمسيب بن علس كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة •• ويروى عن أبي عبيدة أنه قال اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة المتلمس والمسيب بن علس وحصين ابن الحمام المري وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي وهو الحكم الصواب ومنهم عنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم من أصحاب المعلقات المشهورات وعمرو ابن معدي كرب صاحب * أمن ريحانة الداعي السميعُ *

والاشعر بن حمدان الجعفي صاحب المقصورة

* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى *

وسهيل بن أبى كاهل صاحب

* بسطت رابعة الحبل لنا *

والاسود بن يعفر صاحب

* نام الخلي فما أحس رقادى *

وله شعر كثير الا أنه لاينتهي الى قصيدته هذه •• وكان امرؤ القيس مقلا كثير المعانى والتصرف لايصح له الانيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ولا ترى شاعراً يكاد يفلت من حبائله وهذه زيادة فى فضله وتقدمه •• وأما المغلبون فمنهم نابغة بنى جعدة ومعنى المغلب الذى لا يزال مغلوباً •• قال امرؤ القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلّب

يعنى أنه اذا قدر لم يبق فاذا قالوا غلب فلان فهو الغالب •• وقد غلب على الجعدى أوس بن مغراء القريعي وغلبت عليه ليلى الأخيلية قال الجمحي وقد غلب عليه من لم يكن اليه فى الشعر ولا قريباً منه عقال بن خويلد العقيلى وكان مفحماً عليه بكلام لا بشعر وهجاه سوار بن أوفى القشيرى وهاجاه وفاخره الأخطل وله يقول عبيد بن حصين الراعى يتوعده

فانى زعيم أن أقول قصيدة مبينة كالنقب بين المخارم

خفيفة اعجاز المطي ثقيلة على قربها نزالة بالمواسم

وقد علم الكافة ما صنع جرير بالاخطل والراعي جميعاً وقيل ان موت الجعدي كان بسبب ليلى الاخيلية فر من بين يديها فمات فى الطريق مسافراً والاصح انها هى التى ماتت فى طلبه •• قال الجمحي كان النابغة الجعدى أقدم من الذبياني لانه أدرك المنذر ابن محرق ويشهد بذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكرا

نداماى عند المنذر بن محرّق فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا

والذبيانى إنما أدرك النعمان •• وقال غيره ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث بن أبى

شمر الغساني حين قتل المنذر في أسارى بني أسد فشفعه . . وإياه عنى علقمة بن عبدة بقوله

وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذَنوب

قال الجمحي وكان الجعدي مختلف الشعر سئل عنه الفرزدق فقال مثله مثل صاحب الخلقان تري عنده ثوب عصب وثوب خز والى جنبه شملة كساء وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه الى قلة التكلف فيقول عنده خمار بواف ومطرف بآلاف — بواف .. يعني بدرهم وثلث . . ومن المغلبين الزبرقان غلبه عمرو بن الأهتم وغلبه المخبل السعدي وغلبه الحطيئة وقد أجاب الاثنين ولم يجب الحطيئة . . وقال يونس بن حبيب كان البعيث مغلباً في الشعر غلاباً في الخطب . . ومنهم تميم بن أبي مقبل هجاه النجاشي فقهره وغلب عليه حتى استعدي قومه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يكن من اشكاله في الشعر فيقرن به وهاجي النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأفحمه . . وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر قال هجي الأعور بن براء بني كعب ومدح قومه بني كلاب فأتت بنو كعب تميم بن أبي مقبل ينتصرون عليه به فقال لا أهجوهم ولكنى أقول فارووا فقد جاءكم الشعر وقال

ولستُ وإن شاحنتُ بعضَ عشيرتي لاذكرَ ماالكهلُ الكلابيُّ ذاكر

فكم ليَ من أمٍّ لعبتُ بثديها كلابيةٍ عادتْ عليها الأواصر

فأتت الاعور بن براء بنو كعب فعنفوه ورجعوا عليه فقال

ولستُ بشاتمٍ كعباً ولكن على كعبٍ وشاعرِها السلامُ

ولستُ ببائعٍ قوماً بقومٍ هم الأنفُ المقدَّم والسنامُ

وكائنْ في المعاشرِ من قبيل أخوهم فوقهم وهم كرام

مسالما وكان سبب ذلك اغضاء ابن مقبل واعطاؤه المقادة هرباً من الهجاء وقوم يرون ذلك منه أنفة . . ومن مغلبي المولدين على جلالته وتقدمه بشار بن برد فان حماد عجرد وليس من رجاله ولا أكفائه هجاه فأبكاه ومثل به أشد تمثيل . . وعلى بن الجهم هاجا أبا السمط فروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضاً على أن علياً أقذع منه لساناً وأسبق الى مايريده من ذلك وأقدم سناً . . ومنهم حبيب هاجا السراج وعتبة

فما أتى بشيء وهجاه ابن المعذل حين أراد وجهته فقال أما هذا فقد كفي ناحيته ولم يقدم عليه على أن حبيباً أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر والذي قال له

أنتَ بين اثنتين تبرز للنا س كلتيهما بوجه مذال

لستَ تنفكُّ طالباً لوصال من حبيب أو راغباً في نوال

أيُّ ماء لحر وجهك يبقى بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤال

ورأيت في شعر ابن المعذل في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند بعض بني هاشم فكتب في رقعة هذه الابيات المذكورة وألقاها اليه وهاجى دعبلا فاستطال عليه دعبل أيضاً

باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الاكفاء

منهم الزبرقان بن بدر لما هجاه المخبل السعدي جاوبه بعتاب لانه رآه أهلا لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه فلما هجاه الحطيئة لم يره مكاناً للجواب على أنه ابن عمه وجاره في النسب لانهما جميعاً من مضر بل استعدى عليه عمر رضى الله عنه فأنصفه .. وسُحيم بن وثيل يقول للأحوص والابيرد ابنى المعذر وهما شاعران مفلقان وقال عبدالكريم الا بيرد بن ابى الاحوص

عذرتُ البزلَ إن هي خاطرتني فما بالى وبال ابنى لبون

فأنت ترى هذا الاحتقار .. ومثل هذا وان لم يكن من هذا الباب بحتاً قول الفرزدق لعمر بن لجأ لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر وفطن له جرير فدهش عمر ولم يجد جواباً فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عزمه

وما أنتَ إن قرما تميمٍ تساميا أخا التيم الا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولي العزِّ أوفي ظلاله ظلمتَ ولكن لا يدى لك بالظلم

والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجا فيه بيوت بني سعد

وأسأل قفيرة بالمروت هل شهدت ... شوط الحطيئة بين الكسر والنضد

أو كان في غالب شعر فيشبهه ... شعر ابنه فينال الشعر من صدد

جاءت به نطفة من شر ماء صرى ... سبقت الى شر واد شق في بلد

فقال الفرزدق يتهاون بأمره ويستحقره

ان الطرماح يهجوني لارفعه ... أيهات أيهات عيلت دونه القضب

عيلت دونه القضب ـ أي رفعت عنه القصائد من قولهم عالت الفريضة أي ارتفعت والقضيب القصيدة لانها تقتضب •• وجرير هجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه قال بشار ولم أهجه لاغلبه ولكن ليجيبني فأكون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر الناس •• وهجا حماد عجرد بشاراً فلم يجبه أنفة واحتقاراً الى أن قال فيه

له مقلة عمياء واست بصيرة ... الى الاير من تحت الثياب تشير

على وده أن الحمير تنيكه ... وأن جميع العالمين حمير

فغضب وهجاه •• قال الجاحظ ماكان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد من جهة الشعر لان حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوق وليس مولد قروي يعد شعره في المحدث الا وبشار أشعر منه ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس •• وهجا ابن الرومي البحتري وابن الرومي من علمت فأهدى اليه تخت متاع وكيس دراهم وكتب اليه ليريه أن الهدية ليست تقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا الفقر والحسد المفرط

شاعر لا أهابه ... نبحتني كلابه

أن من لا أعزه ... لعزيز جوابه

وأبو تمام هجاه دعبل وغيره من الاكفاء فجاوبهم وابتدأ بعضهم ولم يلتفت الى مخلد ابن بكار الموصلي حين قال فيه وكانت في حبيب حبسة شديدة اذا تكلم

يا نبي الله في الشعـــر ويا عيسى بن مريم

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها

أنظر اليه والى خبثه ... كيف تطايا وهو منشور

ويحك من دلاّك في نسبة قلبك منها الدهرَ مذعورُ
ان ذكرت طاء على فرسخ أظلم فى ناظرك النور

بل رآه دون المهاجاة والجواب ولو هجاه لشرفت حاله وانتبه ذكره . . وكذلك فعل المتنبي حين بلي بحماقات ابن حجاج البغدادى سكت عنه اطراحاً واحتقاراً ولو أجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر لانه ليس من أنداده ولا من طبقته . . ولما وصل أبو القاسم بن هانئ الى افريقية هجاه الشعراء فقال لا أجيب منهم أحداً الا ان يهجونى عليّ التونسى فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال أما انى لو كنت ألأم الناس ماهجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلنى من بينهم كفء اله . . ومن الشعراء من يتزيا بالكبر ويظهر الانفة في الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه خوفا من الزراية على نفسه مما وقع فيه كجماعة أعرفهم من أهل عصرنا وهم يتسرعون الى أعراض السوقة والباعة ويستفحلون على الصبيان ومَن ليس من أهل الصناعة ولو كانت لهم أنفة كما يزعمون الا عن الأكفاء لكانوا عن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يُعدُّ في الخاصة أشد تنزها . . ومنهم من لا يهجو كفء ا ولا غيره لما في الهجو من سوء الاثر وقبح السمعة كالذى يحكي عن العجاج أنه قيل له لم لا تهجو فقال ولم أهجو ان لنا أحسابا تمنعنا من أن نُظلَمَ وأحلاما تمنعنا من أن نَظلِمَ وهل رأيتم بانياً لا يحسن أن يهدم ثم قال أتعلمون انى أحسن أن أمدح قالوا نعم قال أفلا أُحسن أن أجعل مكان أصلحك الله قبحك الله ومكان حياك الله أخزاك الله . . وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن الهجاءَ أيضاً بناء وليس كل بان لضرب بانياً لغيره . . ورده الجاحظ بأن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وان أجاد فنا غيره كما يوجد ذلك فى كل صناعة . . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد وان اختلف اللفظان والصواب ما قالا الا أن يعرف من الشاعر أنف عن قدرة لا تُدفع و بعد تجربة لا تُستراب فحينئذ . . وسئل نُصيب عن مثل ذلك فقال انما الناس أحد ثلاثة رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء ورجل سألته فحرمنى فأنا بالهجاء أولي منه وهذا كلام عاقل منصف لو أخذ به الشعراءُ أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس . . وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب وهو أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم لم يهج أحداً قط . . ومن أناشيده فى

كتابه المشهور لغيره من الشعراء

ولستُ بهاجٍ في القِرَى أهلَ منزلٍ ... على زادِهم أبكي وأُبكي البواكيا

فاما كرامٌ موسرون أتيتهم ... فحسبيَ من ذو عندهم ما كفانيا

واما كرامٌ معسرونَ عذرتهم ... واما لئامٌ فادَّخرتُ حيائيا

وهذا مثل كلام نصيب فى المنثور الذى تقدم وانما ذكرت هؤلاء لانهم يمدحون ولا يرضون بالهجاء وأما من لا يمدح فأحرى أن لا يهجو أحداً على أن منهم من لم يقل قط الا هجواً أو شبيهاً به كيحيي بن نوفل ذكره دعبل فى طبقاته ونجد له من أهل عصرنا نظراء عدة

باب فى الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع جاهلي قديم ومخضرم وهو الذى أدرك الجاهلية والاسلام وإسلامي ومحدَث ثم صار المحدَثون طبقات أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلى وبين الاسلامى والمخضرم وان المحدث الاول فضلا عمن دونه دونهم فى المنزلة على أنه أغمضُ مسلكا وأرقّ حاشية فاذا رأي أنه ساقةُ الساقة تحفظ على نفسه وعلم من أين يؤتي ولم تغرُرْه حلاوة لفظه ولا رشاقة معناه ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة وسبق الى كل طلاوة ولباقة •• قال أبو الحسن الأخفش يقال ماء خِضرِمٌ اذا تناهي فى الكثرة والسعة فمنه سمي الرجل الذى شهد الجاهلية والاسلام مُخضرَماً كأنه استوفى الأمرين قال ويقال أُذُنٌ مُخضرَمَةٌ اذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية الى الاسلام •• وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه قال أسلم قوم فى الجاهلية على ابل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرَماً وزعم أنه لا يكون مخضرماً حتي يكون اسلامه بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسلم وهذا عندى خطأ لأن النابغة الجعدى ولبيداً قد وقع

عليهما هذا الاسم ٠٠ وأما علي بن الحسين كُراع فقد حكى شاعر محضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة وهي الخلط لأنه خلط الجاهلية بالاسلام ٠٠ وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله

الشعراء فاعلمن أربعه فشاعر لا يرتجي لمنفعه

وشاعر ينشد وسط المجمعه وشاعر آخر لا يجرى معه

وشاعر يقال خمر في دعه

وهكذا رويناها عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله وبعض الناس يرويها على خلاف هذا وقد قيل لا يزال المرء مستوراً وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً لأن شعره ترجمان علمه وتأليفه عنوان عقله ٠٠ وقال الجاحظ من صنع شعراً أو وضع كتابا فقد استهدف فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف ٠٠ قال حسان وما أدراك ماهو

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس ان كيساً وان حمقا

٠٠ وقال محمد بن مناذر وكان اماماً

لا تقل شعراً ولا تهمم به واذا ما قلت شعراً فأجد

٠٠ وقال شيطان الشعراء دعبل بن علي

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الروايات حامله

يموت ردئ الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وان مات قائله

وقالوا الشعراء أربعة شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره وسئل رؤبة عن الفحولة قال هم الرواة ٠٠ وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له الا أنه مجود كالخنذيذ في شعره ٠٠ وشاعر فقط وهو فوق الردئ بدرجة ٠٠ وشعرور وهو لا شئ ٠٠ قال بعض الشعراء لآخر هجاه

يارابع الشعراء كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق

وقيل بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية .. قال الاصمعي فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر وهو الذي يقول

فَنلتُ به ثاري وأدركتُ ثُؤرتي اذا ما تناسى ذَحله كل غَيهب

وهو الضعيف عن طلب ثأره روى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة .. قال الجاحظ والشويعر أيضاً عبد ياليل من بني سعد بن ليث وقيل اسمه ربيعة بن عثمان وهو القائل

وأفلتنا أبو ليلى طفيلٌ صحيح الجلد من أثر السلاح

وقال بعضهم شاعر وشويعر وشعرور .. وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة ثم من بني كَميس

ألا تنهي سَراتُ بني كميس شوَيعرَها فُوَيلية الافاعي

فسماه شويعراً — وفالية الافاعي — دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضاً تحقيراً له .. وزعم الحاتمي أن النابغة سئل من أشعر الناس فقال من استجيد جيده وأضحك رديه وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لانه اذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء الا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة .. وقال الحطيئة

الشعرُ صعبٌ وطويل سُلَّمه والشعرُ لا يسطيعه من يظلمه

اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلّتْ به الى الحضيض قدمُه

يريد أن يعربه فيعجمه

وانما سمي الشاعر شاعراً لانه يَشعرُ بما لا يشعر له غيره فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطاله سواه من الالفاظ أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير .. ولقي رجل آخر فقال له ان الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماصٌ بظرأمه فأيهم أنت قال أما أنا فشويعر واختصم أنت وامرأ القيس في الباقي .. وقال بعضهم الشعر شعران جيد

حكاك وردي مضحك ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط . . وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور

عدمتك يا بن أبي الطاهر وأطعمت ثكلك من شاعر
فما أنت سخن ولا بارد وما بين ذين سوى الفاتر
وأنت كذاك تغثي النفو س تغثية الفاتر الخاثر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكي عنه الحاتمي من الرديء المضحك الى هذا النحو . . وقيل عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر ويقال ان الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات وكيف وان قاربوهم أو كانوا منهم بسبب . . وقد كان أبو عمرو ابن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الاحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى انه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته . . وحكى ان رجلا قال لخلف الاحمر ما أبالي اذا سمعت شعراً استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه فقال له اذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي انه رديء هل ينفعك استحسانك إياه . . وقيل للمفضل الضبي لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي به هو الذي يمنعني من قوله . . وأنشد

وقد يقرض الشعر البكيء لسانه وتعيي القوافي المرء وهو لبيب

والشعر مزلة العقول وذلك ان أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً وانما ذلك لسروره بهوا كباره إياه وهذه زيادة في فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه من كل نفس . . وقال الاصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر

أبى الشعر الا أن يفيء رديه علي ويأبي منه ما كان محكما
فياليتني اذ لم أجد حوكه وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وقال عبدالكريم الشعر أصناف . . فشعر هوخيركله وذلك ما كان فيباب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل بهبالخير وما أشبه ذلك . وشعر هو ظرف كله وذلك القول فى الاوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعانى والآداب . . وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر الى اعراض الناس . . وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سوق ما يَنفقُ فيها ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتى اليه من جهة فهمه . . وذكر الجمحى فى الشعراء المقاحم والثنيان قال ـ والمقحم ـ الذى يقتحم سنا الى أخري وليس بالبازل ولا المستحكم وأنشد لأوس بن حجر

وقدرام بحري قبل ذلك طامياً   من الشعراء كلُّ عَوْد ومقحم

قال ـ والثنيان ـ الواهن العاجز وأنشد لأوس بن مَغرَاء

ترى ثنانا اذا ما جاء بَدْأَهم   وبدؤهم ان أتانا كان ثُنيانا

قال غيره الثنيان الذى ليس بالرئيس بل هو دونه وأنشدوا لنابغة بني ذبيان يخاطب يزيد بن الصعق

يصدُّ الشاعر الثنيان عنى   صدود البكر عن قرم هِجَان

قال الجمحى وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يُبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مَسٍّ ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بَهْرَجها وزائفها وستوقها ومفرَغها ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يَرُدَّ كل صنف منها الى بلده الذى خرج منه وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيدة النهدين ظريفة اللسان واردة الشَّعر فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ولكن لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر جيد الحافر فتي السن نقي العيون فيكون بخمسين ديناراً أونحوها وتكون أخري بمائتي

دينار وأكثر تكون هذه صفتها ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه اندي الحلق حسن الصوت طويل النفس مصيب اللحن وتوصف الاخرى والاخرى بهذه الصفة وبينهما بون بعيد يعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي اليها ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارسة للشيء لتُعين على العلم به وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به . . وسمعت بعض الحذاق يقول ليس للجودة في الشعر صفة انما هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه وهذا راجع الى قول الجمحي بل هو بعينه وانما فيه فضل الاختصار

باب حد الشعر وبنيته

البنية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر لعدم الصنعة والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر والمتزن ماعرض على الوزن فقبله فكأن الفعل صار له وبهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة هذا هو الصحيح وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لافاعل لهما نحو شويت اللحم فهو منشو ومشتو وبنيت الحائط فهو منبن ووزنت الدينار فهو متزن وهذا محال لا يصح مثله في المعقول وهو يؤدي الى مالاحاجة لنا به ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك الا المجاز والاتساع والا فليس هذا مما يغلط فيه من رق ذهنه وصفا خاطره وانما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على من زعم أن المتزن غير داخل في الوزن واذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن وكيف يقع عليه هذا الاسم . . وقال بعض العلماء بهذا الشأن بنى الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء . . وقالوا قواعد الشعر أربع الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب

الموجع .. وقال الرماني علي بن عيسى أكثر ما تجري عليه اغراض الشعر خمسة النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف .. وقال عبد الملك بن مروان لارطاة بن سُهية أتقول الشعر اليوم فقال والله ما أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب وانما يجيء الشعر عند احداهن .. قال أبو علي البصير

مدحت الأمير الفتحَ أطلب عُرفَهُ ... وهل يستزاد قائل وهو راغب

فألفيني فنونَ الشعر وهي كثيرةٌ ... وملا فنيت آثاره والمناقبُ

فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها .. وقال عبد الكريم يجمع أصناف الشعر أربعة المدح والهجاء والحكمة واللهو ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون فيكون في المدح المراثى والافتخار والشكر ثم يكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ومن الحكمة الامثال والتزهيد والمواعظ ويكون من اللهو الغزل والطرب وصفة الخمر والخمور ..وقال قوم الشعر كله نوعان مدحٌ وهجاء فالى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما تعلق بذلك من محمود الوصف كصفات الحمولِ والآثار والتشبيهات الحسان وكذلك تحسين الاخلاق كالامثال والحكم والمواعظ والزهد فى الدنيا والقناعة والهجاءُ ضدُّ ذلك كله غير أن العتاب حال بين حالين فهو طَرَفٌ لكل واحد منها وكذلك الاغراء ليس بمدحٍ ولا هجاء لانك لا تغرى بانسان فتقولُ انه حقير ولا ذليل الا كان عليك وعلى المغرى الدركُ ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه ... والبيت من الشعر كالبيت من الابنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابهُ الدُّربةُ وساكنه المعنى ولا خير في بيتٍ غيرِ مسكون وصارت الاعاريض والقوافى كالموازين والامثلة للابنية أو كالاواخي والاوتاد للاخبية فأما ماسوى ذلك من محاسن الشعر فانما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستُغنيَ عنها .. قال القاضى علي بن عبدالعزيز الجرجانى صاحب كتاب الوساطة الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان وقال ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابى والمولد الا أنى أرى حاجة المحدث الى

الرواية أمس وأجده الى كثرة الحفظ أفقر فاذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذي لا يمكنه تناول ألفاظ العربي الا رواية ولا طريق الى الرواية الا السمع وملاك السمع الحفظ .. قال دعبل في كتابه من أراد المديح فبالرغبة ومن أراد الهجاء فبالبغضاء ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء فقسم الشعر كما ترى هذه الاقسام الأربعة وكان الرثاء عنده من باب المدح على ماقدمت الا أنه جعل العتاب بدلا منه .. وقال غير واحد من العلماء الشعر مااشتمل علي المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وماسوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن .. وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي قلت لاعرابي من أشعر الناس قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا تكلم أسمع واذا مدح رفع واذا هجا وضع .. وسئل بعض أهل الأدب مَن أشعر الناس فقال من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة وخلاف الشهوة وهذا قول أبي الطيب أولا

واسمعُ من ألفاظه اللغةَ التي يلذُّ بها سمعي ولو ضُمِّنَتْ شتمي

أخذه من قول أبي تمام

فان أنا لم يمدحكَ عني صاغراً عدوُّك فاعلم انني خير حامد

واتبعه البحتري في ذلك فقال

ليواصلنك ركب شعري سائراً يرويه فيك لحسنه الاعداءُ

وقال عبد الصمد بن المعذّل الشعر كله في ثلاث لفظات وليس كل انسان يحسن تأليفها فاذا مدحت قلت أنت واذا هجوت قلت لست واذا رثيت قلت كنتَ .. وقال بعض النقاد أصعب الشعر الرثاء لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .. قال ابن قتيبة قال احمد بن يوسف الكاتب لابي يعقوب الخزيمي أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن نعمل اليوم على الوفاء .. قال صاحب الكتاب ومن هذا المنثور والله أعلم سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان .. وقيل لبعضهم ما أحسنُ الشعرِ فقال ما أعطى القياد و بلغ المراد .. وقال أبو عبد الله

وزير المهدي خير الشعر ما فهمته العامة ورضيته الخاصة .. وسمعت بعض الشيوخ يقول قال الحذاق لو كانت البلاغة في التطويل ما سبق اليها أبو نواس والبحتري .. وقال بعض الحذاق من المتعقبين أشعر الناس مَن تخلص في مدح امرأة ورثائها .. وقال ابن المعتز قيل لمعتوهٍ ما أحسنُ الشعر قال مالم يحجبه عن القلب شيء

باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهبَ الروح وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفرُ حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الاّ من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين الاّ أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحاً في غير جسم البتة .. ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب منهم مَن يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايتهُ ووكده وهم فرقٌ قومٌ يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار

اذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ذُرى منبرٍ صلى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت .. وفرقة أصحاب جَلبة وقعقعة بلا طائل معنى الاّ القليلَ النادرَ كأبي القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه فانه يقول أولَ مذهبته

أصاخت فقالت وقعُ أجردَ شيظمِ وشامت فقالت لمعُ أبيضَ مخذم

وما ذُعرتْ الا لجرْس حليها ولا رمقت الا بُرىً في مخدَّم

وليس تحت هذا كله الا الفساد وخلاف المراد ما الذي يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمته بعد الاصاخة والرمق وقع فرس أو لمع سيف غير انها مغزوة في دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ولم يخف عنا مراده انها كانت تترقبه فما هذا كله .. وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة فاذا أخذ في الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلى سجيته أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء واذا تكلف الفخامة وسلك طريق الصنعة أضر بنفسه وأتعب سامع شعره ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الاحايين أشياء جيدة كقوله في المطبوع يصف شجعاناً

لا يأكل السرحان شلو عقيرهم مما عليه من القنى المتكسر

ـ العقير ـ ههنا منهم أي لم يمت لشجاعته حتى تحطم عليه من الرماح ما لا يصل معه الذئب اليه كثرة ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان البيت هجواً لانه كان يصفهم بالضعف والتكاثر علي واحد .. وقوله في المصنوع

وجنيتم ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضر

فهذا كله جيد بديع وقد زاد فيه على قول البحتري

حملت حمائله القديمة بقلةً من عهد عاد غضة لم تذبل

ويروي ـ من عهد تبع ـ ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ فعنى بها واغتفر له فيها الركاكة واللين المفرط كأبي العتاهية وعباس بن الاحنف ومن تابعهما وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية

يا اخوتي ان الهوي قاتلي فسيروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى فانني في شغل شاغل
عيني على عتبة منهلةٌ بدمعها المنسكب السائل
يامن رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل
بسطتُ كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

ان لم تنيلوه فقولوا له قولا جميلا بدلَ النائل
أو كنتم العامَ على عسرة منه فمنوه الى قابل

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليع اجتمعوا يوما فقال أبو نواس ليُنشد كل واحدمنكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسلما له وامتنعا من الانشاد بعده وقالا له أمامع سهولة هذه الالفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الاشارات فلا ننشد شيئاً وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضله غيره •• ومنهم من يؤثر المعنى علي اللفظ فيطلب صحته ولا يبالى حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم ان شاء الله تعالى •• وأكثر الناس علي تفضيل اللفظ عل المعنى سمعت بعض الحذاق يقول قال العلماء اللفظ أغلي من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فان المعانى موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل علي جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفى الاقدام بالاسد وفى المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفى الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعانى في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعني قدر •• وبعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل القصور الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت فى عين مبصرها •• وقال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ علي المعنى كثيراً في شعره وتآليفه الكلام الجزل أغنى عن المعانى اللطيفة منَ المعاني اللطيفة على الكلام الجزل وانما حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه النحاس •• ومن كلام عبد الكريم قال بعض الحذاق المعنى مثال واللفظ حَذوٌ والحذوُ يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته •• ومنه قول العباس بن الحسن العلوى فى صفة بليغ معانيه قوالب لالفاظه هكذا حكي عبد الكريم وهو الذى يقتضيه شرط كلامه ثم خالف فى موضع آخر فقال ألفاظه قوالب لمعانيه وقوافيه معدة لمبانيه والسجع يشهد بهذه الرواية الاخرى وهي التى أعرف •• والقالب يكون وعاء كالذي تُفرَغ فيه

الأواني ويعمل به اللبن والآجر وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به القوالك وتصابح عليه الأخفاف ويكون مثالاً كالذي تحذى عليه النعال وتفصل عليه القلانس فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة ٠٠ وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها الا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة كما فعل الأعشى قديماً وأبو نواس حديثاً فلا بأس بذلك والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة وانما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه ٠٠ ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي قال البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدود المعاني ٠٠ وقال غيره الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار ٠٠ وقال أبو عبادة البحتري

وكأنها والسمع معقود بها ... وجه الحبيب بدا لعين محبه

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو الاصل الذي وضع أولا وعليه المدار والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من

فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله

فلا وأبيك ما ظلمت قريع ... بأن يبنوا المكارم حيث شاؤا
ولا وأبيك ما ظلمت قريع ... ولا عنفوا بذاك ولا أساؤا
بعثرة جارهم أن ينعشوها ... فيغبر بعدها نعم وشاء
فيبني مجدها ويقيم فيها ... ويمشي ان أريد به المشاء
وان الجار مثل الضيف يغدو ... لوجهته وان طال الثواء
واني قد علقت بحبل قوم ... أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد

فوردن والعيوق مقعد رابيء الضرباء خلف النجم لا يتتلع
فشرعن في مجراة عذب بارد ... حصب البطاح تغيب فيه الأكرع
فشربن ثم سمعن حساً دونه ... شرف الحجاب وريب قرع يقرع
فنكرنه فنفرن فامترست له ... هوجاء هادية وهاد جرشع
فرمي فأنفذ من نحوص عائط ... سهما فخر وريشه متصمع
فبدا له أقراب هاد رائغاً ... عنه فعيث في الكنانة يرجع
فرمى فألحق صاعدياً مطحراً ... بالكشح فاشتملت عليه الاضلع
فأبدهن حتوفهن فهارب ... بذمائه أو بارك متجعجع

فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرد له ولم ينحل عقده ولا اختل بناؤه ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته اياه لما تمكن له هذا التمكن واستطرفوا ماجاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره فأما اذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وإيثار الكلفة وليس يتجه البتة أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد كالذي يأتي من أشعار حبيب والبحتري وغيرهما وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها .. فأما حبيب

فيذهب الي حزونة الافظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرهاً يأتي للاشياء من بعد و يطلبها بكلفة و يأخذها بقوة •• وأما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهباً في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة •• وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنعاً من عبد الله بن المعتز فان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافي وأوزاناً ولا أرى وراءه غاية لطالبها في هذا الباب غير انا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرّقا الى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلة وأكثرا منها في أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس وجسرهم عليها على أن مسلما أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً وهو أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وكثر منها •• ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع إلاّ النبذ اليسيرة وهو زُهير المولدين كان يبطئ في صنعته و يجيدها •• وقالوا أول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هَرْمة وهو ساقة العرب وآخر من يستشهد بشعره •• ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمرى ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء حبيب الطائى والوليد البحترى وعبد الله بن المعتز فانتهى علم البديع والصنعة اليه وخُتمَ به •• وشبه قوم أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة وحسن الديباجة والمعرفة بمدح الملوك •• وأما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ومن كلامهم بشار أبو المحدثين •• وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول انما سُمي الأعشى صنّاجة العرب لأنه أول من ذكر الصنجَ في شعره •• قال ويقال بل سمى صناجة لقوة طبعه وحلية شعره يُخيلُ لك اذا أنشدته أن آخر ينشد معك •• ومثله من المولدين بشار بن برد تنشد أقصر شعره عروضاً وألينه كلاماً فتجد له في نفسك هزّة وجَلبة من قوة الطبع وقد أشبهه تصرفاً وضرباً في الشعر وكثرة عروض مدحاً وهجاء وافتخاراً وتطويلا •• انقضى كلام أبي عبد الله رجعنا الى القول في الطبع والتصنيع •• ولسنا ندفع أن البيت اذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه

الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلهما الا أنه اذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعاً واتفاقاً اذ ليس ذلك في طباع البشر . . وسبيل الحاذق بهذه الصناعة اذا غلب عليه حب التصنيع أن يترك للطبع مجالا يتسع فيه . . وقيل اذا كان الشاعر مصنعاً فان جيده من سائر شعره كأبي تمام فصار محصوراً معروفاً بأعيانه واذا كان الطبع غالباً عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريباً من قريب كالبحتري ومن شاكله . . وقد نص ابن الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثي بها عبد الله بن طاهر

فله شهامة سوذنيق باكر وحوافر حفر ورأس صتم

وذكر قول حبيب بحوافر حفر وصلب صلب

فحفل به واعتذرله وخرج التخاريج الحذان وذكران الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر الا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لوتم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا وان التسليم له والرجوع اليه أحزم غير أنني لو شئت أن أقول ولست راداً عليه ولا معترضاً بين يديه أن المعنى الذي أراده وأشار اليه من جهة الطائي انما هو معنى الصنعة كالتطبيق والتجنيس وما أشبههما لا معنى الكلام الذي هو روحه وان اللفظ الذي ذكر أنه لا يبالي به انما هو فصيح الكلام ومستعمله ويدلك على صحة ما ادعيته على ابن الرومي قوله ان الحافر الوأب والمقعب أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر فكلامه راجع الى ما قاله في الطائي غير مخالف له وان كان في الظاهر على خلافه لساغ ذلك الا أن أكثر الناس على ما قال وانما هذا معرض للكلام لا مخالفة . . وقال الجاحظ كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً الا أن يكون المتكلم به بدوياً اعرابياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي قال وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه فقال والله ما هو بغريب ولكنكم في الادب غرباء . . وعن غيره أن رجلا قال للطائي في مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يفهم فقال له وأنت لم لا تفهم

من الشعر مايقال ففضحه . . ويروي أن هذه الحكاية كانت مع أبى العميثل وصاحب له خاطباه فأجابهما . . وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب انما حبيب كالقاضى العدل يضع اللفظة موضعها ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفاً على دينه وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجرئ يهجم على ما يريده لا يبالى ما لقى ولا حيث وقع . . وكان الاصمعى يقول زهير والنابغة من عبيد الشعر يريد أنهما يتكلفان اصلاحه و يشغلان به حواسهما وخواطرهما ومن أصحابهما فى التنقيح وفى التثقيف والتحكيك طفيل الغنوى . . وقد قيل ان زهيراً روى له وكان يسمي محبراً لحسن شعره ومنهم الحطيئة والنمر بن تولب وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيس . . وكان بعض الحذاق بالكلام يقول قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه وهذا هو معنى قول الاصمعي وسأحلى هذا الباب من كلام السيد أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة واختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة لاوفى بذلك بعض ما ضمنت وأقضى به حق ماشرطت ان شاء الله فمن ذلك قوله بتاهرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق الى أهله

ولى كبدٌ مكلومةٌ من فراقكم أطامنها صبراً على ما أجنَّتِ
تمنتكم شوقاً اليكم وصبوةً عسي الله أن يدنى لها ماتمنَّت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا اذا عنَّ ذكرُ القيروان استهلت

فلو أن اعرابياً تذكر نجداً فحن به الى الوطن أو تشوق فيه الى بعض السكن ماحسنته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضرى المتأخر العصر وما أحط بهذا التمييز فى هواى ولا أتنفقُ بهذا القول عند مولاى ولا الخديعة مما نظن به ولا فيه ولكن رأيت وجه الحق فعرفته والحق لا يتلثم وما هو فى بلاغته وإيجازه الا كما قال الأحيمر السعدى فى وصيته

من القولِ مايكفي المصيبَ قليلهُ ومنه الذى لايكتفي الدهرَ قائله
يصد عن المعنى فيترك ما نحى ويذهبُ فى التقصير منه يطاوله
فلا تكُ مكثاراً تزيدُ على الذى عنيتَ به فى خطب أمرٍ تزاوله

باب في الاوزان

الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة الا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن وقد لا يكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان وأسمائها وعللها لنبو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره والضعيف الطبع محتاج الى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن .. وللناس في ذلك كتب مشهورة وتواليف مفردة و بينهم فيه اختلاف وليس كتابي هذا يحتمل شرح ذلك ولا هو من شرطه فراراً من التكرار والتطويل ولكني أذكر نتفاً يحتاج اليها و يكتفي بها من نظر من المتعلمين في هذا الكتاب ان شاء الله .. فأول من ألف الأوزان وجمع الاعاريض والضروب الخليل بن احمد فوضع فيها كتاباً سماه العروض استخفافاً والعروض آخر جزء من القسم الأول من البيت وهي موثنة وتثنى وتجمع الا أن يكون لهذا الجنس من العلم والضرب آخر جزء من البيت من أى وزن كان .. ثم ألف الناس بعده واختلفوا على مقادير استنباطاتهم حتى وصل الأمر الى ابى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري فبين الأشياء وأوضحها في اختصار والى مذهبه يذهب حذاق أهل الوقت وأرباب الصناعة فأول ما خالف فيه ان جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية منها اثنان خماسيان وهما فعولن وفاعلن وستة سباعية وهي مفاعيلن وفاعلاتن ومستفعلن ومفاعلتن ومتفاعلن ومفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على أنه منقول من مستفعلن مفروق الوتد أى مقدم النون على اللام لانه زعم لو كان جزءاً صحيحاً لتركب من مفرده بحر كما تركب من سائر الاجزاء يريد أنه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا تكرر في قسم منه وعد الخليل أجناس الاوزان فجعلها خمسة عشر جنساً على أنه لم يذكر المتدارك وهي عنده الطويل والمديد والبسيط في دائرة ثم الوافر والكامل في دائرة ثم الهزج والرجز والرمل في دائرة ثم السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث في دائرة ثم المتقارب وحده في دائرة .. وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر فحكي عن

الخليل شيئاً أخذتُ به اختصاراً وتقليداً لانه أول من وضع علم العروض وفتحه للناس وغادرت ما سوى ذلك من قول ابى اسحاق الزجاج وغيره لاعلى أن فيه تقصيراً ٠٠ ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الاخفش قال سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لم سميت الطويل طويلا قال لانه طال بتمام أجزائه قلت فالبسيط قال لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن قلت فالمديد قال لتمدد سباعيه حول خماسيه قلت فالوافر قال لوفور أجزائه وتداً بوتد قلت فالكامل قال لان فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر قلت فالهزج قال لانه يضطرب شبه بهزج الصوت قلت فالرجز قال لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام قلت فالرمل قال لانه شُبه برمل الحصير لضم بعضه الى بعض قلت فالسريع قال لانه يسرع على اللسان قلت فالمنسرح قال لانسراحه وسهولته قلت فالخفيف قال لانه أخف السباعيات قلت فالمقتضب قال لانه اقتُضب من السريع قلت فالمضارع قال لانه ضارع المقتضب قلت فالمجتث قال لانه اجتُثّ أي قطع من طويل دائرته قلت فالمتقارب قال لتقارب أجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً ٠٠ وجعل الجوهري هذه الاجناس اثنى عشر باباً على أن فيها المتدارك سبعةٌ منها مفردات وخمسةٌ مركبات قال فأولها المتقارب ثم الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة ٠٠ وزعم أن الخليل انما أراد بكثرة الالقاب الشرح والتقريب قال والا فالسريع هو من البسيط والمنسرح والمقتضب من الرجز والمجتث من الخفيف لان كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر وكل بيت ركب من مستفعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر وعلى هذا قياس سائر المفردات والمركبات عنده ٠٠ والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويخبن فيصير فعلن وشعر عمرو الجنى منه وهو الذى يسميه الناس اليوم الخبب ٠٠ وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الاجزاء وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط فيقابل الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك ويظهر حرف التضعيف وتسقط ألف الوصل ولام

التعريف اذا لم تظهر في دَرْج الكلام وتثبت النون بدلا من التنوين ويعد الوصل والخروج حرفين وهذا هو الاصل المحقق لأن الاوزان انما وقعت على الكلام والكلام لا محالة قبل الخط لان الألف صورة هوائية لا مستقر لها ولان المضاعف يجعل حرفا واحداً ولأن التنوين شكل خفي وليس في جميع الاوزان ساكنان في حشو بيت الا في عروض المتقارب فان الجوهري أنشد وأنشده المبرد قبله

ورمنا القصاص وكان التقاص فرضاً وحتما على المسلمين

قال الجوهري كأنه نوى الوقوف على الجزء والا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به في حشو بيت •• قال صاحب الكتاب الا أن سيبويه قد أنشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحهِ مرّ عقاب كاسر

باسكان الحاء وادغامها في الهاء والسين قبلها ساكنة •• وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء سبب ووتدٍ وفاصلةٍ •• فالسبب نوعان خفيف وهو متحرك بعده ساكن نحو ما وهلْ وبلْ ومَن وثقيل وهو متحركان نحو لِمَ وبِمَ اذا سألت وقد أنكره بعض المحدثين •• والوَتدُ أيضاً نوعان مجموع وهو متحركان بعدهما ساكنٌ نحو رمى وسعي ومفروق وهو ساكن بين متحركين نحو قال وباع •• والفاصلةُ فاصلتان صغرى وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو بلغت وما أشبه ذلك وكبري وهي أربع متحركات بعدها ساكن نحو بلغني و بلغنا وما أشبه ذلك وهي تأتي في جزء من الشعر بعينه وهو فَعِلتن ولا تأتي البتة باجماع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين في آخر جزء ومثلهما في أول جزء وآخرَ يليه ولا يجتمع في الشعر خمس متحركات البتة •• ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضهما على بعض فتتركب الفواصل منهما •• وبعض المتعقبين أظنه الملقب بالحمار يسمي الفاصلتين وتداً ثلاثياً ووتداً رباعياً والسبب عنده نوعان منفصل نحو من ومتصل نحو لمن فاللام عنده وحدها سبب متصل والميم والنون سبب هو منفصل لمّا كان لحركة الميم نهاية وهي النون الساكنة ولو كانت متحركة لم تكن نهاية •• وأما الزحاف فهو ما يلحق أيّ جزء كان من الاجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيره أو تسكينه ولا يكاد يسلم منه شعر •• ومن الزِحاف ماهو أخف من

التام وأحسن كالذي يستحسن في الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة مثال ذلك مفاعيلن في عروض الطويل التام تصير مفاعلن في جميع أبياته وهذا هو القبض وكل ماذهب خامسه الساكن فهومقبوض •• وفاعلن في عروض البسيط التام وضربه يصير فعلن وذلك هو الخبن وكل ماذهب ثانيه الساكن فهو مخبون •• ومفاعلتن في عروض الوافر التام وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مفاعل فخالفه فعولن وهذا هو القطف •• وليس في الشعر مقطوف غيره •• ويخف على المطبوع أبداً أن يجعل مكان مستفعلن في الخفيف مفاعلن يظهر له أحسن •• ومنه أعني الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره كالقبل اليسير والفلج والالثغ مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب

لعلك إما أمُّ عمرو تبدلت سواك خليلا شاتمي يستجيرها

فنقص سا كناً بعد كاف سواك وهونون فعولن وهذا هو القبض ومن رواه خليلا سواك قبض الياء من مفاعيلن وهو أشد قليلا •• ومنه مايحتمل على كره كالقدع والوكم والكزم في بعض الحسان ومثاله في الشعر كثير وكفاك قول امرئ القيس بن حجر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيدَ ومن حجر

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ونائلَ ذا اذا صحى واذا سكرْ

فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعمل في معناه مثله الا أنه على ماتراه من الزحاف المستكره حكي ذلك أبو عبيدة •• ومنه قبيح مردود لاتقبل النفس عليه كقبح الخلق واختلاف الاعضاء في الناس وسوء التركيب مثاله قصيدة عبيد المشهورة

• أقفرَ من أهله ملحوبُ •

فانها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها حتى قال بعض الناس انها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها •• وقال الاصمعي الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدمُ عليها الا فقيه •• وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها وان يستحلي الضروب ويأتي بألطفها موقعاً وأخفها مستمعاً وأن يجتنب عويصها ومستكرهها فان العويص مما يشغله ويمسك من عنانه ويوهن قواه ويفتُّ في عضده ويخرجه عن مقصده

.. وقد يأتون بالخرم كثيراً وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت وأ كثر ما يقع في البيت الأول وقد يقع قليلا في أول عجز البيت ولا يكون أبداً الاَّ في وتد وقد أنكره الخليل الله فلم يُجزه وأجازه الناس .. أنشد الجوهري

قدّمتُ رِجلاً فان لم تزِع قدمت الأخرى فنات القرارا

وأنشد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري لامرئ القيس

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابنُ جريج كان في حِمصَ أنكرا

هكذا روايته ورواه غيره *ولابنُ جريج* بغير خرم فاذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرمُ وهو قبيحٌ .. وهذان عيبان تدلك التسمية فيهما على قبحهما لأن الخرم في الأنف والثرم في الفم وانما كانت العرب تأتي به لان أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ثم يرى فيه رأياً فيصرفه الى جهة الشعر فمن ههنا احتمل لهم وقبح على غيرهم .. ألا ترى أن بعض كتاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله

* هنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبُهْ *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب .. ويأتون بالخزم بزاي معجمة وهو ضد الخرم بالراء غير معجمة الناقص منهما ناقص نقطة والزائد زائد نقطة وليس الخزم عندهم بعيب لان أحدهم انما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن اذا سقط لم يفسد المعنى ولا أخل به ولا بالوزن وربما جاء بالحرفين والثلاثة ولم يأتوا بأ كثر من أربعة أحرف أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضى عنه

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

فزاد أشدد بياناً للمعنى لانه هو المراد.. قال كعب بن مالك الانصاري يرثي عثمان بن عفان رضى الله عنه

لقد عجبتُ لقومٍ أسلموا بعد عزهم إمامهم للمنكراتِ وللغدرِ

فزاد لقد على الوزن هكذا أنشدوه... وأنشد الزجاج وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته

نحن قتلنا سيدَ الخز رج سعدَ بن عباده
رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فزاد على الوزن نحن وأنشد الزجاج أيضاً

« بل لم تجزعوا يا آل حرب بجزعنا »

فزاد بل وأنشد أيضاً

يا مطرَ بن خارجةَ بن سلمةَ انني أجفا وتغلقُ دونيَ الابواب

وانما الوزن مطر بن خارجة والياء والألف زائدة ٠٠ ومما جاء فيه الخزم في أول عجز البيت وأول صدره وهو شاذ جداً قول طرفة

هل تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضرُّ معدماً عدمه

فزاد في أول صدر البيت هل وزاد في أول العجز اذ والبيت من قصيدته المشهورة

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممُهْ

وقال جريبةُ[1] بن الاشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الانصارى

لقد طال إيضاعي المخدَّم لا أرى في الناس مثلي من معد يخطب
حتى تأوبت البيوت عشيةً فوضعت عنه كورهُ تتثاءبُ

فاللام في لقد زائدة وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم وقالت الخنساء

أقذًى بعينك أم بالعين عُوَّارُ أم أوحشت اذخلت من أهلها الدار

فزادت ألف الاستفهام ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً وروي ان أبا الحسن ابن كيسان كان ينشد قول امريء القيس

كأنَّ ثبيراً في عرانين وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول وكأنَّ ذُرَي رأس المجيمر غُدْوَةً
وكأنَّ السباع فيه غَرْقى عشيةً

(١) ن خزيمة وأخرى حريثة

معطوفا هكذا ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض •• وقال عبد الكريم بن ابراهيم مذهبهم فى الخزم أنه اذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التى تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة •• وأخذ الخزم من خزامة الناقة ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت •• وقد قال غيره انما أسقطوه كأنهم يتوهمون انه في السكتة فلذلك جعلوه فى الوتد المجموع لأن المفروق لوأسقطواحركته الأولى لبقي أوله ساكنا ولا يبتدأ بالساكن فيسقط أيضاً والسكتة لا تحتمل عندهم إلا حرفا واحداً وهذا اعتلال مليح بين جداً •• ومن التزحيف في الأوساط الإقعاد وهو أن تذهب مثلاثون متفاعلن أو مستفعلن فى عروض الضرب الثانى من الكامل وتسكن اللام فيصير عروضه كضربه فعلاتن أو مفعولن كما قال الشاعر وهذا هو القطع عند أصحاب القوافى

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زهيرٍ ترجوالنساءُ عواقبَ الأطهارِ

فجاء هذا على معني التصريع وليس به فهو عيب وأقبح منه قول الآخر

انى كبرتُ وانَّ كل كبيرٍ مما يضنّ به عليَّ ويُفترُ

لأنه أتي بالعروض دون الضرب بحرف لا لتوهم تصريع ولا إشكال وانما نذكر مثل هذا ليجتنبَ اذا عُرِفَ قبحه •• وجاء منه فى الطويل قول النابغة الذبيانى

جزا الله عبساً عبس آل بغيض جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فعلْ

أنشده النحاس •• وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلى

لعمرى لقد بَرَّ الضبابَ بنوه وبعض البنين حمةٌ وسُعالُ

هكذا روايته بالحاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه غمة بالغين معجمة •• وزعم الجمحى أن الاقعاد لا يجوز لمولد وقد أتى به البحترى فى عروض الخفيف فقال يهجو شاعراً

ليس ينفك هاجياً مضروبا ألفَ حدٍّ ومادحا مصفوعا

قياساً على قول الحارث بن حلزة اليشكري

أسد في اللقاء ذو أشبال ‏ ‏ ‏ ‏ وربيع ان شنعت غبراء

وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف اقواء وسأذكره في أبواب القوافي ان شاء الله تعالى ..
ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء .. ابتداء وهو ما كان في أول البيت مما لا يجوز مثله في الحشو كالثلم في الطويل والعصب في الوافر والخرم في الهزج .. وفصل وهو ما كان ملتزماً في نصف البيت الذي يسمى عروضاً مثل مفاعلن في عروض الطويل وفاعلن في عروض المديد وما جرى مجراها هذا هو الحقيقة .. وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مرذكرها آنفا .. واعتماد وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء الذي قبل الضرب كقول امرئ القيس

أعني على برق أراه وميض ‏ ‏ ‏ ‏ يضيء حبياً في شماريخ بيض

فأثبت ياء شماريخ وهي مكان النون من فعولن وكان الأجود أن يسقطها بالقبض لمكان الاعتماد لأن السبب قد اعتمد علي وتدين أحدهما قبله والآخر بعده فقوي قوة ليست لغيره من الاسباب فحسن الزحاف فيه والاعتماد في المتقارب سلامة الجزء من الزحاف .. وغاية وهو ما كان في الضرب الذي هوجزء القافية ملتزما مخالفا للحشو كالمقطوع والمقصور والمكشوف والمقطوف وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت .. قالوا وأكثر الغايات معتل لأن الغاية اذا كانت فاعلاتن أوفعولن أومفاعيلن فقد لزمها أن لاتحذف سواكن أسبابها لأن آخر البيت لا يكون متحركا هذه حقيقة ماذكر وأما المجاز والاتساع فكثير .. ويتصل بالغايات أنواع أخر فمن ذلك معرفة مايلزمه حرف المد واللين الذي هوالردف مما لا يلزمه ذلك أجمع حذاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتم بنائه حرف متحرك عوض حرف المد واللين من ذلك الحرف فلم يجيء الا مردفاً بواو أو ياء أو ألف .. ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف مثل مفعلن في الخفيف .. ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن فهو لا يوجب الردف فان ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك لم يلزمه الردف واذا التقى ساكنان ألزموه الردف .. فما سقط فألزم حرف المد فعولن المحذوف في الطويل لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت

اللام فقط •• ومن المديد فاعلان المقصور •• ومن البسيط فعلن المقطوع •• والفرق بين القطع والقصر أن القصر فى الأسباب والقطع في الأوتاد وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقة •• والردف انما يكون عوضاً مما بعده لا مما قبله •• ومن الكامل فعلاتن المقطوع ومن الرجز مفعولن المقطوع ومن الرمل فاعلاتن المقصور ومن المتقارب فعول المقصور •• ومما التقى فيه ساكنان وألزموه الردف مستفعلان المذال فى البسيط وفيه اختلاف •• أما من ألزمه الردف فلالتقاء الساكنين أقاموا المد منهما مقام الحركة •• وأما من لم يلزمه الردف فلأنه قدتم وزيد على تمامه •• والارداف انما يأتى عوضاً من النقصان لا من الزيادة •• وفي الكامل متفاعلان المذال وفى الرجز شاذ أنشده أبو زهرة النحوى فى كتاب العروض وهو

كأننى فوق أقبّ سهوَق جاب إذا عشر صاتِ الإرنان

وفى الرمل فاعلان وحدها والقول فيها كالقول فى مستفعلان المذال فى البسيط وفاعلات فى السريع وهو مذيّل من البسيط عند الجوهرى فأما على ماعند من سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية أي ساقطة الواو ومفعولات فى مشطور السريع أيضاً •• وفى منهوك المنسرح يلزمها حرف اللين فعلى هذا اجماع الحذاق الا سيبويه فانه رخص فيه لموافقة الوزن مردفا وغير مردف وأنشد قول امرئ القيس

ولقد رحلتُ العيس ثم زَجرتُها وَهناً وقلتُ عليكِ خيرَ مَعدّ

وقول الراجز

انْ تُمنعِ اليوم نساءٌ يُمنعنْ

باسكان العين والنون •• وكان الجرمى والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله كالسناد والاكفاء يحكي ولا يعمل به الا أن أبا نواس فى قوله

لا تَبكِ ليلى ولا تَطرَبْ الي هند

أخذ بقول سيبويه وهو قليل •• والقياس الاول حسن مطرد وهو المختار •• ومن أهم أمور القافيات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً •• قال أبوالقاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافى الشعر ثلاثة وستون ضرباً لا يجوز اطلاق مقيد منها الا انكسر الشعر ما خلا ثلاثة أضرب أحدها في الكامل

أبنيّ لا تَظلم بمكـــةَ لا الصغيرَ ولا الـكبير

وهذا هو الضرب السابع يسمي مذالا وان شئت قلت ـ ولا الـكبيرا ـ فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرَفل ٠٠ والضرب الثاني في الرملُ وهو قول زيد الخيل

يا بني الصيداء رُدُّوا فرسي إنما يُفعل هذا بالذَّليل

وهو الضرب الثاني منه فان أطلقته صار أول ضرب منه ٠٠ والضرب الثالث في المتقارب أنشد الاصمعي وأبو عبيدة

كأني ورحلي اذا زُعتها على جَمزَى جازئٍ بالرمال

غير أن سيبويه أنشده فيما يجوز تقييده واطلاقه

صفيةُ قومي ولا تعجزي وبكي النساء على حَمزَه

وهو من المتقارب ان أطلق كان محذوفا وان قيد كان أبتر ٠٠ وقد أنشد أبو زيد سعيد ابن أوس بن ثابت الأنصاري لعمرو بن شاس قال والشعر مقيد

وما بيضة بات الظليم يحفها الى جؤجؤ جافٍ بميثاء محلال

بأحسن منها يوم بطن قُراقرٍ تخوض به بطن القطاة وقد سال

لطيفة طي الـكشح مضمرة الحشى هضيم العناق هونة غير مجبال

تميل على مثل الـكثيب كأنها نقيٌ كلما حرَّكتَ جانبه مال

هذا شيء لم يذكره العروضيون وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء كما حمــل قول امرئ القيس

أحنظل لو حاميتم وصبرتم لأثنيت خيراً صالحاً ولأرضان

ثياب بني عوف طهاري نقية وأوجههم عند المشاهد غران

عوَيرٌ ومن مثل العوَير ورهطه وأسعدَ في ليل البلابل صفوان

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبرَّ بأيمــان وأوفى بجيران

الا أن الأخفش والجرمي فانهما يرويان هذا الشعر موقوفا ولا يريان فيه اقواء وهذا عند

سيبويه لا بأس به .. وقد صوب الناس قول الخليل في مخالفة هذا المذهب وأنشد بعض المتعقبين أظنه البازي العروضي

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد قال الا أنه يدخله عيب لترك حرف اللين وهو كثير جداً وليس الابتداء والفصل والاعتماد والغاية بعلل ولكنها مواضع العلل فأقيم المضاف اليه مقام المضاف .. وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة فأما المعاقبة فهي أن يتقابل سببان في جزأين فهما يتعاقبان السقوط يسقط ساكن أحدهما لثبوت ساكن الآخر ويثبتان جميعاً ولا يسقطان جميعاً والمعاقبة بين سببي جزأين من جميع الاوزان في أربعة أنواع المديد والرمل والخفيف والمجتث وهو عند الجوهري ضرب من الخفيف فاذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله وتد دخله الزحاف فهو بريء من المعاقبة اذ ليس قبله ما يعاقبه ولأن الوتد لا يعاقب السبب فاذا زوحف ثاني الجزء لمعاقبة ما بعده فهو عجز فان زوحف أوله لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده فهما طرفان وياء مفاعيلن في الطويل والهزج يعاقب نونها وكذلك سين مستفعلن في الكامل تعاقب فاءها .. والمراقبة أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ولا يسقطان جميعاً البتة وكذلك لا يثبتان جميعاً وهي من جميع الأوزان في المضارع والمقتضب والجوهري يعد المقتضب من الرجز كما قدمت فهي من المضارع في سببي مفاعيلن أعني الياء والنون اما ان يأتي مفاعيلن مقبوضاً أو مفاعيلن مكفوفاً ومن المقتضب في سببي مفعولات أعني الفاء والواو اما أن تخبن فتصير مفاعيل واما أن تطوى فتصير فاعلات ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذي قبله أعني المضارع سالماً البتة .. والفرق بين المعاقبة والمراقبة أن سببي المعاقبة يثبتان معا وان سببي المراقبة لا يثبتان معا وان المعاقبة في جزأين الا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج ومستفعلن في الكامل وان المراقبة في جزء واحد .. وسأفرد لباقي الزحاف بابا أذكره فيه مع المشطور ان شاء الله تعالى ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف الا ما خف منه وخفي ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند

الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا اليه •• ولسنا نري الزحاف الظاهر في شعر محدث الا القليل لمن لا يتهم كالبحتري وما أظنه كان يتعمد ذلك بل على سجيته لانه كان بدويا من قري منبج ولذلك أعجب الناس به وكثر الغناء في شعره استظرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة •• وذكر ابن الجراح انه من أهل قنسرين والعواصم وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم ان شاء غير متكلف به شعراً الا ما ساعده عليه الطبع وصح له فيه الذوق لانى وجدت تكلف العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق الا في الشعر خاصة فان عمله بالطبع دون العروض أجود لما في العروض من المسامحة في الزحاف وهو مما يهجن الشعر ويذهب برونقه

باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمي شعراً حتي يكون له وزن وقافية هذا علي مَن رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدل بأن المصرّع أدخل في الشعر وأقوى من غيره •• وأما ما قد أراه فقد قدمته في باب الأوزان واختلف الناس في القافية ماهي فقال الخليل القافية من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذى قبل الساكن والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعضَ كلمة ومرةً كلمةً ومرةً كلمتين كقول امرئ القيس

* كجُلمود صخر حطه السيل من عل *

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروى في اللفظ الى نون من مع حركة الميم وهاتان كلمتان •• وعلي وزن هذه القافية قوله

* اذا جاش فيه حَميه غليُ مِرْجلِ *

فالقافيةُ مرْجل وهي كلمة وعلى وزنها قوله

* ويلوي بأثواب العنيف المثقَّلِ *

فالقافية من الثاء الى آخر البيت وهذا بعض كلمة .. وتابعه على هـذا أبو عمر الجرميُّ وأصحابه وهو قول مضبوط محقق يشهد بالعلم .. وقال الأخفش القافيـة آخر كلمة من البيت واستدل على صحة ذلك بأنه لوقال لك انسان أكتب لى قوافى قصيدة لكتبت له كلمات نحو كتاب ولعاب وركاب وصحاب وما أشـبه ذلك وهو المتعارف بين الناس اليوم أعنى قول الأخفش وكل كلمة من قوله عَلِ وقوله مِرْجلِ وقوله المتقلِ فى شعر امرىء القيس قافية بذاتها عند الأخفش فعلى هذين القولين مدار الحـذاق فى معرفة القافية .. ورأي الخليل عندي أصوب وميزانه أرجح لان الأخفش ان كان انما فر من جعله القافية بعض الـكلمة دون بعضها فقد نجـد من القوافى ما يكون فيها حرف الروي وحده القافية على رأيه فان وزن معه ما قبله فأقامها مقام كلمة من الـكلمات التي عدها قوافي كان قد شرك القافية بعض كلمةأخرى مما قبلها فاذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة مثال ذلك ما شا كل قول أبى الطيب

طوى الجزيرةَ حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الـكذب

حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرقُ بى

فالقافية في البيت الأول على قوله الـكذب لولا أن الالف فيه ألف وصل نابت عنها لام الى فان قال القافية فى البيت الثانى يشرق بى رجع ضرورة الى مذهب الخليل وأصحابه لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل وهى ههنا ضمير المتكلم الى شين يشرق مع حركة الياء التي قبلها فى أول الـكلمة وان جعل القافية باء الخفض التي في موضع الروى وياء الضمير التي قامت مقام الوصل رجع الى قول مَن جعل القافية حرف الروى وهو خلاف مذهبـه وليس بشيء لانه لو كان صحيحاً لجاز في قصيدةٍ واحدةٍ فجر وفجار وفاجر وفجور ومنفجر وانفجار ومفجر ومتفجر ومفجور وهذا لا يكون أبداً الا أن الفراء يحيي بن زياد قدنص فى كتاب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروى واتبعه على ذلك أكثر الـكوفيين منهم احمد بن كيسان وغيره وخالفه من أهل الـكوفة أبو موسى الحامض فقال القافية مالزم الشاعر تكراره فى آخر كل بيت .. وهذا كلام مختصر مليح الظاهر الا أنه اذا تأملته كلام الخليل بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان

.. ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت .. قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت وحكى أنهم سألوا اعرابياً وقد أنشد

* بنات وطاء على خد الليل *

ماالقافية فقال خد الليل .. ولا أدرى كيف قال أبو القاسم هذا لان خد الليل كلمتان وليستا حرفين الا اتساعاً وذاهو آخر جزء من البيت على قول من قاله ولو قال قائل ان الاعرابي انما أراد الياء واللام من الليل علي مذهب من يري القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائغاً لان الاعرابي لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية الياء واللام من الليل فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .. ومنهم من جعل القافية فى الجزء الآخر من البيت وقال لا يسمى بيتاً من الشعر مادام قسيما أول .. ومنهم من قال البيت كله هو القافية لانك لاتبنى بيتاً على أنه من الطويل ثم تخرج منه الى البسيط ولا الي غيره من الاوزان .. ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها وذلك اتساع ومجاز .. وسميت القافية قافية لانها تقفو إثر كل بيت .. وقال قوم لانها تقفو اخواتها والأول عندي هو الوجه لانه لو صح معنى القول الاخير لم يجز أن يسمي آخر البيت الأول قافية لانه لم يقف شيئاً وعلى أنه يقفو اثر البيت يصح جداً .. وقال أبوموسي الحامض هى قافية بمعنى مقفوة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية بمعنى مرضية فكأن الشاعر يقفوها أى يتبعها وهذاقول سائغ متجه .. وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غنى عن ذكره فى هذا الموضع مجملا مختصر البيان والايضاح ان شاء الله تعالى .. فأقول إن الشعر كله مطلق ومقيد فالمقيد ما كان حرف الروى فيه ساكناً وحرف الروى الذى يقع عليه الاعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر فى كل بيت وان لم يظهر فيه الاعراب لسكونه وليس اختلاف اعرابه عيباً كما هو فى المطلق اقواء وحركة ماقبل الروى فى المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيه .. وقال غيره فى المطلق والمقيد جميعاً يسمي التوجيه مالم يكن الشعر مردفاً ويجوز فى التوجيه التغيير فيكون سناداً عند بعض العلماء وكان الخليل يجيزه على كره من جهة الفتحة فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء فى الردف والفتحة كالالف وأنشدوا

* أحارِ بنَ عمرو كأني خَمِرْ *

وفي القصيدة * وكندةُ حولي جميعاً صُبُرْ *

وفيها * تحرقت الارضُ واليوم قَرْ *

فاختلف التوجيه بالكسر والضم والفتح .. وقد سمى ابن قتيبة وأبو عبيدة وغيرهما هذا العيب اجازة الا أن منهم من جعل الاجازة اختلاف حركة الروى فيما كان وصله هاء ساكنة خاصة وأنشدوا

الحمـــد لله الذي يعفو ويشتد انتقامُهْ

في كرههم ورضاهم لايستطيعون اهتضامَهْ

وأنشد آخرون في مثل ذلك الا أن منهم من أطلق الهاء

فديتُ من أنصفني في الهوا حتى اذا أحكمه مله

آمنَ ما كنتُ ومن ذا الذي قبلي صفى العيشُ له كله

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ماقبل الروى في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً صنع ذلك في قصيدته القافية في السوداء وفي مطولته * أبين ضلوعي جمرة تتوقد * قال شيخنا أبو عبد الله الاجازة بالزاى معجمة اختلاف حركات ما قبل الروى وهو مأخوذ من اجازة الحبل وهو تراكب قواه بعضها على بعض فكأن هذا اختلفت قوى حركاته .. وقد حكي ابن قتيبة عن ابن الاعرابي مثل قول أبي عبدالله وقال هو مأخوذ من اجازة الحبل والوتر .. والمطلق نوعان أحدهما ماتبع حرف رويه وصلٌ فقط .. والوصل أحد أربعة أحرف الياء والواو والالف والهاء ينفرد كل واحد منها بالقصيدة حتي تكمل فما وصله ياء قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

فبعد اللام ياء في اللفظ لا يقوم الوزن الا بها ومما وصله واو

أمن المنون وريبها تتوجعُ

فبعد العين في اللفظ واو كذلك ومما وصله ألف أيتها النفسُ اجملي جزَعا

فبعد العين ألف ثابتة في الخط وانما أثبتوها دون الياء والواو لخفتها مرة وكونها عوضاً

من التنوين مرة وعما وصله هاء　　　　أشجاكَ الرَّبعُ أو قِدَمُهُ

وكل وصل ساكن ما خلا الهاء فانها تكون ساكنةً ومتحركةً وسيرد عليك ذكرها ان شاء الله تعالى .. واذا كان ماقبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن الا حرف روي لاغير لان الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً واعلم أن المقيد لاوصل له فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكنا لانها أخف من ذلك واذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا الا رويا عندسيبويه واذا انكسر ما قبلها أو انضم كنت فيهما بالخيار وكذلك الألف اذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار .. وأما الياء المشددة المكسور ماقبلها مع الياء المشددة المفتوح ماقبلها فرأيُ القاضي أبي الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ماقبلها ردفا ويكون المفتوح ما قبلها اما ردفا لما بقي فيها من المد واما غير ردف لذهاب أكثر المدمنها فتكون على المذهب الاول مثل قضينا مع رضينا وهذا سناد وعلى المذهب الثاني مثل ارداف بيت وترك ارداف الآخر كقول حسان بن ثابت ـ ولا توصه ـ في بيت ثم قال في الآخر ـ ولا نعصه ـ وهذا أيضا سناد .. وله رأي ثالث وهو أن تكون الياآن لما أدغمت احداها في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر والاَّ فترك التشديد جائز له .. وهذا قول الخليل والاخفش جميعا وقد أنكره الجرمي وأبو سعيد السيرافي .. وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة الا أن تكون من نفس الكلمة فانك تكون فيها بالخيار وان شئت جعلتها رويا وان شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ماقبلها فجعلته رويا .. وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع . قال أبو الطيب

أنا بالوشاةِ اذا ذكرتكَ أشبهُ　　　　تأتي الندى ويذاع عنك فتكره

واذا رأيتك دون عِرض عارضا　　　　أيقنتُ أن الله يبغي نصره

فغلط في التصريع لانه التزم فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمح بهاء تكره فصيرها صلة وان كانت من نفس الكلمة .. وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال

أفني العداةَ إمامٌ ماله شبه　　　　ولا ترى مثله يوما ولم تره

ضار اذا انقض لم تحرم مخالبه مستوفز لاتباع الحق منتبه

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

وقال أيضا يصف كلاب الصيد فى أرجوزة

ان خرطت من قدها لم ترها الا وما شاءت من الصيد لها

تمسكه عضا ولا يدمى به غريزة منهن أو تفقها

ووقع بشار بن برد على تقدمه عليهما فى مثل ذلك فقال

الله صورها وصيرها لاقتك أو لم تلقها ترها

نصبا لعينيك لا ترى حسنا الا ذكرت لها به شبها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح فى مثل هذا بل هو عندهم عيب كالا كفاء وروى بيت بشار ـ نزها ـ بالنون والزاى جمع نزهة ولا عيب فيه على هذا ٠٠ وهاء حمزة وطلحة لا تكون الا صلة واذا تحركت هاء التأنيث كنت فيها بالخيار ان شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً وان شئت التزمتها فكانت على حقها رويا ٠٠ وهذا رأيهم فى كاف المخاطب مع التأسيس اذا شاؤا جعلوها رويا فلم يلتزم ماقبلها وان شاؤا جعلوها مقام الصلة والتزموا ما قبلها مجازاً وهو الاجود لاختيار الشعراء اياه قديما على اتساعهم فى تركه ٠٠ قال القاضى أبو الفضل من زعم أن التاء والكاف يكونان وصلا فانما حمله على ذلك انه رأى بعض الشعراء قد لزم فى بعض شعره حرفا لم يفارقه فظن ذلك الحرف رويا ٠٠ وانما لم يجز عنده كونهما صلة لانهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما فى الهاء ٠٠ وقال من جعل التاء صلة كالهاء انهما تجيء للتأنيث مثلها وتكون اسما كما تكون الهاء اسما وتزاد كما تزاد الهاء وان الهاء تنقلب تاء فى درج الكلام وشبه الكاف بالهاء لانها حرف اضمار مثلها وانها تكون اسما المجرور والمنصوب كالهاء ٠٠ والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصله خروج ولا يكون ذلك الوصل الا هاء متحركة نحو قول الشاعر

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه

فالسين حرف الروي وحركتها مجرى وان شئت اطلاق كلاهما يقال والهاء وصل[1] وحركتها نفاذ و بعدها في اللفظ ياء هي الخروج ولو كانت الهاء مضمومة كان الخروج واواً أو مفتوحة كان الخروج ألفاً ٠٠ ولا يكون حرف الروي الا في أحد ثلاثة مواضع اما متأخرا كقول طرفة

لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد

فالدال روى واما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم

ألا هُبي بصحنكِ فاصبحينا

فالنون حرف الروي أو قبل المتأخر بحرف كقول لبيد

عَفتِ الدّيارُ محلها فمقامها

فالميم حرف الروى ٠٠ وهذه المواضع المذكورة انما هي في اللفظ لا في الخط ٠٠ ولا يكون حرف الروى اذا كان بعده شئ الا متحركا لأن المقيد لا شئ بعده وأنشد بعضهم

شَلتْ يدا فاريَةٍ فرَتها

على أن التاء حرف روى فرد ذلك العلماء بالعلة التي ذكرتها وقالوا انما التزم التاء والراء قبلها اتساعا والا فالهاء هي الروى ٠٠ وكل شعر فلا بد أن يكون مطلقا أو مقيداً ثم لا بد أن يكون مردفاً أو مؤسساً أو معرّي منهما مجرداً ٠٠ فالمردف نوعان تشترك الياء والواو في أحدهما نحو قول علقمة الفحل

طحي بك قلبٌ في الحسانِ طرُوبُ بعيدَ الشباب عصرَ حانَ مَشيبُ

فالياء في مشيب مقام الواو في طروب وتنفرد الالف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس

ألا عمْ صباحاً أيها الطللُ البالي

لا يشركها غيرها والحركة التي قبل الردف ياء كانت أو واواً أو ألفاً تسمي الحذوَ وقد تجرُ الضمة واواً في اللفظ والكسرة ياء وذلك مع هاء الضمير فتكون ردفا وان لم تثبت في الخط نحو قول ابن المعتز

ضمخوا عارضها بالمسك في خدٍ أسيلِ

---

(١) ن والهاء وصل حركتها نفاذ

تحت صدغين يشيــران الى وجه جميلِ
عندىَ الشوق اليه والتناسي عنده لى

ومن المردف ما تكون حركة الحذو فيه مخالفة للردف فيجعل شعراً على جهته فان دخل مع غيره كان سناداً وذلك مثل هولٍ وسبلٍ يكونان في قصيدة ولا يكون معهما سول وفيل ‥ وقياس المردف في الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى وحركته جار على ما تقدم في المجرد من الردف الا الحذو والتوجيه فان المقيد يختص بالتوجيــه وهو الروى والمردف يختص بالحذو وهو حركة ما قبل الردف وان كان المردف مقيداً أسقط التوجيه و بقى الحذو لأن الردف قد سد موضع التوجيه ‥ وقد يلتبس بالمردف ماليس بردف فيجتنبه الشعراء مثل فيهم مع منهم وهو جائز لأن الهاء ليست روياً فتكون الياء ردفا وانما الروي الميم و يجتنبون منكم مع منهم وذلك جائز لا عيب فيه لما قدمت آنفاً ‥ وكان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء يلتزم مالا يلزمه في القافية حتى انه لا يعاقب بين الواو واليــاء في أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعا فيه ‥ والاجود أن يكون الردف والروى جميعاً في كلمة واحدة فاذا كانا في كلمتين فلا بأس ‥ والمؤسس من الشعر ما كانت فيه ألف بينها و بين حرف الروي حرف يجوز تغيــيره فذلك الحرف يسمى الدخيل وحركته تسمي الاشباع و يجوز تغييرها عند الخليل ولا يجوز عند أبى الحسن الأخفش مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء

تهوى الخليطَ وان أقمنا بعدهم ان المقيم مكلفٌ بالسائر
ان المطىَّ بنا يخدن ضحى غدٍ واليوم يومُ لبانةٍ وتزاورِ

وهو جائز غير معيب ‥ وأما القاضى أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل مادامت اشباعا جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع فاذا قيد الشعر وصار موضع الاشباع التوجيه لم يجز الفتح مع واحد منهما واعتل في ذلك بحال المطلق غير المؤسس ان ما قبل رويه جائز تغييره فاذا قيد لم يجز الفتح فيه الا وحده فهو سناد و يشارك الضم والكسر وهذا قول واضح البيان ظاهر البرهان والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى ان بعضهم لم يسمه لتغيره واضطرابه لكن عده فيما لا يلزم القافية فسكت عنه ‥ وأما الاشباع فالقول

فيه ماقدمت واذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروي في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لبعدها الا أن يكون حرف الروي مع مضمر متصل أو منفصل فان الشاعر بالخيار ان شاء جعل الالف تأسيساً وان شاء لم يجعلها تأسيساً فالتي لا تكون عندهم تأسيساً قول عنترة

* والناذرين اذا لم القهما دمي *

لما كان الاسم ظاهراً •• وقد أنشد بعضهم في أبيات اللغز والمعاياة

أقول لعمرو حين خوّدَ راله ونحن بوادي عبدشمس وهاشم

وهي من الوهي وشم من الشيم للبرق •• وقول الآخر

أقول لعبدِ الله لمـا لقيته ونحن بوادى الرومِ فوق القناطر

فالقنا جمع قناة وطر أمر من طار بطير فرخص فيه لما انكسرت حركة دخيله على متعارف الشعر وهو كلام حسن الظاهر الا أنه خلاف لما قال العلماء والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمر قول الشاعر

تزيدحسي الـكأسِ السفيهَ سفاهةً وتتركُ أخلاقَ الـكريم كما هيا

•• وقول جرير

فردّى جمال الحيّ ثم تحملي فما لك فيهم من مقام ولاليا

فهذا ضمير متصل والذى قبله ضمير منفصل •• ومما جاءت الالف فيه غير تأسيس مع المضمر قول الشاعر وهو من شواهد أبي الفتح عثمان بن جني النحوى

أية جاراتك تلك الموصيه قائلةً لا تسـقيا بحبليه

لو كنتُ حبلاً لسقيتها بِيه أو قاصراً وَصلتهُ بثوبيه

فالألف في سقيتها غير تأسيس فاذا كانت الهاء والـكاف التي للمخاطب دخيلا لم يخلط الشعراء بها غيرها اتساعاً والافهو جائز •• وأنشد الجرميّ لعوف بن عطية بن الجزع

فان شئتما ألقحتما ونتجتما وان شئتما عينا بعين كما هما

وان كان عقلافاعقلا لاخيكما بنات المخاضِ والفصالَ المقاحما

ومن المؤسس والمردف ما يلتبس على المبتدئ فلا يميزه الا عن كلفة و بعد فترة فأوردت منه ما يكون له مثالا يستدل به و يعمل عليه ان شاء الله تعالى .. فمن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية المؤسسة لانه دخيل والكاف روي والتزامه بعد اتساعا فاذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مردفاً موصولا ولم يجز تغيير ماقبل الهاء لانك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروى مثال ذلك قول كثير أو غيره

تراغتْ لو شئتِ البينِ بزلُ جمالكِ ولو شئتِ ما فجعتِني بارتحالكِ

فالتزم اللام في القصيدة كلها أو في أكثرها اتساعاً ولو غير كما فعل ذوالرمة في قوله

اما استحلبتْ عينيك الا محلةٌ بجمهور حُزْوَى أو بجرعاء مالكِ

أناخت روايا كلِّ دلو به بهـا وكلِّ سماكيٍّ أجشَّ المبارِكِ

لم يكن عيباً لان الكاف روي وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ والدخيل راءُ المبارك ولام مالك وقد التزمه كثير كأنَّ القافية عنده لامية مردفة فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لا على الحقيقة .. وقال كثير في المردف

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينة أجادَ المسدّي سردَها وأذالهـا

فاللام روى والألف التي قبلها رِدفٌ والهاء صلة والألف التي بعدها خروج ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة لان الهاء اذا تحرك ما قبلها وليست من نفس الكلمة لم تكن الا صلة واذا كانت الهاء صلة لم تكن اللام الاَّ رويّاً ولا يجوز تغييرها .. وجميع ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات فالأحرف الرويُّ والردف والتأسيسُ والوصلُ والخروج والدخيل والحركات الاطلاق والحذو والرسُّ والتوجيه والنفاذُ والاشباع والذي يجتمع منها في قافيةٍ واحدة خمسة أحرف وهي التأسيس والرّوي والصلة والخروج والدّخيل وكلها يلزم تكراره بعينه الاَّ الدَّخيل وأربع حركات وهي الرسُّ والاشباع والاطلاق والنفاذ وذلك مثل قول الشاعر

يوشك مَن فرَّ من منيته في بعض غِرَّاته يوافقهـا

ولا يجتمع في قافية الحذوُ والرس كما لا يجتمع الردف والتأسيس وكذلك لا يجتمع أيضاً

التوجيه والاشباع فيسقط التوجيه اذا كان المؤسس مطلقا و يسقط الاشباع اذا كان المؤسس مقيداً .. وقد أنكر الجرمي والاخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس وقالوا لامعنى لذكر هذه الفتحة لان الألف لايكون ما قبلها الا مفتوحاً وانما احتيج الى ذكر الحذو قبل الردف لان الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو .. ومما يجب أن يراعي في هذا الباب الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين فانها من عيوب الشعر .. فأما الاقواء والاكفاء فاختلف العلماء فيهما وفي اشتقاقهما .. وأما السناد والايطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهما وعند أكثر العلماء اختلاف اعراب القوافي اقواء وهو غير جائز لمولد وانما يكون في الضم والكسر ولا يكون فيه فتح هذا قول الحامض .. وقال ابن جنى والفتح فيه قبيح جداً الا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاء والاقواءُ عندهم ذهاب حرف أومايقوم مقامه من عروض البيت نحو قول الشاعر وهو بجير بن زهير ابن أبي سلمي

كانتْ عُلالَةَ يومِ بطنِ حُنَينٍ وغداةَ أوطاس ويوم الأبرقِ

واشتقاقه عندهم فيما روى النحاس من أقوت الدار اذا خلت كأن البيت خلامن هذا الحرف .. وقال غيره انما هومن أقوى الفاتلُ حبله اذا خالف بين قواه فجعل احداهن قوية والاخرى ضعيفة أو مُمَرَّةً والاخرى سحيلةً أو بيضاء والاخرى سوداء أوغليظة والاخرى دقيقة أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع وهذا يسميه الخليل المقعد وهو من باب الوزن لامن باب القافية والجمهور الاول من العلماء على خلاف رأي أبي عبيدة في الاقواء .. وأما الاكفاء فهو الاقواء بعينه عند جلة العلماء كأبي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد ويونس بن حبيب وهو قول احمد بن يحيى ثعلب وأصله من أكفأت الاناء اذا قلبته كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهي ضدها وقيل من مخالفة الكفوة صواحبها وهي النسيجة من نسائج الخباء تكون في مؤخره فيقال بيت مكفأ تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن اذ كان مشبهاً به في كل أحواله .. قال الاخفش البصري الاكفاء القلب وقال الزجاجي وابن دريد كفأت الاناء اذا قلبته وا كفأته اذا أملته كان الشاعر أمال فمه بالضمة فصيرها كسرة الاابن دريد رواهما أيضاً بمعنى قلبته شاذا وقيل بل من المخالفة

في البناء والكلام يقال أكفأ الباني اذا خالف في بنائه وأكفأ الرجل في كلامه اذا خالف نظمه فأفسده قال ذو الرمة

ودوّية قفر ترى وجه ركبها اذا ما علوها مكفأ غير ساجع

وقال المفضل الضبي الاكفاء اختلاف الحروف في الروي وهو قول محمد بن يزيد المبرد وأنشد

قُبّحت من سالفةٍ ومن صُدُغْ كأنها كُشيةُ ضبٍّ في صُقُع

فأتى بالعين مع الغين واشتقاقه عنده من المماثلة بين الشيئين كقولك فلان كفء فلان أي مثله قال ومنه كافأت الرجل كأن الشاعر جعل حرفاً مكانَ حرف والناسُ اليوم في الاكفاء على رأي المفضل وهو عيب لا يجوز أيضا لمحدث ولا يكون الا فيما تقارب من الحروف والا فهو غلط بالجملة هذا رأى الاخفش سعيد بن مسعدة والخليل يسمى هذا النوع الاجازة .. قال الفراء الاجازة في قول الخليل أن تكون القافية طاء والاخري دالاً وقال أبو اسحاق النجيرمي الاجازة بالراء لاغير وهي من الجوار وهو الموج قال ابن السكيت وهو الماء الكثير وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام - ولولا اللهُ جاربها الجوارُ - قال المهلبي ورأيته بخط الطوسي والسكرى بالراء وهو قول الكوفيين فأما البصريون فيقولون الاجازة بالزاي حكي ذلك ابن دريد . وقال بعض شيوخنا الاجارة في القوافي مشتقة من الجوار في السكني والذمام ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في ذمامه وقال قوم بل هي من الجور كأن القافية جارت أي خالفت القصد وأجارها الشاعر أي صيرها كذلك وعلى هذا يصح قول النجيرمي فاذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الاجازة بالزاي اختلاف التوجيه وهو حركة والاجارة بالراء اختلاف الروي وهو حرف وليس هذا من هذا في شيء فكأن العلماء لم يختلفوا حينئذ لان التسمية اختلفت باختلاف المسمى .. ومثل الاجازة الاصراف حكاه شيخنا أبو عبد الله قال وهو أن تكون القافية دالاً والاخرى طاء والقصيدة مصرفة ولذلك قال الشاعر

مقومة قوافيها وليست بمصرفة الرويّ ولا سناد

وأما السناد فأنواع كثيرة منها وهو المشهور أن يختلف الحذو وهو حركة ما قبل الردف فيدخل شرط الالف وهي الفتحة على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللهبي

* واملأ وجهك الجميل خموشا *

ثم قال * وبنا سميت قريشٌ قريشا *

وهو كثير للعرب غير جائز للمولدين ومنها اختلاف الاشباع كقول النابغة

ـ يزرن ألالاً سيرُهنَّ التدافع ـ

والقصيدة كلها اشباع ومنها ارداف قافية وتجريد أخري كقول حسان بن ثابت في قافية

فارسل حكيما ولا توصهِ

وقال في أخري وشاور لبيباً ولا تعصه

ومنها تأسيس قافية دون اخوانها كقول العجاج ـ فخندفٌ هامةُ هذا العالم ـ وأول هذه الارجوزة * يادار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي *

وكلها غير مؤسسة الا هذا البيت وحده ويقال ان لغته الهمز فاذا همز لم يكن تأسيساً ٠٠ ومنها اختلاف التوجيه نحو قول امرئ القيس بن حجر

لاَ وأبيكِ ابنةَ العامري لا يدعي القومُ اني أفرْ

ثم قال تميمُ بن مرٍّ واشياعها وكندةُ حولي جميعاً صُبرْ

اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقتِ الارض واليوم قَرْ

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور وفي الثاني مضموم وفي الثالث مفتوح وليس هذا بعيب شديد عندهم ٠٠ قال الزجاجي السناد كل عيب يلحق القافية ما خلا الاقواء والا كفاء والايطاء وهذا قول فيه بيان واختصار ٠٠ وقال علي بن عيسى الرماني السناد اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف بحركة كان أو بحرف ٠٠ وقال ابن جنى السناد كل عيب يحدث قبل الروي ٠٠ واشتقاق السناد من من تساند القوم اذا جاؤا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد وقيل بل هو من قولهم ناقة سناد اذا كانت قوية صلبةً لان الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة ٠٠ وقالوا بل

السناد الناقة المشرفة كأن احدى القوافي أشرفت على اخواتها .. وأما الايطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد كما قال امرؤ القيس في قافية ـ سرح مرقب ـ وفي قافية أخري ـ فوق مرقب ـ وليس بينهما غير بيت واحد ..وكلما تباعد الايطاء كان أخف وكذلك ان خرج الشاعر من مدح الى ذم أو من نسيب الى أحدهما ألا ترى الى قولهم دع ذا وعد عن ذا فكان الشاعر في شعر آخر وأقبح من هذا الايطاء قول تميم بن أبي مقبل

أو كاهتزاز رديني تداوله أيدي التجار فزادوا متنه لينا

ويروى ـ تذاوقه ـ ثم قال في القصيدة غير بعيد

نازعت ألبابها لبي بمقتصد من الاحاديث حتى زدنني لينا

فكرر القافية والمعني مع أكثر لفظ القسم وأشد من ذلك قول أبي ذؤيب في بنيه

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب

فصرعنه تحت العجاج فجنبه متترب ولكل جنب مصرع

فكرر ثلث البيت ..واذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن ايطاء عند أحد من العلماء الا عند الخليل وحده فان يزيد عنده بمعنى الاسم ويزيد بمعنى الفعل ايطاء وكذلك جون للابيض والاسود وجلل للكبير والصغير واذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن ايطاء وكذلك ضرب للواحد وضربا للاثنين ولم تضرب للمذكر ولم تضربي للمؤنث ومن غلام ومن غلامي مضافا كل هذا ليس بايطاء .. وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك لزيد وبزيد وعلى الفعل كقولك اضرب ويضرب وتضرب في مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث فكل ذلك ايطاء ..والايطاء جائز للمولدين الا عند الجمحي وحده فانه قال قد علموا أنه عيب .. وقال الفراء انما يواطئ الشاعر من عي واذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيباً نحو قول امرئ القيس خليلي مرا بي على أم جندب

ثم قال فى البيت الثانى ـ لدي أم جندب ـ واشتقاقه من الموافقة قال الله عز وجل ﴿ ليُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حرَّمَ الله ﴾ أى ليوافقوا • وقال قوم بل الايطاء من الوطء كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها كما قال توبة يخاطب بعل ليلى الاخيلية

لعلك يا تيساً نزى فى مَرِيرَة ... تُعاقبُ ليلي أن ترانى أزورها

على دماء البُدْنِ ان كان بعلها ... يري لىَ ذنباً غير أنى أزورها

والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة الذبيانى

وهم وردوا الجفارَ على تميم ... وهم أصحابُ يوم عكاظ انى

شهدتُ لهم مواطن صالحاتٍ ... وثقتُ لهم بحسن الظن منى

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثانى بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير

ديار التى بتّت حبالى وصرمت ... وكنت اذا ما الحبل من خُلقٍ صُرم

فزعتُ الى وجناءَ حرف كأنما ... بأقرابها قارٌ اذا جلدها استحم

وأخف من هذا قول ابراهيم بن هرمة

إما ترينى شاحباً متبذّلا ... كالسيف يَخلَق جُفنه فيضيع

فلرب لذة ليلة قد نلتهـا ... وحرامها بحلالهـا مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة

لعمرى وما دهري بتأبين هالكٍ ... ولا جزعا مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهالُ تحتَ ردائه ... فتيً غيرَ مبطان العشيات أروعا

وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط الشاعر في المعانى ولا يضره ذلك اذا أجاده • ويجمع القوافي كلها خمسة ألقاب • المتكاوِس وهو أربع حركات بين ساكنين وله جزء واحد وهو فعلتن والفراء لا يعده لانه عنده من المتدارك لأن فعلتن انما هى مستفعلن مزاحف السببين • والمتراكب وهو ثلاث متحركات

بين ساكنين ولها جزآن مفاعلن وفعلن • والمتدارك وهو حركتان بين ساكنين وهو نحو مفاعلن ومتفاعلن ومستفعلن وفاعلن • والمتواتر وهو ما توالى فيه متحرك بين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن • والمترادف وهو ما اجتمع في آخره ساكنان نحو فاعلان ومتفاعلان ومستفعلان وما أشبه ذلك •• ولا يجتمع نوعان من هذه الانواع في قصيدة الا في جنس من السريع فان المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب اذا كان الشعر مقيداً

كقول المرقش في بيت * وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ *

وفي بيت آخر * قد قلتُ فيه غيرَ ما تعلمْ *

باب التقفية والتصريع

هذا باب يشكل على كثير من الناس علمه ويلحقه عيب سماه قدامة التجميع كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ورأيت من يقول التخميع بالخاء كانه من الخمع في الرّجل وسأذكره في موضعه ان شاء الله تعالى •• فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته نحو قول امرئ القيس في الزيادة

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسمٍ عفت آياته منذ أزمانِ

وهي في سائر القصيدة مفاعلن وقال في النقصان

لمنْ طللٌ أبصرتهُ فشجاني كخطِّ زَبورٍ في عَسيبِ يماني

فالضرب فعولن والعروض مثلهُ لمكان التصريع وهي في سائر القصيدة مفاعلن كالأولى فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرَّع •• والتقفية أن يتساوى الجزآن من غير نقص ولا زيادة فلا يتبع العروض الضرب في شيء الا في السجع خاصة مثال ذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

فهما جميعاً مفاعلن الا أن العروض مقفى مثل الضرب فكل ما لم يختلف عروض بيته

الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة الا في السجع فقط فهو مقفى .. واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها وقيل بل هو من الصرعين وهما طرفا النهار .. قال أبو اسحاق الزجاج الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها .. قال شيخنا أبو عبد الله وهما العصران .. وقال قوم الصرع المثل وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليُعلم في أول وَهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور ولذلك وقع في أول الشعر وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك اذا خرج من قصة الي قصة أو من وصف شئ الى وصف شئ آخر فيأتي حينئذ بالتصريع اخباراً بذلك وتنبيهاً عليه وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرعوا في غير موضع تصريع وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة الا أنه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف الا من المتقدمين .. قال امرؤ القيس

تروحُ من الحيّ أم تبتكرْ   وماذا عليك بأن تنتظرْ
أمرخٌ خيامهم أم عُشَرْ   أم القلب في إثرهم مُنحدرْ
وشاقكَ بينُ الخليط الشُّطُرْ   وفيمن أقام من الحي هِرْ

فوالى بين ثلاثة أبيات مصرعة في القصيدة وقد يجعلون أولها

أحارِ بنَ عمرٍو كأني خمرْ   ويعدو على المرء ما يأتمرْ

وقال عنترة العبسي

أعياك رسمُ الدارِ لم يتكلم   حتى تكلم كالأصمِّ الاعجم

ثم قال بعد بيت واحد

هل غادرَ الشعراء من متردَّم   أم هل عرفتَ الدار بعد توهم
يادارَ عبلةَ بالجواء تكلمي   وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

فصرع البيت الأول والثالث والرابع .. وقولنا في شعر امرئ القيس وعنترة وغيرهما مما يستأنف مصرّعه انما هو مجاز وجرى على عادة الناس لئلا يخرج عن المتعارف والا

فقد بينت ذلك أولا .. ومن الناس من لم يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر ثم يصرع بعد ذلك كما صنع الأخطل اذ يقول أول قصيدة

حلت صبيرةُ أمواهَ العدادِ وقد كانت تحـل وأدنى دارها ثكدُ

وأقفرَ اليوم ممن حلهَ الثمدُ فالشعبتان فذاك الأبلقُ الفردُ

فصرع البيت الثاني دون الأول .. وقال ذو الرمة أول قصيدة

ادار بحزوَى هجت للعين عَبرةً فماءُ الهوى يرفضُ أو يترقرقُ

ثم قال بعد عدة أبيات

أمن ميةَ اعتاد الخيالُ المؤرقُ نعم إنها مما على النأي تطرقُ

وكان الفرزدق قليلا ما يصرع أو يلقي بالاً بالشعر كقوله

ألم ترأني يوم جوِّ سويقةٍ بكيتُ فنادتني هُنيدةُ ماليا

فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصنوعة .. وكذلك قوله يرد على جرير

تكاثر يربوعٌ عليك ومالك على آل يربوع فمالك مسرحُ

وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرَّع الاوائل وهو مذهب كثير من الفحول وان لم يعد فيهم لقلة تصرفه الا أنهم جعلوا التصريع في مهمات القصائد فيما يتأهبون له من الشعر فدل ذلك على فضل التصريع .. وقد قال أبو تمام وهو قدوة

وتقفو الي الجدْوَى بجدوَى وانما يروقك بيتُ الشعرِ حين يصرَّعُ

فضرب به المثل كما ترى .. والتصريع يقع فيه من الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين ما يقع في القافية .. فمن الاقواء ما أنشده الزجاجي وهو قول بعضهم

مابال عينك منها الماء مهراقُ سحا فلا غاربٌ منها ولاراقي

ومن الاكفاء قول حسان بن ثابت أنشده الجاحظ

ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالكا ولستَ بخيرٍ من معاظلةِ الكلب

ومن الايطاء قول عبد الله بن المعتز

ياسائلا كيف حالي أنت العليم بحالي

ومن السناد قول اسماعيل بن القاسم أبي العتاهية

وبلي على الأظعان وأتوا   عني بعتبة فاستقلوا

ومن التضمين قول البحتري

عذيري فيك من لاح اذا ما   شكوت الحب قطعني ملاما

ومن ابتداء القصائد التجميع وهو أن يكون القسم الأول متهيئاً للتصريع بقافية مافيأتي تمام البيت بقافية على خلافها كقول جميل

يابثن انك قد ملكت فاسجحي   وخذي بحظك من كريم واصل

فتهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام •• ومثله قول حميد بن ثور الهلالى

سل الربع أنى يممت أم سالم   وهل عادة للربع أن يتكلما

فتهيأت له قافية مؤسسة لو شاء ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ويروي أم أسلما فخرج عن التجميع •• ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني

جزى الله عبسا عبس آل بغيض   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وانما التجميع فيما شابه الاطلاق أو قارب ذلك كقول جميل فيما تقدم وقول حميد وهو كالاكفاء والسناد فى القوافي الا انه دونهما في الكراهية جداً •• واذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب •• والمداخل من الأبيات ما كان قسيمه متصلا بالآخر غير منفصل منه قد جمعتهما كلمة واحدة وهو المدمج أيضاً وأكثر ما يقع ذلك في عروض الخفيف وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة الا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين وقد يستخفونه في الأعاريض القصار كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك •• ومن الشعر غير المصرع مالايجوز أن يظن تجميعاً وذلك نحو قول ذى الرمة واسمه غيلان بن عقبة

أأن ترسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ولا مستعمل مثلها وان كان استعمالها جائزاً لو وقع •• ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسى تشبيهاً بقواديس السانية لارتفاع

بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الاخري فأول من رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العوفي في قوله وهي من قصيدة له مشهورة طويلة

كم للدُّمى الأبكار بالـــخيتين من منازل
بمهجتي للوجد من تذكارها منازل
معاهد رعيلها متغنجر الهواطل
لما نأيى ساكنها فأدمعي هواطل

وهو مربوع الرجز تعمدفيه الاقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في البيتين الاولين من هذه . ومن الشعر جنس كله مصرع الا أنه مختلف الأنواع وأنامنبه عليها ان شاء الله تعالى . فمن ذلك الشعر المسمطُ وهو أن يبتدئ الشاعر ببيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته ثم يعيد قسما واحداً من جنس ما ابتدأ به هكذا الى آخر القصيدة مثال ذلك قول امرئ القيس وقيل انها منحولة

توهمتُ من هند معالم اطلالِ عفاهنَّ طولُ الدهر في الزمن الخالى
مرابعُ من هند خلت ومصائفُ يصيح بمغناها صدى وعوازفُ
وغيرَّها هوجُ الرياحِ العواصفُ وكل مُسفٍّ ثم آخر رادفُ
* بأسحم من نوء السماكين هطال *

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أي قافيـة شاء ثم يكرر قسما على قافية اللام وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم

خيال هاج لى شجنا فبت مكابداً حزنا
عميدَ القلب مرتهناً بذكر اللهو والطرب
سبتني ظبيةٌ عُطُلُ كأن رضابها عسلُ
ينوءُ بخصرها كفلُ ثقيلُ روادف الحقب

وربما جاؤا بأوله أبياتاً خمسة على شرطهم في الاقسمة وهو المتعارف أو أربعة ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة كما قال خالد القناص أنشده الزجاجي أبو القاسم

لقد نكرت عيني منازل جيران كأسطار رق ناهج خلق فاني
توهمتها من بعد عشرين حجة فما استبين الدار الا بعرفان
فقلت لها حييت يادار جيرتي أبيني لنا أني تبدد اخواني
وأي بلاد بعد ربعك حالفوا فان فؤادي عند ظبية جيراني

فجاء بأربعة أبيات كما ترى ثم قال بعدها

وما نطقت واستعجمت حين كلمت وما رجعت قولا وما ان ترمرمت
وكان شفائي عندها لو تكلمت الي ولو كانت أشارت وسلمت

* ولكنها ضنت علي بتبيان *

وهكذا الى آخرها وقدجاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسمة مرةواحدةولم يعاودها ولو عاودها لم يضره وكذلك لو نقص الا أن الاعتدال أحسن .. والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة واشتقاقه من السمط وهو أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيراً ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أويشب أونحو ذلك ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولا الى يتم السمط هذا هو المتعارف عند أهل الوقت .. وقال أبو القاسم الزجاجي انما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي متعقباً بقافية تضمه وترده الى البيت الأول الذي بنيت عليه القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة .. ونوع آخر يسمى مخمساً وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك الى أن يفرغ من القصيدة هذا هو الاصل وأكثر وامن هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط وهو المزدوج الا أن وزنه كله واحد وان اختلفت القوافي كذات الأمثال وذات الحلل وما شا كلها ولا يكون أقل من مصراعين وكل مشطور أو منهوك فهو بيت وان قيل مصرع فعلى المجاز وماسوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصاريع ليس بيت ولم أجدهم يستعملون في هذه المخمسات الا الرجز خاصة لأنه وطيء سهل المراجعة .. فأما المسمطات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما

قدمت .. ونوعان من الرجز وهما المشطور والمنهوك فأما المشطور فما بني على شطر بيت نحو قول أبي النجم العجلي

الحمد لله الوهوب المجزلِ أعطى فلم يبخل ولم يبخّلِ

وأما المنهوك فهو مابنى على ثُلُث بيت ونهك بذهاب ثلثيه أي أضعف وهذا مثل قول أبي نواس

وبلدةٍ فيها زَوَرْ صعراءُ تخطى في صعر

فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح وسيأتيان فيما بعد ان شاء الله تعالى وأنشد الزجاجي وزناً مشطراً مجير الفصول لا أشك أنه مولد محدث وهو

سقي طللا بحزوى هزيمُ الودقِ أحوي
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنودٌ ولا فيها صدود
لها طرف صيودٌ ومبتسمٌ بـرودٌ
لئن شط المزار بها ونأت ديار
فقلبي مستطار وليس له قرار
ستذنبها ذَمول جُلنفعةٌ ذَلولُ
اذا عرضت هجولُ تُقصِّرُ ما يطولُ

وهذا وزن ملتبس يجوز أن يكون مقطوعا من مربع الوافر ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً ذكره الجوهري .. وأنشد لبعض المحدثين

أشاقك طيفُ مامهْ بمكة أم حمامهْ

أشاقك مفاعل وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .. وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت اليه وما أصححها له و بشار بن برد قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر

وبشر بن المعتمر فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح وقصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذا الطريق لما تقتضيه الا لفاظ المختلفة الضرورية ولمراده من التوسع في الكلام والتملح بأنواع السجع .. وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والامير تميم بن المعتز ومن ناسب طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة لها قافية واحدة يجعلونها معاياةً فيتلاقفها العروضيون كالأبيات التي تروى لابن دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما وباسم القصيد ماطالت أبياته وليس كذلك لان الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع .. فاما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطيب

باكرني بسحرةٍ عواذلي ... وعذلهنَّ خبلٌ من الخبلْ

يلمنني في حاجةٍ ذكرتها ... في عصر أزمان ودهرٍ قد نسل

والنوع الثاني نحو قول الآخر

القلب منها مستريحٌ سالمٌ ... والقلبُ مني جاهد مجهود

والنوع الثالث قول الآخر

قد هاج قلبي منزلُ ... من أم عمرو مُقفرُ

فهذه داخلة في القصيد وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة لان اشتقاق القصيد من قصدت الى الشيء كأنَّ الشاعر قصد الي عملها على تلك الهيئة والرجز مقصود أيضاً الى عمله كذلك .. ومن المقصَّد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته وذلك هو مشطور السريع نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن ابراهيم الآمدي

عن ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي زيد الأنصاري

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذي القوزْ غيرها نأْجُ الرياحِ والموزْ
ودرَست غيرَ رمادٍ مكفوزْ مكتتبِ اللون مريحٍ ممطور
وغير نؤيٍ كبقايا الدعثور أزمانَ عيناء سرورُ المسرُورْ

* عيناء حوراء من العين الحور *

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز

ومقلة قد بات يبكيها فيضُ نجيع من مآقيها
وكلها طولُ تمنيها بأنجمِ الليل تراعيها
ومهجة قد كاد يفنيها طولُ سقامٍ ثابت فيها
وبروءها في كفِّ مبليها كما ابتلاها فهو يشفيها
ليس لها من حبها ناصر من ذا على الأحباب يعديها

وهذا عند الجوهري من البسيط والذي أنشد أبو عبد الله على قول الجوهري هو من الرجز جعل الجزء الآخر مستفعلن مفروق فيه الوتد فأسكن اللام لأن آخر البيت لا يكون متحركا فخالفه مفعولات .. وأما منهوك المنسرح — صبرا بني عبد الدار — فهو عند الجوهري من الرجز ومثله — ويلم سعدٍ سعداً — الا أنه أقصد منه فعلى كل حال نسمي الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها او قصرت ولا نسمي القصيدة أرجوزةً الا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته فالقصيد يطلق على كل الرجز وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجزَ في الشطر .. قال النحاس القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز يكون مشتقاً من قرض الشيء أي قطعه كأنه قطع جنساً وقال أبو اسحاق وهو مشتق من القرض أي القطع والتفرقة بين الاشياء كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين نحو قول دريد بن الصمة يومَ هوازن

ياليتني فيها جَذَعْ أخبُّ فيها وأضعْ

حتى صنع بعض المتعقبين أظنه علي بن يحيي أو يحيي بن علي المنجم أرجوزة على جزء واحد وهي

طيفٌ ألمّ　بذي سلمْ　بعد العتمْ　يطوي الأكمْ
جاد بفمْ　وملتـــزمْ　فيه هضمْ　اذا يضمّ

ويقال أن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي

موسى المطر　غيث بكر　ثم انهمر　ألوى المرر
كم اعتسر　ثم ايتسر　وكم قدر　ثم غفر
عدل السير　باقي الأثر　خير وشر　نفع وضر
خير البشر　فرع مضر　بدر بدر　والمفتخـــر

لمن غبر

والجوهري يسمي هذا النوع المقطع •• وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميتِ　وفي سبيل الله ما لقيتِ

بكسر التاء ورواية أخري بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها وليس هذا دليلا وانما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية لانه لم يقصد به الشعر ولا نواه فلذلك لا يعد شعراً وان كان كلاما متزناً والا فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان إلا أن الليث روي أنهم لما ردوا على الخليل قوله ان المشطور ليس بشعر قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا قال فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته •• وقد رواه قوم دميت باسكان الياء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذ موزوناً •• والراجز قل ما يقصد فان جمعهما كان نهاية نحو أبي النجم فانه كان يقصد وأما غيلان فانه كان راجزا ثم صار الى التقصيد •• وسئل عن ذلك فقال رأيتني لا أقع مع هذين الرجلين على شيء يعني العجاج وابنه رؤبة وكان جرير والفرزدق يرجزان وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مقصداً •• ومثله حميد الأرقط والعماني أيضاً وأقلهم رجزا الفرزدق •• وليس يمتنع الرجز

على المقصد امتناعَ القصيد على الراجز الا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز وان صعب عليه بعض الصعوبة وليس كل راجز يستطيع أن يقصد واسم الشاعر وان عم المقصد والراجز فهو بالمقصد أعلق وعليه أوقع فقيل هذا شاعر وللذلك راجز كأنه ليس بشاعر كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك

باب في القطع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى قال سئل أبو عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل فقال نعم ليُسمع منها قيل فهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها . . قال وقال الخليل بن احمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ وتستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترهيب والترغيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة ومن شاكلهما والا فالقطع أطير في بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورات . . ويحكي أن الفرزدق لماوقع بينه وبين جرير ماوقع وحكم بينهما قال بعض الحكام الفرزدق أشعر لانه أقواهما أسرَ كلام وأجراهما في أساليب الشعر وأقدرهما على تطويل وأحسنهما قطعاً فتقدم بالقطع كما ترى . . وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى الطوال بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج اليها منه الى الطوال . . وقال أحد المجودين وهو محمد بن حازم الباهلي

أبى ليَ أن أطيلَ المدح قصدى ... الى المعنى وعلمي بالصوابِ
وايجازى بمختصر قصيرٍ ... حذفتُ به الطويلَ من الجوابِ

وقيل لابن الزبعري انك تقصر أشعارك فقال لان القصار أولج فى المسامع وأجول فى المحافل وقال مرة أخري يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة . . وقيل للجماز لم لاتطيل الشعر فقال لحذفي الفضول وقال له بعض المحدثين وقد أنشده بيتين ما تزيد على البيت والبيتين فقال أردتَ أن أنشدك مُذارعة وهو القائل

أقول بيتاً واحداً أكتفي ... بذكره من دون أبيات

وقيل مثل ذلك لعقيل بن علّفة فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .. وقال الجاحظ قيل لابي المهوس لم لا تطيل الهجاء فقال لم أجد المثل السائر الا بيتاً واحداً .. وهجا محمد ابن عبد الملك الزيات احمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتاً فقال ابن أبي دؤاد يخاطبه

أحسن من تسعين بيتاً سُدىً ... جمعُك معناهنّ في بيت

ما أحوج الملك الى مطرة ... تغسلُ عنه وضرَ الزيت

غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وان أجاد على أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ولكن اذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل ان حاوله بتة سوّىَ بينهما لفضل غير المجهود على المجهود فانا لا نشك أن المطول ان شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعةٌ قصيدةً .. ولام قوم الكميت على الاطالة فقال انا على الاقصار أقدر هكذا جاءت الرواية ولا تكاد ترى مقطعاً الا عاجزاً عن التطويل والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار ولكن الغالب والاكثر أن يكون قادراً على ما حاوله من ذلك وبالعجز رمى الكميت .. وكان عبد الكريم بهذه الصفة لا يكاد يصنع مقطوعاً ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها وكان أبو تمامٍ على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة قصائده .. والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد وعباس بن الأحنف والحسن بن الضحاك وأبو نواس وأبو علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذّل والجماز وابن المعتز .. وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه وهو قريب من عصرنا هذا إياكم ومنصوراً اذا رمح بالزّوْج وكان ربما هجا بالبيت الواحد .. ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ولو قال مقاطع بلا ياء قلنا صدقت ولم نخالفه وقيل اذا بلغت الابيات سبعة فهي قصيدة ولهذا كان الايطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس .. ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد .. ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة وإلقاء البال بالشعر .. وزعم

الرواة أن الشعر كله انما كان رجزاً وقطعاً وانه انما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس و بينهما و بين مجئ الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحي وغيره ٠٠ وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلى شيئاً يسيراً وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى العجاج بعد فافتن فيه فالأغلب العجلي والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل وقد جمع ذلك كله الفرزدق ومن المحدثين أبو نواس وكان ابن الرومي يقصد فيجيد و يطيل فيأتي بكل احسان وربما تجاوز حتى يسرف وخير الأمور أوساطها ٠٠ وهو القائل

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله ... فأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى ... عند الورود لما أطال رشاءه

باب في البديهة والارتجال

البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل عصرنا هي الارتجال وليست به لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله كالذى صنع الفرزدق وقد دفع اليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله فدس اليه بعض بني عبس سيفاً كهاماً فنبا حين ضرب به فضحك سليمان فقال الفرزدق ارتجالا في مقامه ذلك يعتذر لنفسه و يعير بني عبس بنبو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر

فان يك سيف خان أو قدر أبى ... لتأخير نفس حينها غير شاهد

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويقطعن أحياناً مناط القلائد

ولو شئت قط السيف ما بين أنفه ... الى علق دون الشراسيف جاسد

ثم جلس وهو يقول

ولا نقتلُ الأسري ولكن نفكهم اذا أثقل الأعناق حملُ المغارم

وكالذي يروى عن أبي الخطاب عمر بن عامر السعدي المعروف بأبي الاسد وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه

ياخيرَ من عقدت كفاه حُجرته وخيرَ من قلدته أمرَها مضرُ

فقال له موسى إلاَّ مَن يا بائس فقال واصلا كلامه ولم يقطعه

الاَّ النبيَّ رسولَ الله ان له فخراً وأنت بذاك الفخرِ تفتخر

ففطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك ونظروا في الصحيفة فلم يجدوه فضاعف صلته .. وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمرو بن هند فانه يقال أتى بها كالخطبة وكذلك قصيدة عبيد بن الابرص وقيل أفضل البديهة بديهة أمْن وردت في موضع خوف فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة .. وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال لايكاد ينقطع ولا يُرَوّي الافلتةً .. روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب فقام من فوره يقول مرتجلا

منحتكم ياأهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب

رماكم أميرُ المؤمنين بحيةٍ أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باقٍ سحرِ فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب

ثم التفت اليه وقال والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر اليه وحلف إن كنتُ الامازحاً .. وسمعت جماعة من العلماء يقولون كان مسلم بن الوليد نظير أبي نواس وفوقه عند قوم من أهل زمانه في أشياء الا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال مع تقبض كان في مسلم واظهار توقر وتصنع وكان صاحب روية وفكرة لايبتده ولا يرتجل وكان أبو العتاهية فيما يقال أقدر الناس على ارتجال و بديهة لقرب مأخذه وسهولة طريقته اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس فشرب أحدهم ماء ثم قال أجيزوا

* بَرَدَ الماءُ وطابا * فكلهم تلعثم حتى طلع أبو العتاهية فقال فيم أنتم فأنشدوه فقال وما تروّى * حبذا الماءُ شرابا * فأتي بالقسيم رَسْلاً شبيهاً بصاحبه وذلك هو الذي أعوز القوم لاوزنُ الكلام ․․ وصحب رفقة فسمع زقاء الديوك فقال لرفيقه * هل رأيت الصبح لاحا * قال نعم قال * وسمعت الديك صاحا * قال نعم قال * انما بكى علي المغتر بالدنيا وناحا * فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر فرواه فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال ․․ وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً ان حضرت آلة الا أنه غير بطيء ولا متراخ فان أطال حتى يُفرّط أو قام من مجلسه لم يُعدّ بديهاً ․․ وقالوا اجتمع الشعراء بباب الرشيد فأذن لهم فقال من يجيز هذا القسيم وله حكمه فقالوا وما هو يا أمير المؤمنين قال الملك لله وحده

․․ فقال الجماز والخليفة بعده

ولمحب اذا ما حبيبه بات عنده

فقال أحسنت وأتيت على ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف درهم ․․ ومن عجيب ما روى في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد احمد بن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الكندي ما صنعت شيئاً شبهت ابن أمير المومنين وولي عهد المسلمين بصعاليك العرب ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيراً وقال

لا تنكروا ضربي له مَن دونه مثلا شروداً في الندى والبس

فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة وان أعجب ما كان البديهة من أبي تمام لانه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا في طبعه ․․ وقد قيل ان الكندي لما خرج أبو تمام قال هذا الفتى قليل العمر لانه ينحتُ من قلبه وسيموت قريباً فكان كذلك ․․ وقد كان أبو الطيب

كثير البديهة والارتجال الا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً وهو لعمرى فى سعة من العذر اذ كانت البديهة كما قال فيها ابن الرومي

نار الروية نار جد منضجة ... وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لسرعتها ... لكنها سرعة تمضى مع الريح

وقال عبد الله بن المعتز

والقول بعد الفكر يؤمن زيغه ... شتان بين روية وبديه

ومن الشعراء من شعره فى رويته و بديهته سواء عند الأمن والخوف لقدرته وسكون جاشه وقوة غريزته كهدبة بن الخشرم العذرى وطرفة بن العبد البكرى ومرة بن محكان السعدى اذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بقتله

بنى أسد أن تقتلونى تحاربوا ... تميما اذا الحرب العوان أشمأزت

ولست وان كانت الى حبيبة ... بباك على الدنيا اذا ما تولت

وهذا شعر لو روّي فيه صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .. وكذلك عبد يغوث بن صلاءة اذ يقول فى كلمة طويلة

أقول وقد شدّوا لسانى بنسعة ... أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

فيا راكباً إما عرضت فبلغن ... نداماى من نجران أن لاتلاقيا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء فعاهدهم فأطلقوه لينوح على نفسه فصنع هذه القصيدة وعرض عليهم فى فدائه ألف ناقة فأبوا الا قتله فقال

فان تقتلونى تقتلوني بخيركم ... وان تطلقونى تحربونى بماليا

وهذه شهامة عظيمة وشدة .. ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ... ولم أعطكم فى الطوع مالى ولاعرضى

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأين هؤلاء من عبيد بن الابرص وهو شيخ الصناعة ومقدم فى السن على الجماعة إذ يقول له النعمان يوم بؤسه أنشدنى فقال حالَ الجريضُ دونَ القريض قال أنشدنى قولك

أقفرَ من أهله ملحوب فالقطَبيات فالذَنوبُ

فقال لا ولكن أقفرَ من أهله عبيد فاليوم لا يُبدي ولا يعيد

فبلغت به حال الجزع الى مثل هذا القول على أن في يبقي طرفةً بعض الضراعة ٠٠ وممن وجد نفسه عند احاطة الموت به تميم بن جميل فانه القائل بين يدى المعتصم وقد قدم السيف والنطع لقتله

أرى الموتَ بين النطع والسيف كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفتُ

وأ كبرُ ظني أنك اليوم قاتلي وأيُّ امرىءٍ مما قضى الله يُفلت

وأيُّ امرىءٍ يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ

يعز على الأوس بن تغلب موقف يسل عليَّ السيف فيه وأسكتُ

وما حزني أني أموت وانني لاعلم أن الموت شيءٌ موقتُ

ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعي اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا خافضين بنعمة أذود الردى عنهم وان مت موتوا

فكم قائلٍ لا أبعد الله داره وآخرَ جذلانٍ يسرُّ ويشمت

فعفا عنه المعتصم وأحسن اليه وقلده عملا ٠٠ وعلي بن الجهم هو القائل وقد صُلب عريانا

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الا إثنين مغلولا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملءُ عيونهم حسناً وملءُ قلوبهم تبجيلا

ماضره أن بُزَّ عنه لباسهُ فالسيف أهولُ ما يُرى مسلولا

وهذا من جزل الكلام لا سيما في مثل ذلك المقام وكان علي من الفضلاء علما بالشعر وصناعة له ٠٠ حكي عن علي بن يحيي أنه قال كنت عند المتوكل اذ أتاه رسول برأس اسحاق بن اسمعيل فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول

أهلاً وسهلا بك من رسولِ جئتَ بما يشفى من الغليل

برأس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ٠٠ والشاعر الحاذق المبرّز اذا صنع البديهة قنع منه بالمفوالين والنزر التافه لما فيها من المشقة وهو في الارتجال أعذر ٠٠ واشتقاق البديهة من بدَه بمعنى بدأ أبدلت الهمزة هاء كما أبدلت فى أشياء كثيرة لقربها منها فقد قالوا مدَحَ ومدَه ولهنَّكَ تفعل كذا بمعنى لانك ومثل ذلك كثير ٠٠ والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ومنه قيل شعر رجلٌ اذا كان سبطاً مسترسلاً غير جَعدٍ وقيل هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل

باب فى آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل حسن الاخلاق طلق الوجه بعيد الغور مأمون الجانب سهل الناحية وطئ الأكناف فان ذلك مما يحببه الى الناس ويزينه فى عيونهم ويقربه من قلوبهم وليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس عزوب الهمة نظيف البزة أنفاً لتهابه العامة ويدخل فى جملة الخاصة فلا تمجه أبصارهم سمح اليدين والا فهو كما قال ابن أبي فنَنَ واسمه احمد

وان أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجالَ ويبخل

والى هذا المعني ذهب الطائى بقوله

أألوم مَن بخلت يداه واغتدى للبخل تِرباً ساء ذاك صنيعا

والشاعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كلما حمل من نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة واحتياج أكثر هذه العلوم الى شهادته وهو مكتف بذاته مستغن عما سواه ولانه قيد الاخبار وتجديد الآثار ٠٠ وصاحبه الذي يذم ويحمد ويهجو ويمدح ويعرف ماياتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه فهو على نفسه شاهد وبحجته مأخوذ ٠٠ وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الامثال وليعلق بنفسه بعض

أنفاسهم ويقوى طبعه بقوة طباعهم فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الاخبار والتلمذة بمن فوقه من الشعراء فيقولون فلان شاعر راوية يريدون أنه اذا كان راوية عرف المقاصد وسهل عليه مأخذ الكلام ولم يضق به المذهب واذا كان مطبوعا لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم وربما طلب المعنى فلم يصل اليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته كالمقعد يجد فى نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .. وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء فقال هو الراوية يريد أنه اذا روى استفحل .. قال يونس بن حبيب وانما ذلك لانه يجمع الى جيد شعره معرفة جيد غيره فلا يحمل نفسه الا على بصيرة وقال رؤبة فى صفة شاعر

لقد خشيتُ أن تكون ساحرا راويةً مَرًّا ومَرًّا شاعرا

فاستعظم حاله حتى قرنها بالسحر .. وقال الاصمعى لا يصير الشاعر فى قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعانى وتدور فى مسامعه الالفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به اعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .. وقد كان الفرزدق على فضله فى هذه الصناعة يروى للحطيئة كثيراً وكان الحطيئة راوية زهير وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوى جميعاً وكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الإيادى مع فضل نحيزة وقوة غريزة ولا بد بعد ذلك أن يلوذ به فى شعره ويتوكأ عليه كثيراً وقد نزل أعشى بنى قيس بن ثعلبة بين يدى النابغة الذبيانى بسوق عكاظ وأنشده فقدمه وأنشده حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة فما عابهم ذلك ولا غض منهم وكان كثير راوية جميل ومفضلا له اذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ثم أنشد ما يراد منه ولم يكن بدون جرير والفرزدق بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز وكان أبو حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع وهو من أحسن الناس شعراً وأنظفهم كلاماً مؤتماً بالفرزدق آخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه .. ولا يستغنى المولد عن تصفح أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ واشارات الملح ووجوه البديع الذى مثله فى شعر المتقدمين قليل وان كانوا هم فتحوا بابه وفتقوا

جلبابه وللمتعقب زيادات وافتنان لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ماذكرته آخر كلامي هذا دون ماقدمته فانه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع جادته واذا أعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض وعسى أن يكون أرشق سهاماً وأحسن موقعاً ممن لو عول عليه من المحدثين لقصر عنه ووقع دونه وليجعل طلبه أولا للسلامة فاذا صحت له طلب التجويد حينئذ وليرغب فى الحلاوة والطلاوة رغبته فى الجزالة والفخامة وليجتنب السوقى القريب والحوشى الغريب حتى يكون شعره حالا بين حالين كما قال بعض الشعراء

عليك بأوساط الأمور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

فأول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية حسن التأتى والسياسة وعلم مقاصد القول فان نسب ذل وخضع وان مدح أطرى وأسمع وان هجا أخل[1] وأوجع وان فخر خب ووضع وان عاتب خفض ورفع وان استعطف حن ورجع ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل اليه من بابه ويداخله فى ثيابه فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذى به تفاوت الناس وبه تفاضلوا .. وقد قيل لكل مقام مقال وشعر الشاعر لنفسه وفى مراده وأمور ذاته من مزح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك غير شعره فى قصائد الحفل التي يقوم بها بين السلاطين يقبل منه فى تلك الطرائق عفو كلامه ومالم يتكلف له ولا ألقى به بالا ولا يقبل منه فى هذه الا ما كان محككا معاوداً فيه النظر جيداً لاغث فيه ولا ساقط ولا قلق وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الانواع .. وسيأتى هذا فى موضعه من هذا الكتاب مفصلا ان شاء الله تعالى .. والمتأخر من الشعراء فى الزمان لا يضره تأخره اذا أجاد كما لا ينفع المتقدم تقدمه اذا قصر وان كان له فضل السبق فعليه درك التقصير كما أن للمتأخر فضل الاجادة أو الزيادة ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديه ويثبت جيده ويكون سمحاً بالركيك منه مطرحاً له راغباً عنه فان بيتاً جيداً يقاوم ألفي ردى

(١) ن أقل

٠٠ قال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه اختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء والمقدم عليهم

أذود القوافيَ عني ذيادا ذيادَ غلام جريءٍ جرادا

فلما كثرن وعنَّينه تخير منهن شتى جيادا

فأعزلُ مرجانها جانباً وآخذُ من دُرها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ وفي بعضها ـ حرادـ بالحاء مكسورة غير معجمة ـ وشتى جيادا ـ بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء فاذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه فكيف ينبغي لغيره أن يصنع ٠٠ وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندي وروى سفيٍّ في موضع جريءٍ ـ والسفي ـ السفيه والخفيف أيضاً واليه يرجع اشتقاقه وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي ويقال أن أبا نواس كان يفعل هذا الفعل فينفي الدني ويبقي الجيد ٠٠ وليلتمس له من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يعرف بدياً فقد قال بعض المتقدمين شر الشعر ماسئل عن معناه وكان الحطيئة يقول خير الشعر الحولي المحكك أخذ في ذلك بمذهب زهير وأوس وطفيل ٠٠ ولا يجوز للشاعر كما يجوز لغيره أن يكون معجباً بنفسه مثنياً على شعره وان كان جيداً في ذاته حسناً عند سامعه فكيف ان كان دون مايظن كقوم أفردوا لذلك أنفسهم وأفنوا فيه أعمارهم ومايحصلون على طائل وقد قال الله عز وجل ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ اللهم الا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثني على نفسه ويذكر فضل قصيدته فقد جعلوه مجازاً مسامحاً فيه كالذي يعرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم على أن أبا تمام يقول

ويسيءُ بالاحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون

وان كان أوصف الناس لقصيده وأكثرهم ولوعا بذلك وهذا مادام شعراً كان محمولا على ماقدمناه وانما المكروه المعيب أن يكون ذلك منثوراً أو تأليفاً مسطوراً كالذي فعل الناشئ أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر فشكرها ونوه بها ونبه عليها وفضلها على أشعار الفحول مثل جرير وغيره منها قول جرير

ان العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهنَّ أضعف خلق الله إنسانا

وزعم بعد اقامة ما حسبه برهاناً أن قوله

لاشيء أعجب من عينيك انهما لا يضعفان القوى الاَّ اذا ضعفا

خير منه وأسلم من الاعتراض وأكثر اختصاراً ٠٠ ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ويعرف حق من فوقه من الشعراء فان امرأ القيس وكان شديد الفطنة في شعره كثير المنازعة لاهله مدلاً فيه بنفسه واثقا بقدرته لقي التوءم اليشكري واسمه الحارث ابن قتادة فقال له ان كنت شاعراً كما تقول فملط لي انصاف ما أقول فأجزها قال نعم

فقال امرؤ القيس أحار ترى بريقاً هبَّ وهنا
فقال التوءم كنار مجوسَ تستعر استعارا
فقال امرؤ القيس أرقتُ له ونام أبو شريح
فقال التوءم اذا ماقلتُ قد هدأ استطارا
فقال امرؤ القيس كأن هزيعه بوراء غيب
فقال التوءم عشارٌ وآله لاقت عشارا
فقال امرؤ القيس فلما أن على كتفيْ أضاخ
فقال التوءم وهتْ أعجازُ ريِّقهِ فحارا
فقال امرؤ القيس فلم يترك بذات السر ظبيا
فقال التوءم ولم يترك بجلهتها حمارا

فلما رآه امرؤ القيس قدماتنه ولم يكن في ذلك الحرس أي المصر من يماتنه أي يقاومه ويطاوله آلى ألاَّ ينازع الشعر أحداً آخر الدهر روى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو ابن العلاء ولو نظر بين الكلامين لوجد التوءم أشعر في شعرهما هذا لان امرأ القيس مبتدئ ماشاء هو في فسحة مما أراد والتوءم محكوم عليه بأول البيت مضطر في القافية التي عليها مدارهما جميعاً ومن ههنا والله أعلم عرَفَ له امرؤ القيس من حق المماتنة ماعرف ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان ٠٠ وأما جرير فهجاه

شاعر يقال له البَرْدَخْتُ فقال ما اسمه قيل له البردخت فقال وما معنى البردخت قالوا له الفارغ فقال اذاً والله لا أشغل بنفسي أبداً وسالمه هـذا وهو جرير الذي غلب شياطين الشعراء وسكن شقاشق الفحول •• وأما عقبة بن رؤبة بن العجاج فانه أنشد عقبة بن سَلْم بحضرة بشار أرجوزة فقال كيف ترى يا أبا معاذ فأثنى بشار كما يجب لله أن يفعل وأظهر الاستحسان فلم يعرف له عقبة حقه ولا شكر له فعله بل قال له هذا طراز لا تحسنه فقال له بشار أَلمثلي يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة بن سَلْم بأرجوزته التي أولها

يا طلل الحيّ بذات الصَّمدِ　　بالله خبر كيف كنتَ بعدي

فضح بها ابن رؤبة فضيحة ظاهرة كان غنياً عنها •• وكان في البحتري اعجاب شديد اذا أنشد يقول مالكم لا تعجبون أما حَسَنٌ ما تسمعون فأنشد المتوكل يوماً قصيدته التي أولها

عن أي ثغر تبتسم　　وبأي طرف تحتكم

وأبو العباس الصَيْمَري حاضر فلما رأى اعجابه قام حذاءه فقال

من أي سَلحٍ تلتقم　　وبأي كف تلتطم
ذقن الوليد البحتري　　أبي عبادة في الرحم

فولى البحتري وهو غضبان فقال　　وعلمتُ أنك تنهزم

فضحك المتوكل حتى فحص برجليه وأعطى الصَّيمري جائزة سنية

باب عمل الشعر وشحذ القريحة له

لا بد للشاعر وان كان فحلا حاذقاً مبرزاً مقدماً من فترة تعرض له في بعض الأوقات أما لشغل يسير أو موت قريحة أو نبوّ طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين وقد كان الفرزدق وهو فحل مضر في زمانه يقول تمر علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي

أهونُ عليّ من عمل بيت من الشعر .. فاذا تمادي ذلك على الشاعر قيل أصفى وأفصى كما يقال أفصت الدجاجة وأصفت الدجاجة اذا انقطع بيضها وكذلك يقال له أجبل كما يقال لحافر البئر اذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء أجبل ومثل أجبل أكدى الا أنهم خصوا به العطاء وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ويقال أفحمَ الشاعر على أفعلَ قالوا وهو من فحم الصبي اذا انقطع صوته من شدة البكاء فان ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له أهتر فهو مُهْتِر .. وقد قيل في الذبياني انه انما كان شعره نظيفاً من العيوب لانه قاله كبيراً ومات عن قرب ولم يهتر .. وأكثر ماجاء الإهتار في صفة الكبير الذي يخلط كلامه .. وقولهم في شعر النابغة انه قاله وهو كبير يدل على أنه بهذا سمي نابغة كما عند أكثر الناس لا لقوله

« فقد نبغت لنا منهم شؤونُ »

كما تقدم من قول بعضهم .. ويقال أخلى الشاعر كما يقال أخلى الرامي اذا لم يصب معنى .. حكي عن البحتري أنه قال فاوضت ابن الجهم علياً في الشعر وذكر أشجع السلمي فقال انه كان يخلي فلم أفهمها عنه وأنفت أن أسأله عنها فلما انصرفت فكرت فيها ونظرت في شعر أشجع فاذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع .. ثم ان للناس فيما بعد ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر فتشحذُ القرائح وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عادته وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية ان شاء الله تعالى .. قال بكر بن النطاح الحنفي الشعر مثل عين الماء ان تركتها اندفنت وان استهتنتها هتنت وليس مراد بكر أن تستهتنَ بالعمل وحده لانا نجد الشاعر تكلُّ قريحته مع كثرة العمل مراراً وتنزف مادته وتنفدُ معانيه فاذا أجم طبعه أياما وربما زمانا طويلا ثم صنع الشعر جاء بكل آبدة وانهمر في كل قافية شاردة وانفتح له من المعاني والالفاظ مالو رامه من قبل لاستغلق عليه وأبهم دونه لكن بالمذاكرة مرة فانها تقدح زناد الخاطر وتفجر عيون المعاني وتوقظ أبصار الفطنة وبمطالعة الأشعار كرة فانها تبعث الجِدّ وتولد الشهوة .. وسئل ذو الرمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر فقال كيف ينقفل دوني وعندي

مفاتحه قيل له وعنه سألناك ما هو قال الخلوة بذكر الأحباب فهذا لانه عاشق ولعمرى أنه اذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء وانما كان واصف اطلال ونادب اظعان وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول .. وقيل لكثير كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال أطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل على أرصنه ويسرع الى أحسنه .. وقال الأصمعي ما استدعيَ شارد بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخالى وقيل الحالى يعنى الرياض. وحدثنى بعض أصحابنا من أهل المهدية وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو اشرفها أرضاً وهواءً قال جئت هذا الموضع مرة فاذا عبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا فقلت أبا محمد قال نعم قلت ماتصنع ههنا قال ألقح خاطرى وأجلو ناظري قلت فهل نتج لك شيء قال ماتقر به عينى وعينك ان شاء الله تعالى وأنشدنى شعراً يدخل مسامّ القلوب رقة قلت هذا اختيار منك اخترعتهُ قال بل برأى الأصمعي .. وقالوا كان جرير اذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلا يشعل سراجه و يعتزل وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة فى الخلوة بنفسه يحكي أنه صنع ذلك فى قصيدته التي أخزى بها بنى نمير وقد تقدم ذكرها .. وروي أن الفرزدق كان اذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده فى شعاب الجبال و بطون الأودية والأماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده حكي ذلك عن نفسه فى قصيدته الفائية عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ

وذكر أن فتى من الأنصار بحضرة كثير أوغيره فاخره بأبيات حسان بن ثابت

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دما

فأنظره سنةً فمضى حنقاً وطالت ليلته ولم يصنع شيئاً فلما كان قرب الصباح أتى جبلا بالمدينة يقال له ذُباب فنادى أخاكم يابنى لُبَينى صاحبكم صاحبكم وتوسد اذرع ناقته فالثالت عليه القوافي انثيالا وجاء بالقصيدة بكرةً وقد أعجزت الشعراء وبهرتهم طولا وحسناً وجودة .. وقيل لأبى نواس كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر قال أشرب حتى اذا كنتُ أطيب ما أكونُ نفساً بين الصاحي والسكران صنعتُ وقد

داخلني النشاط وهزتني الأريحية .. قال ابن قتيبة وللشاعر أوقات يسرع فيها اتيه ويسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل .. وحكي عن أبي تمام وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر قريب من هذا لا أحفظه نصاً ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدي وان كان مما رواه .. ومما يجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيبها واذا هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ولان السحر ألطف هواء وأرق نسيماً وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار وانما لم يكن العشي كالسحر وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بعد دخول الضياء في السحر على الظلمة ولان النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه ومحتاجة الى قوتها من النوم متشوقة نحوه فالسحر أحسن لمن أراد ان يصنع وأما لمن اراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً﴾ وهذا الكلام الذي لامطعن فيه ولا اعتراض عليه وعلى قراءة من قرأ وطاء يكون معناه أثقل على فاعله واذا كان كذلك كان أكثر أجراً فهذا يشهد لنا أن العمل أول الليل يصعب لان النوم يغلب والجسم يكل .. وكان أبو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره .. حكى ذلك عنه بعض أصحابه قال استأذنت عليه وكان لا يستترعني فأذن لي فدخلت في بيت مصهرج قد غسل بالماء يتقلب يميناً وشمالاً فقلت لقد بلغ بك الحرُّ مبلغاً شديداً قال لا ولكن غيره .ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال فقال الآن أردت ثم استمدَّ وكتب شيئاً لا أعرفه ثم قال أتدري ما كنت فيه مذ الآن قلت كلا قال قول أبي نواس

كالدهرِ فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشمس عليَّ حتى أمكن الله منه فصنعت

شرست بل لنت بل قانيت ذاك بذا فأنت لاشك فيك السهل والجبل

واممري لو سكت هذا الحاكي لتم هذا البيت بما كان داخل البيت لان الكلفة فيه ظاهرة والتعمل بين .. على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها قد وقعت لمن لا يتهم وهو جرير صنع الفرزدق شعراً يقول فيه

فاني أنا الموت الذي هو ذاهب بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول أنا أبو حزرة حتى قال

انا الدهر يفني الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ليعلق الاعجاز بالصدور وذلك هو التصدير في الشعر ولا يأتي به كثيراً الاشاعر متصنع كحبيب ونظرائه والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته غير أني لا أجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه بل أصنع القسم الاول على ما أريده ثم التمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك فأبني عليه القسم الثاني أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ولم أر ذلك بمخل علي ولا يزيحني عن مرادي ولا يغير علي شيئاً من لفظ القسم الأول الا في النُدرة التي لا يعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط .. وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة كالمتعجب من شعره فقال كيف تقول الشعر قال أنظر في ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم يكن أعد شيئاً فأنشد أبياتاً منها

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل قومه أثمان العباء فقال

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا حيٌّ من الناس ان عزوا وان كثروا

ينتهي الى أن يقول في النبي صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال وإياك فثبتَ الله يا بن رواحةَ .. ومن الشعراء مَن يسبق اليه بيت واثنان وخاطره في غيرهما يحب أن يكونا بعد ذلك بأبيات أو قبله بأبيات وذلك لقوة طبعه وانبعاث مادته ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع الا انحل عنه نظم أبياته وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين لانه أعني الشاعر يصير محصوراً على شيء واحد بعينه مضيقاً عليه وداخلا تحت حكم القافية .. وكانوا يقولون ليكن الشعر تحت حكمك ولا تكن تحت حكمه .. ومنهم من اذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ثم أخذ مستعملها وشريفها وماساعد معانيه وما وافقها وأطرح ما سوى ذلك الا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ويعيد عليها تخيره في حين العمل هذا الذي عليه حذاق القوم ومن الشعراء من اذا جاءه البيت عفواً أثبته ثم رجع اليه فنقحه وصفاه من كدره وذلك أسرع له وأخف عليه وأصح لنظره وأرخي لباله .. وآخر لا يثبت البيت الا بعد احكامه في نفسه وتنقيفه من جميع جهاته وذلك أشرف للهمة وأدل على القدرة وأظهر للكلفة وأبعد من السرقة .. وسألت شيخاً من شيوخ هذه الصناعة فقلت مايعين على الشعر فقال زهرة البستان وراحة الحمام وقيل ان الطعام الطيب والشراب الطيب وسماع الغناء مما يرق الطبع ويصفي المزاج ويعين على الشعر ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لُباب البرّ وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة الى أن بلغوا مجهودهم .. فلما سمعوا قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ويا سماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقضيَ الامرُ واستوتْ على الجوديِّ وقيلَ بعداً للقومِ الظالمين ﴾ يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق .. وقيل مقود الشعر الغناء به وذكر عن أبي الطيب أن متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها ☆ جللا كما بي فليكُ التبريح ☆

وهو يتغنى ويصنع فاذا توقف بعض التوقف رجّع بالانشاد من أول القصيدة الى حيث انتهى منها وقال بعضهم مَن أراد أن يقول الشعر فليعشق فانه يرق وليرو فانه يدِل وليطامع فانه يصنع .. وقالوا الحيلة لكلال القريحة انتظار الحمام وتصيد ساعات النشاط وهذا عندي أنجع الاقوال وبه أقول واليه أذهب .. وقال بكرُ بن عبد الله المزني لا تكدُّوا

القلوب ولا تهملوها وخير الفكر ما كان في عقب الجمام ومن أكرهَ بصره عشي وأشحذوا القلوب بالمذاكرة ولا تيئسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدمنَ قرْع الباب وصل . . وقال الخليع من لم يأت شعره مع الوحدة فليس بشاعر قالوا يريد الخلوة وربما أراد الغربة كما قال ديك الجن ما أصفى شاعر مغترب قط . .

ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتمر ذكر فيها البلاغة ودل على مظان الكلام والفصاحة يقول فيها خذ من نفسك ساعة فراغك وفراغ بالك واجابتها إياك فان قلبك تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حساً وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة وبالتكلف والمعاندة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً أو خفيفاً على اللسان سهلا كما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه . . وإياك والتوعرَ فان التوعرَ يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . . ومن أراغَ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوأ حالا منك من قبل أن تلتمس اظهارهما وترهن نفسك في ملابستهما وقضاء حقهما وكن فى احدى ثلاث منازل فان أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذبا وفخماً سهلا ويكون معناك ظاهراً مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما للعامة ان كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . . وانما مدار الشرف مع الصواب واحراز المنفعة ومع موافقة الحال ومع ما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك فى نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطفُ عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فأنت البليغ التام فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك فى أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقةً فى مكانها نافرة

عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب مكانها والنزول في غير أوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فان أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك ولك عابك من أنت أقل منه عيباً ورأى من هو دونك انه فوقك .. فان أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياضَ يومك أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاةَ ان كانت هناك طبيعة أو جريت في الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الاّ وبينكما نسب والشئ لا يحن الا الى ما شاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في صفات الا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة .. وقال بعض أهل الأدب حسب الشاعر عوناً على صناعته أن يجمع خاطره بعد أن يخلي قلبه من فضول الاشغال ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ثم يأخذ فيما يريده .. وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غني أو فضل طمع .. والفقر آفة الشعر وانما ذلك لان الشاعر اذا صنع القصيدة وهو في غني وسعة نقحها وأنعم النظر فيها على مهل فاذا كان مع ذلك طمع غني قويَ انبعاثها من ينبوعها وجاءت الرغبة بها في نهايتها محكمةً واذا كان فقيراً مضطراً رضي بعفو كلامه وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته لما يحفزه من الحاجة والضرورة فجاء دون عادته في سائر أشعاره وربما قصر عمن هو دونه بكثير ومنهم من تحمى الحاجة خاطره وتبعث قريحته فيجود فاذا أوسع أنف وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلا عن الكثيرة وللعادة في هذه الاشياء فعل عظيم وهي طبيعة خامسة كما قيل فيها

باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة فى المقاطع والمطالع .. فقال بعضهم هى الفصول والوصول بينها فالمقاطع أواخر الفصول والمطالع أوائل الوصول وهذا القول هو الظاهر من فحوي الكلام والفصل آخر جزء من القسيم الأول كما قدمت وهي العروض أيضاً والوصل أول جزء يليه من القسيم الثانى .. وقال غيرهم المقاطع منقطع الابيات وهي القوافي والمطالع أوائل الأبيات .. وقال قدامة ابن جعفر في بعض تآليفه وقد ذكر الترصيع هو أن يتوخى تصيير مقاطع الاجزاء فى البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد فى التصريف فأشار بهذه العبارة الى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى .. وقد نجد من الشعر المرصع مايكون سجعه فى غير مقاطع الاجزاء نحو قول أم معدان الاعرابية فى مرثية لها

فعل الجميل وتفريج الجليل واعـطاء الجزيل الذى لم يعطه أحد

فالسجع فى هذا البيت اللام المطردة فى ثلاثة أمكنة منه وآخر الاجزاء التي هي المقاطع على شريطة الياء التى قبل اللام اللهم الا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة فحينئذ على أنا لا نسلم حرف السجع يكون الا متأخراً في مثل هذا المكان ومثل هذا فى أنواع الأعاريض كثير .. ومن الناس مَن يزعم أن المطلع والمقطع أول القصيدة وآخرها وليس ذلك بشيء لانا نجد في كلام جهابذة النقاد اذا وصفوا قصيدة قالوا حسنة المقاطع جيدة المطالع ولا يقولون المقطع والمطلع وفي هذا دليل واضح لان القصيدة انما لها أول واحد وآخر واحد ولا يكون لها أوائل وأواخر الا على ماقدمت من ذكر الابيات والأقسمة وانتهائها .. وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن السمين عن هذا فقال المقاطع أواخر الأبيات والمطالع أوائلها قال ومعنى قولهم حسن المقاطع جيد المطالع أن يكون مقطع البيت وهو القافية متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره فهذا هو حسنه والمطلع وهو أول البيت جودته أن يكون دالا على ما بعده كالتصدير وماشا كله .. وروى الجاحظ أن شب بن شبة كان يقول الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت

كلمة واحدة أرفع من حفظ سائر البيت أو القصيدة وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة وهو بالبيت أليق لذكر حفظ القافية .. وحكي أيضاً عن صديق له أنه قال للعتابي ما البلاغة فقال كل ذي كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ قال قلت قد عرفت الاعادة والحبسة وما الاستعانة قال اما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه اسمع مني واستمع الى وافهم وألست تفهم هذا كله عي وفساد .. قال صاحب الكتاب وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم[1] والله انك لتصغي لحديثي وتقف عند مقاطع كلامي واذا جمل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين واذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة وهو مسموع على غير قياس

باب المبدأ والخروج والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر لقد طار اسمك واشتهر فقال لأني أقللت الحز وطبقت المفصل وأصبت مقاتل[2] الكلام وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج الى المدح والهجاء .. وقد صدق لان حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ولطافة الخروج الى المديح سبب ارتياح الممدوح وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها فان حسنت حسن وان قبحت قبح والأعمال بخواتيمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد فان الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فانه أول ما يقرع السمع و به يستدل على ماعنده من أول وهلة وليجتنب ألا وخليلي وقد فلا يستكثر منها في ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء الذين جروا على عرق وعملوا على شاكلة وليجعله حلواً سهلا وفخماً جزلاً فقد اختار الناس كثيراً من الابتداآت أذكر منها ههنا ماأمكن ليستدل به نحو قول امرئ القيس

(١) ن مسلم (٢) ن مقاصد

قفا نبك من ذكري حبيبٍ ومنزلِ

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر لانه وقف واستوقف وبكي واستبكي وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وقوله

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى

ومثله قول القطامي واسمه عُمير بن شُتيم التغلبي

انا محيوك فاسلم أيها الطلل

وكقول النابغة

كليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

.. وقوله

كتمتكَ ليلاً بالجمومَين ساهرا وهمَّين همّاً مستكنّاً وظاهرا

هذا بعض ما اختير للقدماء .. ومما اختير لهم فى الرثاء قول أوس بن حجر

أيتها النفسُ أجملى جَزعا ان الذى تحذرين قد وقعا

ومما اختير للمحدثين قول بشار بن برد

أبىَ طللٌ بالجزْع أن يتكلما

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث وقول أبى نواس

لمن دمنٌ تزدادُ طيبَ نسيمِ على طُول ماأقوتْ وحسن رُسومِ

.. وقوله

رسمُ الكرى بين الجفونِ محيلُ عفى عليه بكاً عليك طويلُ

وقوله أعطتك ريحانها العقارُ وحانَ من ليلنا انسفارُ

.. وقوله

دع عنك لومي فان اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

وما أشبه ذلك مما لو تقصيته لطال وكثر . وليرغب عن التعقيد في الابتداء فانه أول العي

ودليل الفهة فقد حكى أن دعبلا بن علي الخزاعي ورد حمص فقصد دار عبد السلام ابن رغبان ديك الجن فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارضه ومشارته فقال ما له يستتر وهو أشعر الجن والانس أليس هو الذي يقول

بها غير معـاول فداو خمارها وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونل من عظيم الردف كل عظيمة اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها

فظهر اليه واعتذر له وأحسن نزله ثم تناشدا فأنشد ديك الجن ابتداء قصيدة

كأنها ما كأنه خال الحجـ لة وقف الهـلوك اذ بغما

فقال له دعبل أمسك فوالله ما ظننتك تم البيت الا وقد غشي عليك أو تشكيت فكيك ولـكأنك في جهنم تخاطب الزبانية أو قد تخبطك الشيطان من المس وانما أراد الديك أن يهول عليه ويقرع سمعه عسى أن يروعه و يردعه فسمع منه ما كره أن يسمعه ولعمري ماظلمه دعبل ولقد أبعد مسافة الـكلام وخالف العادة وهذا بيت قبيح من جهات منها اضمار مالم يذكر قبلُ ولا جرت العادة بمثله فيعذر ولا كثر استعماله فيشتهر مع احالة تشبيه على تشبيه وثقل تجانسه الذي هو حشو فارغ ولو طرح من البيت لـكان أحزم واستدعي قافيته لا لشيء الا لفساد المعنى واستحالة التشبيه ما الذي يريد بغامه في تشبيهه الوقف وهو السوار ولم كان وقف الهلوك خاصة ومعنى البيت أن عشيقته كأنها في جيدها وعينها الغزال الذي كأنه بين نبات الخلة سوار الجارية الحسـنة المشي المتهالـكة فيه وقيل الهلوك البغيُّ الفاجرة فما هذا كله وأي شيء تحته ٠٠ ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن بن سهل

كأنها حـين تنـائى خطـوها أخنس مطويُّ الشوى يرعى القلل

فالعيب الاول فى مخالفة العادة لازم له ومع ذلك قوله حين تنائى خطوها فقصر بها وهو يقدر أن يقول حين تدانى خطوها وخالف جميع الشعراء بذلك لانهم انما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الـكلال غلواً فى الوصف ومبالغة هذا هو الجيد فان لم يفعلوا لم يذكروا انهـا بذلت جهدها واستفرغت جميع ماعندها بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ثم قال يرعي القلل والثور لا يرعى قلل الجبال وانما ذلك الوعل فانه لا يسـهل

والثور في السهول والدماث ومواضع الرمال الا أن يريد قلل النبات أعاليه فربما أن تكون القلل نبتاً بعينه أو مكاناً فقد يمكن وما سمعت بهما •• ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول اذا ابتدأ شعراً وأكثر ما يقع ذلك في النسيب كأنه يدل بذلك على وله وشدة حال كقول أبي الطيب

جللاً كما بي فليكُ التبريحُ أغذاءُ ذا الرشأ الأغنِّ الشيحُ

فهذا اعتذار من اعتذر له ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان موضعه أيضاً وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة وليحترس مما تناله فيه بادرة أو يقع عليه مطعن فان أبا تمام امتدح أبا دلف بحضرة من كان يكرهه فافتتح ينشد قصيدته المشهورة

* على مثلها من أربع وملاعب *

وكانت فيه حبسةٌ شديدةٌ فقال الرجل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه على أنه غير مأخوذ بما قيل ولا هو مما يُدخل عليه عيباً ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة الا أن الحوطة والتحفظ من خجلة البادرة أفضل وأهيب والتفريط أرذل وأخذل •• ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده

* أتصحو أم فؤادكَ غيرُ صاحي *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا بن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة والا فقد علم أن الشاعر انما خاطب نفسه •• ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئاً وان كان انما يخاطب نفسه لا كافوراً

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا وحسبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

فالعيب من باب التأدب للملوك وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء لاسيما وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي الطيب وأشرف مآثر شعره اذا ذكر الشعر •• ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ

وكانت بعين عبد الملك ريشة وهي تدمع أبداً فتوهم أنه خاطبه أو عرّض به فقال وما

سؤالك عن هذا يا جاهل فمقته وأمر بأخراجه ٠٠ وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة

والشمس قد كادت ولما تفعل ِ   كأنها في الأفق ِ عينُ الأحول

وكان هشام أحول فأمر به فحجب عنه مدة وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويمازحه ٠٠ وانما يؤتى الشاعر في هذه الاشياء اما من غفلة في الطبع وغلظ أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميل الى شهواتهم وان خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره ٠٠ ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه لو خلد أحد بكرم لكنت مخلدا بكرمك وقال كلاماً نحو هذا فقال الملك أإن الموت حق وان لنا منه نصيباً غير أن الملوك تكره ذكر ماينكد عيشها وينغص لذتها فلا تأتنا بشيء مما نكره ذكره ٠٠ ومن المشهور أن النعمان بن المنذر رأي شجرة ظليلة ملتفة الأغصان في مرج حسن كثير الشقائق وكان معجباً بها واليه أضيفت/ فقيل شقائق النعمان فنزل وأمر بالطعام والشراب فأحضر وجلس للذته فقال له عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة فقال وما تقول قال تقول

رب ركب ٍ قد أناخوا حولنا   يشربون الخمرَ بالماء الزلال

عطفَ الدهرُ عليهم فثوَوْا   وكذاك الدهر حال بعد حال

مَن رآنا فليوطنْ نفسَه   انما الدنيا على قَرْطِ زوال

كأنه قصد موعظته فتنغص عليه ما كان فيه وأمر بالطعام والشراب فرفعا من بين يديه وارتحل من فوره ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليلته وكانا جميعاً نصرانيين فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً ٠٠ ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر حتى بلغوا بهم مالا يمكن فقالوا عش أبداً واسلم مدي الدهر وابق بقاء الزمان ودم مدة الايام واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ماينتحل كل واحد منهم في قول أبي نواس للأمين

يا أمينَ الله عشْ أبدا　　دم على الأيام والزمنِ
أنتَ تبقي والفناءُ لنا　　فاذا أفنيتنا فكن

وفي كثير من مثله واذاخرج الكلام عن حد الامكان فانما يراد به بلوغُ الغاية لاغير ذلك ٠٠ ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه وخالف فيه مذهبه أن بعض بني برمك بنى داراً استفرغ فيها مجهوده وانتقل اليها فصنع أبونواس في ذلك الحين أوقريباً منه قصيدة يمدحه بها يقول أولها

أربعَ البِلا ان الخشوعَ لبادِ　　عليكَ واني لم أخنكَ ودادي

وختمها أو كاد بقوله

سلامٌ على الدنيا اذا مافقدتم　　بني برمكٍ من رائحين وغادي

فتطير منها البرمكي واشمأز حتى كلح وظهرت الوجمة عليه ثم قال نعيت الينا أنفسنا ياأبا نواس فما كانت الا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة ٠٠ وزعم قوم أن أبانواس قصد التشاؤم لهم لشيءٍ كان في نفسه من جعفر ولا أظن ذلك صحيحاً لان هذه القصيدة من جيد شعره الذي لا أشك أنه يحتمل له اللهم الاَّ أن يصنع ذلك حيلة منه وستراً على ما قصد اليه بذلك ٠/٠ وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب مافي الطباع من حب الغزل والميل الى اللهو والنساء وان ذلك استدراج الى مابعده ٠٠ ومقاصد الناس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والاشفاق منه وصفة الطلول والحمول والتشوق بحنين الابل ولمع البروق ومر النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحلون بها من خزامى وأقحوان وبهار وحَنوةٍ وظيانٍ وعرار وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب وتنبته الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ولا يعدونَ النساءَ اذا تغزلوا ونسبوا فان وقع مثل قول طرفة

وفي الحيِّ أحوى ينفضُ المردَ شادنٌ　　مُظاهر سمطيْ لؤلؤ وزبرجد

فانما هو كناية بالغزل عن المرأة ٠٠ وأهل الحاضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ومنعةِ الحرس والأبواب وفي ذكر الشراب والندامي والورد

والنسرين والنيلوفر وما شاكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية وفي تشبيه التفاح والتحية به ودس الكتب وما شاكل ذلك مماهم به منفردون .. وقد ذكروا الغلمان تصريحاً ويذكرون النساء أيضاً منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم واتباعا لما ألفته طباع الناس معهم كما يذكر أحدهم الابل ويصف المفاوز على العادة المعتادة ولعله لم يركب جملا قط ولا رأى ماوراء الجبانة ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه وان ذكر مجرياً على عادة المحدثين وسلوكاً لطريقتهم لئلا يخرج عن سلك أصحابه ويدخل في غير سلكه وبابه أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته أو حب رشاقته .. وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرته الا أني أتلمح في هذا المكان بقول أبي نواس

عليَّ عينٌ وأذنٌ من مذكرة موصولة بهوى اللوطيِّ والغزلِ
كلاهما نحوَها سام بهمته على اختلافهما في موضع العمل

والعادة أن يذكر الشاعر ماقطع من المفاوز وما انضى من الركائب وما تجشم من هول الليل وسهره وطول النهار وهجيره وقلة الماء وغؤوره ثم يخرج الى مدح المقصود ليوجب عليه حق القصد وذمام القاصد ويستحق منه المكافأة .. وكانوا قديماً أصحاب خيام ينتقلون من موضع الى آخر فلذلك أول ماتبدأ اشعارهم بذكر الديار فتلك ديارهم وليست كأبنية الحاضرة فلا معنى لذكر الحضري الديار الا مجازاً لان الحاضرة لاتنسفها الرياح ولا يمحوها المطر الا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من اهل الجيل وأحسن ماستعمله المولدون المحدثون ماناسب قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني بأعلاه قصريٌّ الديار رصافي
أشار بقضبان من الدر قُمّت يواقيت حمراً فاستباح عفافي

وكانت دوابهم الابل لكثرتها وعدم غيرها ولصبرها على التعب وقلة الماء والعلف فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ماليس عنده كما يفعل المحدثون ألا ترى أن امرأ القيس لما كان ملكا كيف ذكر خيل البريد والفُرانق يعني البريد على أنه لم يستغن عن ذكر الابل للعادة التي جرت على ألسنتهم

فقال يصف رحيله الى قيصر ملك الروم

اذا قلت روحنا أرنّ فرانقٌ   على جلعدٍ واهي الاباجل أبترا

على كل مقصوص الذنابى معاودٍ   بريد السرى بالليل من خيل بربرا

اذا زعته من جانبيه كليهما   مشي الهيدبى فى دفه ثم فرفرا[1]

أقبّ كسرحان الغضا متمطرٍ   ترى الماء من أعطافه قد تحدرا

وكانت الخيل البربرية تهلب أذنابها كالبغال لتدخل مداخلها فى خدمة البريد وليعلم أنها للملك .. وقال الفرزدق

راحت بمسلمةَ البغالُ عشيةً   فارعي فزارةُ لا هناكِ المرتعُ

لما كان الذى راحت به البغال أميراً يذكر رحيله وقد عزل .. وقال ابن ميادة فى ابن هبيرة لما كان أميراً أيضاً

جاءت به معتجراً ببُرْدِهِ   سفواءُ تردى بنسيج وحده

تقدحُ قيسٌ كلها بزندهِ

الا أن منهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد الممدوح راجلا اما اخباراً بالصدق واما تعاطى صعلكة ورجلة .. قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد

اليك أبا العباس من بين من مشى   عليها امتطينا الحضرمي الملسنا

قلائصُ لم تعرف حنيناً على طلى   ولم تدر ما قرعُ الفنيق ولا الهنا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها اليه نعالهم فأخرجه كما ترى مخرج اللغز واتبعه أبو الطيب فقال

لا ناقتى تحمل الرديف ولا   بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورُها ومشفرُها   زمامها والشسوعُ مقودُها

---

(١) هكذا فى الاصول وفى اللسان ج ٦ ص ٣٥٩ فى مادة ف ر ر

اذا ذعته من جانبيه كليهما   مشى الهيذبى فى دفه ثم فرفرا

ثم قال ويروي قرقرا والهيذبي بالذال المعجمة سير سريع

وقال كرة أخرى فى مثل ذلك يتشكي

وخيبتُ من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشى راكبا

وقال أيضاً يتصملك ويتفقر

ومهمه جبته على قدمى تعجز عنه العرامس الذُّلُلُ

بصارمى مرتدٍ بمخبرتى مجتزئ بالظلام مشتمل

ولو شاء قائل أن يقول ان أبا نواس لم يرد ماذهب اليه أبو الطيب لكن أراد أنه معه فى بلدة واحدة قصده فى حاجته محتذياً نعليه لكان ذلك أظهر وجهاً مالم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد ٠٠ وقد ذكر أبو الطيب الخيل أيضاً فى كثير من شعره وكان يؤثرها على الابل لما يقوم فى نفسه من التهيب بذكر الخيل وتعاطى الشجاعة فقال يذكر قدومه الى مصر على خوف من سيف الدولة

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغربُ

وعينى الى أذنيْ أغرّ كأنه من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ

له فضلة عن جسمه فى إهابه تجئ على صدرٍ رحيب وتذهبُ

شققت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مرارا فيلعبُ

وأصرع أي الوحش قفيته به وأنزل عنه مثله حين أركبُ

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت فى عين من لايجربُ

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيّبُ

وليس فى زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله الا مابعد قلة فالواجب اجتنابه الا ما كان حقيقة لاسيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح يراه فى أكثر أوقاته فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ ٠٠ وقد قلت أنا وان لم أدخل فى جملة من تقدم ولا بلغت خطته من قصيدة اعتذرت بها الى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان

اليك يخاض البحر فعماً كأنه بأمواجه جيش الى البر زاحف

ويمشي خلف النجح كل منيفة تريك يداها كيف تطوى التنائف

من الموجفات اللاتي يقذفن بالحصى ويرمي بهن المهمه المتقاذف

يطير اللغام الجعد عنها كأنه من القطن أو ثلج الشتاء ندائف

وقد نازعت فضل الزمام ابن نكبة هو السيف لا ما أخلصته المشارف

فكيف تراني لو أعنت على الغنى بجد واني للغنى لمشارف

وقد قرب الله المسافة بيننا وأنجزني الوعد الزمان المساوف

ولولا شقائي لم أغب عنك ساعة ولا رام صرفي عن جنابك صارف

ولكنني أخطأت رشدي فلم أصب وقد يخطئ الرشد الفتى وهو عارف

فذكرت قرب المسافة بيني و بينه حوطة واخباراً أن خوض البحر وجوب الفلاة من صفة غيري من القصاد والغرباء والمنتجعين من الامصار .. ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي اليه أدام الله عزه عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا

وذيّال له رجل طحون لما نزلت به ويدٌ زَجوج

يطير بأربع لاعيب فيها لظهران الصفا منها عجيج

خرجت به عن الاوهام سبقاً وقلّ له عن الوهم الخروج

الى الملك المعز أبي تميم أمرٌ بمن سواه فلا أعيج

ومن أخرى فى معنى التقفر والرحلة

وماء بعيد الغور كالنجم في الدجا وردت طروقاً أو وردت مهجرا

على قدم أخت الجناح وأخمص يخال حصى المعزاء جمراً مسعرا

فريداً من الاصحاب صلتاً من الكسا كما أسلم الغمد الحسام المذكرا

ومن الشعراء من لايجعل لكلامه بسطاً من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة وذلك عندهم هو الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب كل ذلك

يقال .. والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء وهي التي لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب .. قال أبو الطيب

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

فأنكر النسيب وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى أبو نواس بقوله

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين

صفة الطلول بلاغة القُدُمِ فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزري به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلط تضيق ذراعي ان أرد له أمرا

فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ وجهل وكان شعوبي اللسان فما أدري ما وراء ذلك وان في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء لشاهداً عدلا لا ترد شهادته .. وقد قال أبو تمام

* لسان المرء من خدم الفؤاد *

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلا كما يصنع بعض أهل زماننا هذا وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح ان شاء الله تعالى .. ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فملا لذلك البحتري كان يصنع الابتداء سهلا ويأتي به عفواً وكلما تمادى قوى كلامه وله من جيد الابتدا آت كثير لكثرة شعره والغالب عليه ماقدمت غير أن القاضي الجرجاني فضله بجودة الاستهلال وهو الابتداء على أبي تمام وأبي الطيب وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ولست أرى لذلك وجهاً الا كثرة شعره كما قدمت فانه لو حاسبهما ابتداء جيداً بابتداء ما

لا ربى عليهما وقصرا عن عذره ٠٠ فأما الحاتمي فانه يغض من أبي عبادة غضاً شديداً ويجور عليه جوراً بيناً لا يقبل منه ولا يسلم اليه ٠٠ وكان أبو تمام فخم الابتداء له روعة وعليه أبهة كقوله

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

٠٠ وقوله

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

٠٠ وقوله اصغي الى البين مغتراً فلا جرما

٠٠ وقوله يا ربع لو ربعوا على ابن هموم

والغالب عليه نحت اللفظ وجهارة الابتداء ٠٠ وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى يفضل ابتداآت البحتري جداً وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ونوه فيه بالبحتري أعظم تنويه ٠٠ ومن جيد ابتداآته قوله

عارضنا أصلا فقلنا الربرب حتى أضاء الأقحوان الاشنب

٠٠ وقوله

ما على الركب من وقوف الركاب في مغاني الصبا ورسم التصابى

٠٠ وقوله ضمان على عينيكِ أني لا أسلو

٠٠ وقوله

نوى عنده علم بشجوى وأدمعي وأنى متى أسمع بذكراه أجزع

وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج انما هو أن تخرج من نسيب الى مدح أو غيره بلطف تحيّل ثم تتادى فيما خرجت اليه ٠٠ كقول حبيب في المدح

صب الفراق علينا صب من كثب عليه اسحاق يوم الروع منتقما

سيف الامام الذى سمته هيبته لما تخرم أهل الأرض مخترما

ثم تمادى في المدح الى آخر القصيدة ٠٠ وكقول أبي عبادة البحتري

سقيت رُباكَ بكل نوءٍ عاجل   من وبله حقاً لها معلوما

ولو أنني أعطيت فيهن المنى   لسقيتهن بكف ابراهيما

وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب فانه ما يكاد يملك له ولا يشذ عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه نحو قوله

هافانظري أوفظني بي ترى حُرَقاً   مَن لم يذق طرفاً منها فقد وألا

علَّ الامير يرى ذلي فيشفع لي   الى التي تركتني في الهوى مثلا

فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً وليس هذا من قول أبي نواس

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد   هوانا لعل الفضل يجمع بيننا

في شيء لان أبا نواس قال ـ يجمع بيننا ـ ثم اتبع ذلك ذكر المال والسخاء به فقال

أمير رأيت المال في نعمائه   مهيناً ذليلَ النفس بالضيم موقنا

فكأنه أشار الى أن جمعه بينهما بالمال خاصة يفضل عليه ويجزل عطيته فيتزوجها أو يتسرى بها وأبو الطيب قال يشفع والشفاعة رغبة وسؤال ثم اتبع بيته بما هو مقو لمعناه في القيادة فقال

أيقنت أن سعيداً طالب بدمي   لما بصرت به بالرمح معتقلا

فدل على أنه يشفع فان أجيب الى مساعدة أبي الطيب فذاك والا رجع الى القهر .. والذى يشاكل قول أبي نواس قوله

أحب التي في البدر منها مشابه   وأشكو الى من لا يصاب له شكل

فلفظة ـ الشكوى ـ تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس .. ومما سقط فيه وان كان مليح الظاهر قوله يخاطب امرأة نسب بها

لو أن فنا خسر صبحكم   وبرزت وحدك عاقه الغزل

وتفرقت عنه كتائبه   إن الملاح خوادع قتل

ما كنت فاعلة وضيفكم   ملك الملوك وشأنك البخل

أتمنعين قرى فتفتضحي   أم تبذلين له الذي يسل

بل لا يحل بحيث حل به   بخل ولا جور ولا وجل

فحتم على فنا خسرو بأن الغزل يعوقه وان كتائبه تتفرق عنه وجعله يسأل هذه المرأة وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ثم أوجب أن البخل لا يحل بحيث حل فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ولعل هذا كان اقتراحاً من فنا خسرو والا فما يجب أن يقابل من هو ملك الملوك بمثل هذا وما أسرع ما انحط أبو الطيب بينا هو يسأل الامير أن يشفع له الى عشيقته صار يشفع للامير عندها ٠٠ والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى كلامه الاول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية وجل ما يأتي تشبيهاً وسيرد عليك فى بابه مبيناً ان شاء الله تعالى ٠٠ ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوصلا وينشدون أبياتاً منها

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس ولو كان من جرم

ولو أن جرماً أطعموا شحم جفرة لباتوا بطاناً يضرطون من الشحم

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الاول وأخذ فى غيره ثم رجع الي ما كان فيه ٠٠ كقول النابغة الذبيانى آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر

وكفكفتُ منى عبرةً فرددتها الى النحرِ منها مستهلٌ ودامع

علي حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلت ألما أصحُ والشيبُ وازع

ثم تخلص الى الاعتذار فقال

ولكن هماً دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وعيدُ أبى قابوس فى غير كنهه أتانى ودوني راكسٌ فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال

فبتُّ كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

يسهد فى ليل التمام سليمها لحلي النساء فى يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع

فوصف الحية والسليم الذى شبه به نفسه ماشاء ثم تخلص الى الاعتذار الذى كان فيه فقال

أتانى أبيتَ اللعن انك لمتنى وتلك التي تستك منها المسامع

ويروى ـ وخبرت خير الناس انك لمتنى ـ ثم اطرد له ما شاء من تخلص الى تخلص حتى انقضت القصيدة وهو مع ما أشرت اليه غير خاف ان شاء الله تعالى •• وقد يقع من هذا النوع شئ يعترض فى وسط النسيب من مدح من يريد الشاعر مدحه بتلك القصيدة ثم يعود بعد ذلك الى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع الى المدح كما فعل أبو تمام وان أتى بمدحه الذي تمادي فيه منقطعا وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة

ظلمتك ظالمة البرئ ظلوم والظلم من ذى قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

لا والذى هو عالم أن النوى أجل وأن أبا الحسين كريم

مازلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم

ثم قال بعد ذلك

لمحمد بن الهيثم بن شبابة مجد الى جنب السماك مقيم

ويسمي هذا النوع الالمام •• وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج الى المدح بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسبيله دع ذا وعد عن ذا ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذى يقصدونه فاذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا بقوله دع ذا وعد عن ذا ونحو ذلك سمى طفراً وانقطاعاً •• وكان البحترى كثيراً ما يأتى به نحو قوله

لولا الرجاء لمت من ألم الهوى لكن قلبي بالرجاء موكلُ

ان الرعية لم تزل فى سيرة عمرية مذ ساسها المتوكل

ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة الى فلان قصدتُ وحتى نزلت بفناء فلان وماشا كل ذلك •• وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتى بعده أحسن منه واذا كان أول الشعر مفتاحاً

له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه وقد أربى أبوالطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة الاَّ أنه ربما عقد أوائل الاشعار ثقة بنفسه واغراباً على الناس كقوله أول قصيدة

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه   بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فان هذا يحتاج الأصمعي الى أن يفسر معناه ويقع له فى الخروج ما كان تركه أولى به وأشعر له وانما أدخله فيه حب الاغراب فى باب التوليد حتى جاء بالغث البارد والبشع المتكلف نحو قوله

أحبك أو يقولوا جرَّ نملٌ   ثبيراً وابن ابراهيم ريعا

فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد وما أظنه سرق هذا المعنى الشريف الاَّ من كذبة كذبها أبو العباس[1] الصيمرى عن لسان رجل زعم أنه قال رأيت رجلا نام ويده غمرة فجره النمل ثلاثة فراسخ فقد جعل أبوالطيب مكان الرجل جبلا وان اعلمنا الاغراق فى مراده ولفظه .. وقال

أعز مكان فى الدنا سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

وبحر أبو المسك الخضم الذي له   على كل بحر زخرة وعُباب

يريد وخير بحر أبو المسك وهــذه غاية التصنع والتكلف .. ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة كل ذلك رغبة فى أخذ العفو واسقاط الكلفة ألا ترى معلقة امرىء القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر

كأن السباع فيه غرقي غُدَيَّةً   بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهى أفضلها .. وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لانه من عمل أهل الضعف الاَّ للملوك فانهم يشتهون ذلك كما قدمت ما لم يكن من جنس قول أبى الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة

---

(١) ن أبو العنبس

فلا هجمتَ بها الأَ على ظفر ولا وصلت بها الأَ الى أمل

فان هذا شبيه ما ذكر عن بغيض كان يصابح الامير فيقول لاصبح الله الامير بعافية ويسكت ثم يقول الأَ ومساه بأكثر منها ويماسيه فيقول لامسى الله الامير بنعمة ويسكت سكتة ثم يقول الا وصبحه بأتم منها أو نحو هذا فلا يدعو له حتى يدعو عليه ومثل هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب

باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال له إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته ٠٠ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال في اللسان يريد البيان ٠٠ وقال أصحاب المنطق حد الانسان الحي الناطق فمن كان في المنطق أعلى رتبة كان بالانسانية أولى ٠٠ وقالوا الروح عماد الجسم والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم ٠٠ وسئل بعض البلغاء ما البلاغة فقال قليل يفهم وكثير لا يسأم ٠٠ وقال آخر البلاغة اجاعة اللفظ واشباع المعنى ٠٠ وسئل آخر فقال معان كثيرة في ألفاظ قليلة ٠٠ وقيل لاحدهم ما البلاغة فقال اصابة المعنى وحسن الايجاز ٠٠ وسئل بعض الاعراب من أبلغ الناس فقال أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة ٠٠ وسأل الحجاج ابن القبعثري ما أوجز الكلام فقال ألا تبطئ ولا تخطئ وكذلك قال صُحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان ٠٠ وقال خلف الاحمر البلاغة لمحة دالة ٠٠ وقال الخليل بن احمد البلاغة كلمة تكشف عن البقية ٠٠ وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي ما البلاغة عندكم فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل ٠٠ وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الى عمرو بن مسعدة اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً واذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عياً ٠٠ وأنشد المبرد في صفة خطيب

طبيب بداء فنون الكلا م لم يعي يوماً ولم يهذر

فان هو أطنب فى خطبـة   قضى للمطيـل على المنزر
وان هو أوجز فى خطبـة   قضي للمقل على المكثر

قال أبو الحسن على بن عيسى الرمانى أصل البلاغة الطبع ولها مع ذلك آلات تعـين عليها وتوصل للقوة فيها وتكون ميزاناً لها وفاصلة بينها و بين غيرها وهي ثمانيـة أضرب الايجاز والاستعارة والتشبيه والبيان والنظم والتصرف والمشاكاة والمثل وسيرد كل واحد منها بمكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . . وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال من اقتصر على الايجاز وتنكب الفضول . . وسئل ابن المقفع ما البلاغة فقال اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها يكون فى الاشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون فى الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة . . قال صاحب الكتاب فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة فى الايجاز . . وقال بعض الكلبيين

واعلم بأن من السكوت إبانة   ومن التكلم ما يكون خبالا

وقلت أنا فى مثل ذلك

وأخرقَ أكالٍ للحم صديقه   وليس لجاري ريقـه بمسيغ
سكت له ضناً بعرضى فلم أجب   ورب جواب فى السكوت بليغ

وقلت أيضاً ولم أذكر بلاغة

أيها الموحي الينـا   نفثة الصل الصموت
ماسكتنا عنـك عياً   رب نطق فى السكوت
لك بيت في البيوت   مثل بيت العنكبوت
إن يهن وهناً ففيـه   حيلتا سكنى وقوت

وقيل لبعضهم ماالبلاغة فقال ابلاغ المتكلم حاجتـه بحسن افهام السامع ولذلك سميت

بلاغة •• وقال آخر البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك •• وقال آخر البلاغة معرفة الفصل من الوصل •• وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة •• وقيل البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره وآخره يرتبط بأوله •• وقيل البلاغة القوة على البيان مع حسن النظام •• ومن قول السيد أبي الحسن أدام الله عزه في صفة كاتب بالبلاغة وحسن الخط

فَضَلَ الأنام بفضل علم واسع وعلا مقالهم بفصل المنطق
وحكي لنا وشي الرياض وقد وشت أقلامه بالنقش بطن المهرق

فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف •• ونحو ذلك قوله ايضاً

اذا مشقت يمناك في الطرس أسطرا حكيت بها وشي الملاء المعضد
يروق مجيد الخط حسن حروفها ويعجب منها بالمقال المسدد

وهذا الشعر كالأول في الحز واصابة المفصل وأن أبا الحسن لكما قال سميه أبو الطيب خاتم الشعراء

عليم بأسرار الديانات واللغي له خطرات تفضح الناس والكتبا

بل كما قال ولي نعمته وشاكر منته

اني لاعجب كيف يحسن عنده شعر من الاشعار مع احسانه
ما ذاك الا أنه در النهي يَفِرِ التجار به على دِهقانه

أستغفر الله لا أجحد أبا الطيب حقه ولا أنكر فضله •• وقد قال

ملك منشد القريض لديه يضع الثوب في يدي بزاز

ثم نرجع الى وصف البلاغة بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر السيد فنقول •• وقالوا البلاغة ضد العي والعي العجز عن البيان •• وقيل لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك •• وسأل عامر بن الظرب العدواني حمامة بن رافع الدوسي بين يدي بعض ملوك حمير فقال من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز وطبق المفصل

قبل التحريز •• قيل لارسطاطاليس ما البلاغة قال حسن الاستعارة •• وقال الخليل البلاغة ما قرب طرفاه وبعد منتهاه •• وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعنى والقصد الى الحجة •• وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة قال الجزالة والاطالة وهذا مذهب جماعة من الناس جلة وبه كان ابن العميد يقول فى منثوره •• وقيل لبعض الجلة ما البلاغة فقال تقصير الطويل وتطويل القصير يعني بذلك القدرة على الكلام •• وقال أبو العيناء من أجزأ بالقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء وبعد القريب وأخفى الظاهر وأظهر الخفي •• وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ويصف بلاغته

ومعان لو فصلتها القوافي هجَّنت شعر جرول ولبيد

حُزْنَ مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركـن به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد بفضل الشعر على النثر •• وحكي الجاحظ عن الامام ابراهيم بن محمد قوله كفى من حظ البلاغة الا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ثم قال الجاحظ أما أنا فأستحسن هذا القول جداً •• ومن كلام ابن المعتز البلاغة بلوغ المعنى ولمّا يطل سَفَرُ الكلام •• وقال ابن الاعرابي البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير •• وقال بعض المحدثين البلاغة اهداء المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ •• ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبي قال قال بعضهم البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة •• وقال خير الكلام ما قل ودل وجل ولم يمل •• وقال أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه •• قال وقيل البليغ من يجتني من الألفاظ نُوارها ومن المعاني ثمارها وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبي الطيب فى قوله لابن العميد

قطفَ الرجالُ القول قبل نباته وقطفت أنت القـول لما نوَّرا

وكان يمكنه أن يقول لما أثمر لكن ذهب الى ماقدمت وانما اقتدى بقول أبي تمام

ويجف نُوَّار الكلام وقلما يلفى بقاء الغرس بعد الماء

وكان بعضهم يقول تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق فى غير أهل

البادية نقص والخروج مما بنى عليه الكلام اسهاب .. وقال العتابي قيم الكلام العقل وزينته الصواب وحليته الاعراب ورائضه اللسان وجسمه القريحة وروحه المعاني .. وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث البلاغة الفهم والافهام وكشف المعانى بالكلام ومعرفة الاعراب والاتساع فى اللفظ والسداد فى النظم والمعرفة بالقصد والبيان فى الاداء وصواب الاشارة وإيضاح الدلالة والمعرفة بالقول والاكتفاء بالاختصار عن الاكثار وامضاء العزم على حكومة الاختيار قال وكل هذه الابواب محتاج بعضها الى بعض كحاجة بعض أعضاء البدن الى بعض لاغنى لفضيلة أحدهاعن الآخر فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ومن شذ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع فيه منها قال والبلاغة تخير اللفظ في حسن افهام .. وسئل الكندى عن البلاغة فقال ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ونوع تعرفه وتتكلم به ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها .. ومن كتاب عبد الكريم قالوا حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل والباطل فى صورة الحق قال ومنهم من يعيب ذلك المعنى ويعده إسهابا وآخر يعده نفاقاً .. قال ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله ابن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير يتعلم فيه العوم صبيانهم ويكون اسقياهم ومسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم قال ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر وقد كان عادى ابن عامر فقال له ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير تنذى منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم فكره الناس من البيان مثل هذا انقضى كلام عبد الكريم .. والذى أراه أنا ان هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق لانه لم يجعل الباطل حقاً على الحقيقة ولا الحق باطلا وانما وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى كما فعل عمرو ابن الأهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الزبرقان بن بدر فأثنى خيراً فقال مانع لحوزته مطاع فى أنديته ويروى فى أدانيه فلم يرض الزبرقان بذلك وقال اما أنه قد علم أكثر مما قال ولكن حسدنى لشرفى وفى رواية أخرى حسدنى مكانى منك يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه عمرو شراً وقال أما ان قال ما قال

لقد علمته ضيق الصدر زمر المروءة أحمق الأب لئيم الخال حديث الغنى ثم قال والله يا رسول الله ما كذبت عليه فى الأولى ولقد صدقت فى الآخرة ولكن أرضانى فقلت بالرضى وأسخطنى فقلت بالسخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً ٠٠ قال أبو عبيد القاسم بن سلام وكان المعنى والله أعلم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك ٠٠ وقال الجاحظ العربى يعاف البذاء ويهجو به غيره فاذا ابتلى به فخر به ولكنه لا يفتخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه ٠٠ ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال له بلغني عنك بذاء قال ان يكن البذاء صفة المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله وذم فقال ﴿ نعم العبد انه أواب ﴾ وقال ﴿ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴾ فذمه حتى قذفه واما أن أكون كالعقرب التى تلسع النبي والذمي فقد أعاذ الله عبدك من ذلك وقد قال الشاعر

اذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

قال الجاحظ قال ثمامة بن أشرس قلت لجعفر بن يحيي ما البيان قال أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ويخبر عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا يستعين عليه بالكثرة والذى لا بد منه أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة بريأ من التعقيد غنياً عن التأويل قال الجاحظ وهذا هو تأويل قول الأصمعي البليغ من طبق المفصل واغناك عن المفسر قال أبو عبيدة البلغ البليغ بفتح الباء وقال غيره البلغ الذى يبلغ ما يريد من قول وفعل والبلغ الذى لا يبالي ما قال وما قيل فيه كذلك قال أبو زيد وحكي ابن دريد كلام بلغ و بليغ وقال ابن الاعرابى يقال بلغ و بلغ ولا شك أن ابن الاعرابى قال انما هو فى الأهوج الذى لا يبالي حيث وقع من القول وقد تكرر فى هذا الباب من أقاويل العلماء مالم يخف عني ولا غفلته لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو ايجاز مع حسن العبارة ومن جيد ما حفظته قول بعضهم البلاغة شد الكلام معانيه وان قصر وحسن التأليف وان طال

باب الايجاز

الايجاز عند الرماني على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقولك سل أهل القرية ومنه مافيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل ﴿ واسأل القرية ﴾ وعبر عن الايجاز بأن قال هوالعبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ونعم ما قال الا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة .. فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي غير شيمته أن التخلق يأتي دونه الخلق
ولا يواتيك فيما ناب من حدث الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ولا معناه على لفظه شيئاً .. ومثله قول أبي العتاهية ورواه بعضهم للحطيئة وهذا شرف عظيم لابى العتاهية ان كان الشعر له ولا أشك فيه

الحمد لله انى فى جوار فتى حامى الحقيقة نفاع وضرار
لا يرفع الطرف الا عند مكرمة من الحياء ولا يغضى على عار

وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن

انما الذلفاء همي فليدعنى من يلوم
أحسن الناس جميعاً حين تمشي وتقوم
أصل الحبل لترضى وهي للحبل صروم

ثم قال عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن وهذه الأبيات واشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .. والضرب الثانى مما ذكر الرماني وهو قول الله عز وجل ﴿واسأل القرية﴾ يسمونه الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز وفى الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي علي الذاهب .. من ذلك قول الله عز وجل ﴿ ولوْ أنَّ قرآناً سُيِّرت به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ

أو كلم به الموتي ﴾ كأنه قال لكان هذا القرآن ‥ ومثله قولهم لورأيت علياً بين الصفين أى لرأيت أمراً عظيما وانما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لان نفس السامع تتسع فى الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصوراً ‥ وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سوية   ولكنها نفس تساقط أنفسا

كأنه قال لهان الأمر ولكنها نفس تموت موتات ونحوهذا ‥ ومن الحذف قول الله عز وجل ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ‥ ومن كلام النبي صلي الله عليه وسلم قوله للمهاجرين وقد شكروا عنده الانصار أليس قد عرفتم ذلك لهم قالوا بلى قال فان ذلك يريد فان ذلك مكافأة لهم ‥ وروى أبو عبيدة أن سفيان الثورى قال جاء رجل من قريش الى عمر بن عبد العزيز يكلمه فى حاجة له فجعل يمت بقرابته فقال عمر فان ذاك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذاك ‥ وقال الطرماح يوماً للفرزدق يا أبا فراس أنت القائل

ان الذى سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز وأطول

أعز مماذا وأطول مماذا وأذن المؤذن فقال له الفرزدق يالكع ألا تسمع ما يقول المؤذن الله أكبر أكبر مما ذا أعظم مماذا فانقطع الطرماح انقطاعاً فاضحاً ‥ وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عزيز طويل ولكنه بناه علي أفعل مثل أبيض وأحمر وما شاكلهما فجعله لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار فى المعنى ‥ ومن الايجاز قول الاعرابي فى صفة الذئب

أطلس يخفى شخصه غباره   فى شدقه شفرته وناره

فقوله ــ فى الشفرة والنار ــ ايجاز مليح ‥ وقال آخر فى صفة سهم صارد

* غادر داء ونجا صحيحا *

وقال آخر فى صفة ناقة   * خرقاء الا أنها صناع *

وقال أبو نواس يصف جنين ناقة مخدجا   * ميت النسا حي الشمم *

وقال ابن المعتز يصف بازياً   * مبارك اذا رأى فقد رزق *

ومن الايجاز البديع قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أقلعي وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستوت على الجوديِّ وقيلَ بُعداً للقومِ الظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ خذِ العفوَ وأمرْ بالعرفِ وأعرضْ عنِ الجاهلين ﴾ فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير وهي على ما ترى من الاحكام والايجاز ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم همُ العدوُّ فاحذرْهمْ قاتلهمُ اللهُ أنى يؤفكون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها ﴾ وقوله ﴿ إنْ تتبعونَ الاَّ الظنَّ وما تهوى الانفس ﴾ . . وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال كفي بالسلامة داء ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالايجاز وقد قال أعطيت جوامع الكلم فأما قوله عليه الصلاة والسلام كفي بالسيف شا يريد شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبد الكريم والذي أرى أن هذا ليس مما ذكروا في شيء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكما ودليل ذلك أنه قال لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران فهذا وجه الكلمة والله أعلم لا كما قال علقمة بن عبدة

كأن أبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

يريد — بسبائب الكتان — فحذف اضطراراً لان الوزن لا يستقيم له الا بعد الحذف وكذلك قول لبيد * درس المنا بمتالع فأبان *

يريد — المنازل — فحذف للضرورة أيضاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر . . فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير لحب الاستخفاف وتارة للضرورة وسيرد عليك في باب الرخص ان شاء الله تعالى

باب البيان

قال أبو الحسن الرماني في البيان هو احضار المعنى للنفس بسرعة ادراك وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة لانها احضار المعنى للنفس وان كان بابطاء . . وقال البيان الكشف عن المعنى

حتى تدركه النفس من غير عقلة وانما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم بيان .. قال صاحب الكتاب وقد مرَّ بي في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاما وهو من جيد البيان عندهم وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وقال مثل ذلك للعلاء بن الحضرمي وقد سأله هل تروي من الشعر شيئاً فأنشده

حيِّ ذَوِي الاضغان تسب عقولهم ... تحيتك الحسنى وقد يرقع النعل

فان دحسوا بالكره فاعف تكرماً ... وان خنسوا عند(1) الحديث فلا تسل

فان الذي يؤذيك منه سماعه ... وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وروي لحكمة .. ومن البيان الموجز الذي لا يقرن به شئ من الكلام قول الله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله في الاعراب عن صفته ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فبين تعالى أنه واحد لا ثاني معه وأنه صمد لا جوف له وقيل الصمد السيد الذي يصمد اليه في الأمور كلها ولا يعدل عنه وقيل العالي المرتفع وأنه غير والد ولا مولود وأنه لا شبه له ولا مثل وقيل ان الكفو هنا الصاحبة تعالى الله وانما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو سألتموني أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك فبينما هو كذلك اذ هبط عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة .. ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه فهذا كلام في نهاية البيان والايجاز .. وقال أبو بكر رضى الله عنه في بعض مقاماته وليت أموركم ولست بخيركم أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت فلا طاعة لي عليكم فقد بلغ بهذه الالفاظ الموجزة غاية البيان .. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في بعض خطبه أيها الناس

---

(١) ن حبسوا عنك

إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه روى ذلك المبرد عن العتبي وذكر الأخفش عن علي ابن سليمان هذه الخطبة فقال الصحيح عندي انها لابي بكر٠٠ ومن كلام عمر رضى الله عنه كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه٠٠ وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبا وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بي قدره وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلي وإلاَّ فأدركني ولما أمزق

البيت الذي تضمنته الرسالة من شعر الممزق العبدي يقوله لعمرو بن هند في قصيدة مشهورة وبه سمي الممزق واسمه شاس بن نهار٠٠ وخاطب عثمان علياً بما تبه وهو مطرق فقال له ما بالك لا تقول فقال على ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندي الا ما تحب قال المبرد تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به عليّ فلدغك عتابي وعقدي الا أفعل وان كنت عاتباً الا ما تحب٠٠ وهذا قليل من كثير يستدل به عليه ولو تقصيت ما وقع من ألفاظ التابعين وما تقدمت به شعراء الجاهلية والاسلام لافنيت العمر دون ذلك وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد وصنع كتاباً لا يُبلَغُ جودة وفضلا ثم ما ادعى احاطة بهذا الفن لكثرته وان كلام الناس لا يحيط به الا الله عز وجل

باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ أجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكا واحداً فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان واذا كان الكلام على هذا الاسلوب الذي ذكره الجاحظ لذ سماعه وخف محتمله وقرب

فهمه وعذب النطق به وحلي في فم سامعه فاذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه وثقل على لسان الناطق به ومجته المسامع فلم يستقر فيها منه شيء . . وأنشد الجاحظ قال أنشدني أبو العاصي قال أنشدني خلف

و بعض قريض القوم أبناء علة   يكد لسان الناطق المتحفظ

وأنشد عنه عن أبي البيداء الرياحي

وشعر كبعر الكبش فرق بينه   لسان دعي في القريض دخيل

واستحسن أن يكون البيت بأسره كانه لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة كأنها حرف واحد وأنشد قول الثقفي

من كان ذا عضد يدرك ظلامته   إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه اذا ما قل ناصره   ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

والناس مختلفو الرأي في مزاوجة الالفاظ منهم من يجعل الكلمة وأختها وأكثر مايقع ذلك في ألفاظ الكتاب وبه كان يقول البحتري في أكثر أشعاره . . من ذلك قوله

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت   فينعم رياها ويصفو نسيمها

ففي القسيم الآخر تناسب ظاهر . . وكذلك قوله

ضاق صدري بما أجـ   ن وقلبي بما أجد

وقوله أيضاً في مدح المتوكل

لقد اصطفى رب السما   ء له الخلائق والشيم

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة تكلف . . فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد فاتبع كل لفظة ما يشاكلها وقرنها بما يشبهها . . ومن الفرق المنفصل قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كرى كرة بعد اجفال

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمنتخب لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ولا يذكر شعر بحضرته الا عابه وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة فأنشد يوماً هذين البيتين فقال قد خالف فيهما وأفسد لو قال

كأني لم أركب جواداً ولم أقل   لخيلي كرى كرة بعد اجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله فذكر الجواد والكر في بيت وذكر النساء والخمر في بيت فالتبس الامر بين يدي سيف الدولة وسلموا له ما قال فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي الله أصدق منك حيث يقول ﴿ ان لك ألاّ تجوعَ فيها ولا تعرَى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظمأ فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة .. قال صاحب الكتاب قول امرئ القيس أصوب ومعناه أعز وأغرب لان اللذة التي ذكرها انما هي الصيد هكذا قال العلماء ثم حكي عن شبابه وغشيانه النساء فجمع في البيت معنيين ولو نظمه على ماقال المعترض لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان وكذلك البيت الثاني لونظمه على ماقال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه لان الزق لايسبأ الا للذة فان جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا في ذكر الزق الروي كفاية ولكن امرؤ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة .. وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة وفيه مع ذلك تناسب لان العادة أن يقال جائع عريان ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن وقوله تعالى تظمأ وتضحى متناسب لان الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس والظمأ من شأن من كانت هذه حاله .. وقال الجاحظ في القرآن معان لاتكاد تفترق من مثل الصلاة والزكاة والخوف والجوع والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس والسمع والبصر .. ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه فيكون كلامه ظاهراً غير مشكل وسهلا غير متكلف ومنهم من يقدم ويؤخر إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر واما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ويقدر على تعقيده

وهذا هو العي بعينه وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام فقد عيب على من لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق

على حالة لو أن في البحر حاتماً　　على جوده ما جاد بالماء حاتم

فخفض حاتماً على البدل من الهاء التي في جوده حتى رأى قوم من العلماء ان الاقواء في هذا الموضع خير من سلامة الاعراب مع الكلفة ٠٠ وكذلك قوله

تفلق هاماً لم تنله أكفنا　　بأسيافنا هام الملوك القماقم

أراد تفلق بأسيافنا هام الملوك القماقم ثم نبه وقرر فقال هاماً لم تنله أكفنا يريد أي قوم لم نملكهم ونقهرهم وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل لا تعرفه العرب المطبوعون وكذلك

ان الفرزدق صخرةٌ عادية　　طالت فليس تنالها الاوعالا

نصب الاوعال بطالت ويروى عزت ٠٠ وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة ومما لا بأس به قول الخنساء

فنعم الفتى في غداةِ الهياجِ　　اذا ما الرماحُ نجيعاً روينا

فقدمت نجيعاً على روينا مبادرة للخبر بالرى من أي شيء هو وكذلك قول أبي السفاح بكير بن معدان اليربوعي

نهنهته عنكَ فلم ينهــهُ　　بالسيفِ الأ جلداتُ وجاعِ

أراد نهنهته عنك بالسيف أو أراد فلم ينهه الاجلدات وجاع بالسيف وكلاهما فيه تقديم وتأخير ٠٠ ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ولا يقضي له بالعلم الأ أن يكون في شعره التقديم والتأخير وأنا أستثقل ذلك من جهة ما قدمت وأكثر ما نجده في أشعار النحويين ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان نحو قول ابن بشر

لم يضرها والحمــدُ لله شيءٌ　　وانثنتْ نحوَ عزف نفسٍ ذهول

فان القسيم الآخر من هذا البيت ثقيل لقرب الحاء من العين وقرب الزاي من السين

.. وقال آخر

وقبرُ حربٍ في مكانٍ قفرٍ   وليس قربَ قبرِ حربٍ قبر

فتكررت الالفاظ وترددت الحروف حتى صار ألقية يختبر به الناس ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات الا عثر لسانه فيه وغلط .. وقال كعب بن زهير

تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ اذا ابتسمتْ   كأنه منهلٌ بالراحِ معلولُ

فجمع بين الضاد والدال والطاء وهي متقاربة منشأ كلة .. ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير متبيج والتثبيج جنس من المداخلة ترد في بابها ان شاء الله تعالى .. ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج الى ماقبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير الاَّ في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها فان بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ولم أستحسن الاول على أن فيه بعداً ولا تنافرا الا أنه ان كان كذلك فهو الذي كرهت من التثبيج

باب المخترع والبديع

المخترع من الشعر هو ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نام أهلها   سموَّ حبابِ الماء حالا على حال

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد إياه وقوله

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً   لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع وهو أول الناس اختراعاً في الشعر وأكثرهم توليداً .. ومن الاختراع قول طرفة

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذةِ الفتى   وجدِّكَ لم أحفل متى قام عوَّدي

فمنهن سبقُ العاذلاتِ بشربة كميت متى ما تعـل بالماء تزبد

وكرى اذا نادي المضاف محنباً كسيد الغضا ذى الطخية المتوردِ

وتقصير يوم الدجن والدجنُ معجب ببهكنة تحتَ الطراف المعمد

وقوله يصف السفينة فى جريها

يشق حبابَ الماء حيزومُها بها كما قسم التربَ المفائلُ باليـد

وله أيضاً اختراعات أكثرها من هذه القصيدة .. وقال نابغة بنى ذبيان

سقطَ النصيفُ ولم تردا سقاطه فتناولته واتقتنا باليـد

وقوله أيضاً من الاختراعات

ولوانها عرضتْ لاشمطَ راهب عبدَ الالهِ صرورةٍ متعبـدِ

لرنا لرؤيتها وحسـن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد

وما زالت الشعراء تخترع الى عصرنا هذا وتولد غير أن ذلك قليل فى الوقت .. والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ولا يقال له أيضاً سرقة اذا كان ليس آخذاً على وجهه مثل ذلك قول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نامَ أهلها سموَّ حبابِ الماء حالا على حالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة وقيل وضاح اليمانى

فاسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه فى شئ من لفظه أو ينحو نحوه الا فى الحصول وهو لطف الوصول الى حاجته فى خفية .. وأما الذى فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل

يخرجنَ من مستطيرِ النقعِ دامية كأن آذانها أطرافُ أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال

تزجي أغنّ كأن ابرة روقه قلمٌ أصابَ من الدواةِ مدادها

فولد بعد ذكر القلم اصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى إذ كان القرن اسود ٠٠ وقال العمانى الراجز بين يدى الرشيد يصف الفرس

تخالُ أذنيه اذا تشوّفا   قادمةً أو قلماً محرّفاً

فولد ذكر التحريف في القلم وهو زيادة صفة ٠٠ ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

لكل قبيلة تبعٌ وصاب   وأنت الرأسُ أولُ كل هاد

فقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز

فأنتَ رأسُ قريش وابنُ سيدها   والرأسُ فيه يكون السمعُ والبصر

فولد هذا الشرح وان كان مجملا فى قول أمية بن أبي الصلت ٠٠ ثم أتى علي بن جبلة فقال يمدح حميد بن عبد الحميد

فالناسُ جسمٌ وامامُ الهدى   رأسٌ وأنتَ العينُ فى الراس

فأوقع ذكر العين على مشبه معين ولم يفعل نصيب كذلك لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم لأن من ولد عمر ولى عهد ففى قول على بن جبلة زيادة ٠٠ وجاء ابن الرومي فقال

عينُ الأميرِ هي الوزير   وأنت ناظرها البصير

فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة فهذا مجرى القول فى التوليد ٠٠ وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي ٠٠ والفرق بين الاختراع والابداع وان كان معناهما فى العربية واحداً أن الاختراع خلق المعانى التي لم يسبق اليها والاتيان بما لم يكن منها قط والابداع اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذى لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ فاذا تم للشاعر أن يأتى بمعنى مخترع فى لفظ بديع فقد استولى على الأمر وحاز قصب السبق ٠٠ واشتقاق الاختراع من التليين يقال بيت خرع اذا كان ليناً والخروع فعول منه فكان الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه ٠٠ وأما البديع فهو

الجديد وأصله فى الحبال وذلك أن يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر .. وأنشدوا للشماخ بن ضرار

أطار عقيقه عنه نسالا   وأدمج دمج ذي شطر بديع

والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة أنا أذكرمنها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة ان شاء الله تعالى على أن ابن المعتز وهو أول من جمع البديع وألف فيه كتاباً لم يعده الاخمسة أبواب الاستعارة أولها ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الاعجاز على الصدور ثم المذهب الكلامي وعدما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً وخالفه من بعده فى أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حيثما وقعت من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها فانه دليل الفصاحة ورأس البلاغة و به بانت لغتها عن سائر اللغات .. ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه وهو مصدر جزت مجازاً كما تقول قمت مقاماً وقلت مقالا حكي ذلك الحاتمي ومن كلام عبدالله بن مسلم بن قتيبة فى المجاز قال لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلا لأنا نقول نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وأقام الجبل ورخص السعر وتقول كان هذا الفعل منك فى وقت كذا والفعل لم يكن وانما يكون وتقول كان الله وكان بمعنى حدث والله قبل كل شئ وقال فى قول الله عز وجل ﴿ فوجدا فيها جداراً يريدُ أن يَنقضَّ فأقامه ﴾ لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول فى جدار رأيته على شفا انهيار لم يجد بداً من أن يقول يهم أن ينقض أو يكاد أو يقارب فان فعل فقد جعله فاعلا ولا أحسبه يصل الى هذا المعنى فى شئ من السنة العجم الا بمثل هذه الألفاظ .. والمجاز فى كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً فى القلوب والاسماع وما عدا الحقائق من جميع الالفاظ ثم لم يكن محالا محضاً فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل فصار التشبيه والاستعارة وغيرها

من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز الا أنهم خصوا به أعنى اسم المجاز باباً بعينه وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب كما قال جرير بن عطية

اذا سقط السماء بأرض قوم — رعيناه وان كانوا غضابا

أراد المطر لقربه من السماء ويجوز أن تريد بالسماء السحاب لان كل ما أظلك فهو سماء وقال سقط يريد سقوط المطر الذى فيه وقال رعيناه والمطر لا يرعى ولكن أراد النبت الذى يكون عنه فهذا كله مجاز .. وكذلك قول العتابى

يا ليلة لى بحوّارين ساهرة — حتى تكلم فى الصبح العصافير

فجعل الليلة ساهرة على المجاز وانما يسهر فيها وجعل للعصافير كلاماً ولا كلام لها على الحقيقة .. ومثله قول الله عز وجل اخباراً عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ وانما الحيوان الناطق الانس والجن والملائكة فأما الطير فلا ولكنه مجاز مليح واتساع .. وهذا أكثر من أن يحصره أحد .. ومثله في كتاب الله عز وجل كثير من ذلك قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ ومثله ﴿ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ يعنى حبه ومنه ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً وقوله ﴿ والله خير الماكرين ﴾ وانما سمى ذلك مكراً لكونه مجازاة عن مكر وكذلك قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ والعذاب لا يبشر به وانما هو إنه مكان البشارة .. ومن أناشيد هذا الباب قول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه — ليل يصيح بجانبيه نهار

وقال يعقوب بن السكيت العرب تقول بأرض بنى فلان شجر قد صاح اذا طال وأنشدوا للعجاج

* كالكرم إذ نادى من الكافور *

قال ابن قتيبة لما تبين الشجر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح لأن الصائح يدل على نفسه بصوته .. وأنشد غيره قول سويد بن كراع فى نحو هذا

رعى غير مذعور بهن وراقه — لُعاعٌ تهاداه الدكادك واعد

يقال نبات واعد اذا أقبل كأنه قد وعد بالتمام وكذلك اذا نور أيضاً قيل قد وعد ..

ومن المجاز عندهم قول الشاعر وغيره فعلت ذاك والزمان غر والزمان غلام وما أشبه ذلك وهو يريد نفسه ليس الزمان ولا أرى ذلك مستقيا بل الصواب عندي وافس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً لأنا نجد في هذا النوع مالا يتساغ فيه هذا التأويل كقول بعضهم

سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

فليس معناه شربت وأكلت عليهم لانه انما يعنى بعد العهد لا السلو وقلة الوفاء .. وقال أبو الطيب

أفنت مودتها الليالي بعدنا ومشى عليها الدهر وهو مقيد

فانما أراد الدهر حقيقة .. وقال الصنوبري

كان عيشي بهم أنيقاً فولى وزماني فيهم غلاماً فشاخا

فليس مراده كنت فيهم غلاماً فشخت ولكل موضع مايليق به من الكلام ويصح فيه من المعنى .. وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء انما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة وهذا يبين في بابه ان شاء الله تعالى .. وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل اخباراً عن عيسى ومريم عليهما السلام ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كناية عما يكون عنه من حاجة الانسان وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما ﴿فلما تغشاها ﴾ كناية عن الجماع وقول النبي صلى الله عليه وسلم العين وكاء السته وقوله لحاد كان يحدو به إياك والقوارير كناية عن النساء لضعف عزائمهن الي أكثر من هذا

باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها والناس مختلفون فيها .. منهم

من يستعير للشيء ماليس منه ولا اليه كقول لبيد

وغداةِ ريحٍ قد وزعتُ وقرّةٍ اذ أصبحتْ بيد الشمالِ زمامُها

فاستعار للريح الشمال يداً وللغداة زماماً وجعل زمام الغداة ليد الشمال اذ كانت الغالبة عليها وليست اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة ٠٠ ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذوالرمة

أقامتْ به حتى ذوى العودُ والتوى وساقَ الثريا فى ملاءته الفجرُ

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه ٠٠ وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى ان لاحد مثل هذه العبارة ويقول ألا ترى كيف صير لهملاءة ولاملاءة له وانما استعار له هذه اللفظة و بعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذى الرمة ناقص الاستعارة اذ كان محمولا على التشبيه ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد وهذا عندى خطأ لانهم انما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء و به أتت النصوص عنهم واذا استعير للشيء ما يقرب منه و يليق به كان أولى مما ليس منه فى شيء ولو كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما استهجنوا قول أبى نواس

بحَّ صوتُ المال مما منك يشكو و يصيح

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال فكيف حتى بح من الشكوى والصياح مع ماأن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ولم يرده أبو نواس فيما أقدر لان معناه لا يتركب على لفظه الا بعيداً وكذلك قول بشار

وجذّت رقابَ الوصل أسيافُ هجرها وقدت لرجلِ البينِ نعلين من خدى

فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها وكذلك رقاب الوصل ولا مثل قول ابن المعتز وهو أنقد النقاد

٭ كل وقتٍ يبول زبُّ السحاب ٭

فهذا أردى من كل ردي وأمقت من كل مقيت ٠٠ قال القاضي الجرجاني الاستعارة ما ا كتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها وملاكها

بقرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .. وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع خير الاستعارة ما بعد وعلم في أول وهلة أنه مستعار فلم يدخله لبس وعاب على أبي الطيب قوله

وقدمدت الخيل العتاق عيونها الى وقت تبديل الركاب من النعل

اذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ورجح عليه قول أبي تمام

ساس الأمور سياسة ابن تجارب رمقته عين الملك وهو جنين

اذ كان الملك لاعين له في الحقيقة .. وقال أبوالفتح عثمان بن جني الاستعارة لاتكون الا للمبالغة والا فهي حقيقة قاله في شرح بيت أبي الطيب

فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة وبادرة أحيان يرضى ويغضب

وكلام ابن جني أيضاً حسن في موضعه لان الشئ اذا أعطي وصف نفسه لم يسم استعارة فاذا أعطي وصف غيره سمي استعارة الا أنه لايجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ولكن خير الامور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق

وقد لبست لبس الملوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم

وترمق أحياناً بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمان المنظم

وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض وشبه المبسم بالجمان وهذا افراط غير جيد ههنا .. قال أبو الحسن الرماني الاستعارة استعمال العبارة على غير ماوضعت له في أصل اللغة وذكر قول الحجاج اني أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها .. وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ويستهجنونها ويعافون أمثالها ظرفاً ولطافة وان لم تكن فاسدة ولا مستحيلة .. فمنها قول امرئ القيس

وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر

فـ.. كان اللفظة هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو أن أبام حجراً من فارات بيته

ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وأين هذه الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح

ليثٌ بعثّرَ يصطادُ الرجال اذا   ما كذّبَ الليثُ عن أقرانه صدقا

لاعلى ان امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين ٠٠ ولعل معترضاً يقول العرب لا تعرف الا الحقائق ولا تلتفت الى كلام السفلة فقد قدمت هذا فى أول كلامى وعرفت أنه لا يلزم ولكن يرغب عنه في الواجب ألا ترى أن بعض الوزراء وقيل بل هو المأمون غير المسلحة واستهجنها لما فيها فقال قولوا المصلحة وليس ذلك لعلة الا موافقة كلام السفلة ٠٠ وقال الرماني الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة كقول امرئ القيس قيد الأوابد واسترذل قول بعض المولدين

اسفري لي النقا   ب ياضرةَ الشمس

بأن قال أتراه ظن أن الضرة لاتكون الا حسنة والافأي وجه لاختياره هذه الاستعارة ٠٠ ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبيح قول مسلم بن الوليد

وليلةٍ خُلست للعين من سِنة   هتكت فيها الصباح عن بيضة الحجل

فاستعار للحجل يعنى الكلال بيضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر ٠٠ في قوله

* وبيضةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤها *

وكلاهما يعنى المرأة فاتفق لمسلم سوء الاشتراك فى اللفظ لأن بيضة الحجل من الطاير تشاركها وهى اعمرى حسنة المنظر كما عرفت ٠٠ وقال فى موضع آخر

رمتُ السلوّ وناجانى الضميرُ به   فاستعطفتنى على بيضاتها الحجل

فما الذى أعجبه من هذه الاستعارة قبحها الله ولو قال الكلال لتخلص وأبدع فكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة ٠٠ وقال حبيب على بصره بهذا النوع

* والله مفتاح باب المعقل الأشب *

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً وأي طائل في هذه الاستعارة مع مافيها من البشاعة والشناعة

وان كنا نعلم انما أراد أمر الله وقضاءه •• واعترض بعض الناس على قول أبي تمام

الجود باب في الأنام ولم تزل مذ كنت مفتاحاً لذاك الباب

بحضرة بعض أصحابنا وقال أتى الى ممدوحه فجعله مفتاحاً فهلا قال كما قال ابن الرومي

قبل أنامله فلسن أناملا لكنهن مفاتح الأرزاق

فقال له الآخر عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه كذلك وأنشد البيت المتقدم عجزه •• وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويشفع له أخرى الى من يعطيه

فاذا ماأردت كنت رشاء واذا ماأردت كنت قليبا

فجعله مرة حبلا ومرة بئراً •• وقال الآخر هو أبو تمام

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله محراثا

فلعنة الله على المحراث ههنا ما أقبحه وأركه وأين هذا كله من قوله المليح البديع

أو ما رأت بردي من نسج الصبا ورأت خضاب الله وهو خضابي

وان كان انما أخذه من قول الله عز وجل ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ قالوا يريد الختان وقبل الفطرة. •والاستعارة انما هى من اتساعهم فى الكلام اقتداراً ودالة ليس ضرورة لان ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك فى لغة أحد من الأمم غيرهم فانما استعاروا مجازاً واتساعاً •• ألا ترى أن للشئ عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة نحو العين التي تكون جارحة وتكون الماء وتكون الميزان وتكون المطر الدائم الغزير وتكون نفس الشئ وذاته وتكون الدينار وما أشبه ذلك كثير وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ولكنه من الرغبة في الاختصار والثقة بفهم بعضهم عن بعض •• ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أوأسماء كثيرة •• ومما اختاره ابن الاعرابي وغيره قول أرطاة بن سهية

فقلت لها يا أم بيضاء[1] انني هريق شبابي واستشن أديمي

(١) ن محران

فقال ـ هريق شبابي ـ لما في الشباب من الرونق والطراوة التي هي كالماء ثم قال ـ استشن أديمي ـ لأن الشن هو القربة اليابسة فكأن أديمه صار شناً لما هرق ماء شبابه فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم يبعد ٠٠ ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله وهو قول طفيل الغنوي

فوضعتُ رحلي فوقَ ناجيةٍ   يقتاتُ شحمَ سنامها الرحلُ

فجعل شحم سنامها قوتاً للرحل وهذه استعارة كما تراها كأنها الحقيقة لتمكنها وقربها ٠٠ وقد تناولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو العتابي قال في قصيدة يعتذر فيها الى الرشيد

ومن فوقِ أكوارِ المهارى [١] لبانة   أحل لها أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعول على العتابي وزاد المعنى زيادة لطيفة بينة فقال

وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى   فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه لا سيما بقوله

فلما رأيتُ الليلَ والشمسُ حية   حياةَ الذى يقضي حشاشة نازع

لان قوله ـ والشمس حية ـ من بديع الكلام والاستعارة وباقي البيت من عجيب التشبيه ٠٠ واختار الحاتمي في باب الاستعارة في وصف سحائب وأظنه لابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد من بني مرة وميادة أمه

اذا ماهبطن القاعَ قد مات بقله   بكين به حتى يعيشَ هشيم

ورواه قوم لأبي كبير وابن ميادة أولى به وأشبه ٠٠ والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى ﴿ لما طغَى الماءُ ﴾ وقوله ﴿ فلما سَكتَ عن موسى الغضبُ ﴾ وقوله ﴿ سمعوا لها شهيقاً وهيَ تفورُ تكادُ تميزُ من الغيظ ﴾ فالشهيق والغيظ استعارتان وقوله تعالى ﴿ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ﴾ وكثير من هذا لو تقصى لطال جداً ٠٠ وقول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وقوله لحالب حاب ناقة دع داعي اللبن يعنى بقية من اللبن في الحلب وقوله تمسحوا بالأرض فانها

---

(١) ن المطايا

بكم برة .. قال أبو عبيد يريد أنها منها خلقهم ومنها معادهم وهي بعد الموت كفاتهم وقوله رب تقبل توبتي واغسل حوبتي فغسل الحوبة استعارة مليحة .. ومن أناشيد هذا الباب وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت قول امرئ القيس يصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله *** عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلتُ له لما تمطى بجوزه *** واردف اعجازاً وناء بكلكل

فاستعار لليل سدولا يرخيها وهي الستور وصلباً يتمطى به واعجازاً يردفها وكلكلا ينوء به .. وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه

ضحوا بأشمط عنوانُ السجود به *** يقطّع الليل تسبيحاً وقرآنا

فالاستعارة قوله ـ عنوان السجود به ـ وقد أخذه من قول الله تعالى ﴿سيماهُمْ في وجوههم من أثر السجود﴾ .. وقال جميل العذرى

اكلما بان حيٌّ لا تلائمهم *** ولا يالون أنْ يشتاق من فجعوا

علقتني بهوى منهم فقد جعلت *** من الفراق حصاةُ القلب تنصدع

البديع حصاة القلب .. ومن كلام المولدين قول أبي نواس

بصحن خد لم يغض ماؤه *** ولم تخضه أعين الناس

البديع كل البديع عجز البيت .. وقال أيضاً

فاذا بدا اقتادت محاسنه *** قسراً اليه أعنة الحدق

البديع ـ أعنة الحدق ـ وقوله اقتادت .. وقال أبو الطيب

ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة *** تموت الخوافى تحتها والقوادم

أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته وبالقلب موضع الملك وبالخوافى والقوادم السيوف والرماح وهذا تصنيع بديع كله حسن الاستعارات .. وقال

صدمتهم بخميس أنت غرته *** وسمهريته فى وجهه شيم

وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلي

يشق جيوب الورد في شجراته نسيم متى ينظر الى الماء يبرد

فالبديع قوله —متى ينظر—

باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل وهو المماثلة عند بعضهم وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه اشارة نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ولم يأت أملح منه

وماذرفت عيناكِ الالتقدحى بسهميك في أعشارقلب مقتّل

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّي وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة انصباء فصار جميع اعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ومثل قلبه باعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .. وقال حريث بن زيد الخيل

أفأنا بقتلانا من القوم عصبة كراماً ولم نأ كل بهم حشف النخل

فمثل خساس الناس بحشف النخل ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذفاً أو اشارة .. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة

لقد جارى أبو ليلى بقحم ومنتكث عن التقريب وانى

اذا هبط الخبار كباالفيه وخرّ على الجحافل والجران

وانما عيره بالكبر وانما هو شاب حديث السن .. وقال بعض الرواة انما تهاجيا في مسابقة فرسين وهو غلط عند الحذاق .. ومن التمثيل أيضاً قوله

فنحن أخ لم تلق في الناس مثلنا أخاً حين شاب الدهر وابيض حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا .. وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسوراً

فليس كعهد الدار يا أمّ مالكٍ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

يقول نحن من عهد الاسلام فى مثل السلاسل والا فكنا نقتل قاتله وهو من قول الله عز وجل فى بنى اسرائيل ﴿ ويضعُ عنهم إصرَهمْ والأغلالَ التي كانت عليهم ﴾ يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياء رخص فيها لامة محمد صلى الله عليه وسلم والى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب حين خفقه عمر رضي الله عنه بالدرة فقال له الحُمى أضرعتنى لك يعنى الدين وان كان المثل قديماً انما الحمى أضرعتنى للنوم •• ومن جيد التمثيل قول ضباعة بنت قرط ترثى زوجها هشام بن المغيرة المخزومي

إن أبا عثمان لم أنسه وإنَّ صمتاً عن بكاه لحوب

تفاقدوا من معشر ما لهم أي ذنوب صوبوا فى القليب

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم فى التمثيل قوله الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة •• وقوله ظهر المؤمن مشجبه وخزانته بطنه وراحلته رجله وذخيرته ربه •• وقوله المؤمن فى الدنيا ضيف وما فى يديه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة ونعم الصهر القبر •• ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل

انى أقيد بالمأثور راحلتي ولا أبالى وان كنا على سفر

فقوله ـ أقيد بالمأثور ـ تمثيل بديع والمأثور هو السيف الذى فيه أثر وهو الفرند وقوله ـ ولا أبالى ـ حشو مليح أفاد مبالغة عجيبة وقوله ـ وان كنا على سفر ـ زيادة فى المبالغة وهذا النوع يسمى إيغالا و بعضهم يسميه التبليغ وهو يرد فى مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى •• ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبى ربيعة

أيها المنكحُ الثريا سهيلا عمرَكَ الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت وسهيلٌ اذا استقلَّ يمانى

يعنى الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت نهاية فى الحسن والكمال وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية فى القبح والدمامة فمثل بينهما و بين سميهما ولم يرد الا بعد ما بينهما وتفاوته خاصة لا ان سهيلا اليمانى قبيح ولا دميم ولا أدرى هل هذا الرأي موافق لرأي عبد الكريم أم لا وحسبك أن الشاعر لم ينكر الا التقاءهما •• وقال أبو الطيب وذكر نزاراً

فأفرحت المقاوِدُ ذِفْرَييها ... وصعّر خدها هذا العذار

ووصف رمحاً فقال وهو مليح متمكن جداً

يغادر كلَّ ملتفتٍ اليه ... ولبته لثعلبه وجار

وقال يخاطب سيف الدولة

بنو كعب وما أثرتَ فيهم ... يدٌ لم يدمها إلاَّ السوار

بها من قطعها ألمٌ ونقصٌ ... وفيها من جلالتها افتخار

والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلاَّ انهما بغير آلته وعلى غير أسلوبه ٠٠ والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

راجع الى ما ذكرته لان معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان ٠٠ وتسمية المثل دالة على ما قلته لان المثَل والمثل الشبيه والنظير وقيل انما سمي مثلا لانه ماثل لخاطر الانسان أبداً يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر والماثل الشاخص المنتصب من قولهم طلل ماثل أي شاخص فاذا قيل رسم ماثل فهو الدارس والماثل من الاضداد ٠٠ وقال مجاهد في قول الله عزوجل ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ هي الأمثال ٠٠ وقال قتادة هي العقوبات ٠٠ وقال قوم انما معنى المثل المثال الذي يحذى عليه كأنه جعله مقياساً لغيره وهو راجع الي ما قدمت ٠٠ وقال بعضهم في المثل ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد يكون المثل بمعنى الصفة من ذلك قول الله تعالى ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي صفة الجنة وقوله ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾ أي الصفة العليا وهي قولنا لا اله الاَّ الله وقوله تعالى ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ أي صفتهم

باب المثل السائر

المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه

وقولهم مثل شرود وشارد أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرده ٠٠ وزعم قوم ان الشرود ما لم يكن له نظير كالشاذ والنادر فأما قول أبي تمام وكان امام الصنعة ورئيسها

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فانه يشهد للقول الأول لان المثل بعمرو وحاتم مضروب قديماً وليس بمثل لا نظير له كما زعم الآخر ٠٠ وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة اذا تولاها الفصحاء من الناس فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الاعجاز قال الله عزوجل ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ وقال ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ وقال ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فهذه أمثال قصار ٠٠ وقال ﴿ ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ ومن الأمثال الطوال قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ﴾ الآية ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ الآية ﴿ ومريم ابنة عمران ﴾ الآية وقال ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب ﴾ الآية وقال ﴿ والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ الآية ثم قال ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾ الآية ٠٠ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله كل الصيد في جوف الفرا قاله لأبي سفيان ابن حرب حين أسلم وقوله مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية على الأرض حتى يكون انجعافها مرة وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم وقوله وإياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء ٠٠ والأناشيد في هذا الباب كثيرة فمنها ما فيه مثل واحد ومنها ما فيه مثلان ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ومنها ما فيه أربعة أمثال وهو قليل جداً وكل نوع من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء والمثل انما وزن في الشعر ليكون أشرد له وأخف للنطق به فمتى لم يتزن كان الاتيان به

قريباً من تركه •• وقد حكي الحاتمي أشياء لا أدري كيف وجهها وزعم ان حمادا الراوية سئل بأي شئ فضل النابغة فقال ان النابغة ان تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به مثل قوله

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به وهو قوله ـ وليس وراء الله للمرء مذهب ـ بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به وهو قوله ـ أي الرجال المهذب ـ ولا أعرف كيف يجعل حماد هذا ربع بيت وفيه زيادة سببين وهما أربعة أحرف إلاَّ أن يريد التقريب فهذا هو من الاحتياج الذي ذكرته لانه لا يتمثل به على انه شعر إلاَّ احتاج الى ما قبله واستغنى ماقبله عنه ألا ترى لو قال ـ ولست بمستبق أخاً لا تلمه ـ انه يكون مثلاً كافياً ثم لا يتعلق قوله على شعث بشئ من المثل الثاني وان بقي موزوناً فاذا رده على الصدر تعلق به وبقي المثل الثاني مكسوراً •• ومثله قول القطامي واسمه عمير ابن شييم التغلبي

والناسُ من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولامِّ المخطيء الهبل

فقوله ـ ولام المخطئ الهبل ـ مثل إلاَّ انه غير موزون حتى يتصل بقوله ما يشتهي وذلك من تمام المثل الأول الذي في صدر البيت وهذا كله احتياج •• ومما لا احتياج فيه قول امرئ القيس

الله أنجحَ ما طلبتَ به والبر خيرُ حقيبةِ الرحل

ففي كل قسيم من هذين مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه •• وكذلك قول الحطيئة

من يفعلِ الخير لا يعدم جوازيَه لا يذهبُ العرفُ بينَ الله والناس

•• وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

الخير يبقى وان طال الزمان به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد

•• ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسي

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفرُ مخبثةٌ لنفس المنعمِ

فجاء بالمثل غير محتاج الى ما قبله . . وقال أبو ذؤيب

تركوا هوىً وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

فان بدأت بالقسيم الثانى كان مثلا سائراً وان أسقطت جزأ منه بقي المثل سائراً غير موزون إلا أن يكون في المرفوع من الأمثال مصمت يأتي في البيت بأسره كقول الأول

وانك لن ترى طرداً لحر ... كإلصاق به طرف الهوان

وقول أبي نواس

اذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديق

. . ومما فيه ثلاثة أمثال قول زهير

وفى الحلم إذعان وفي العفو دربة ... وفى الصدق منجاة من الشر فاصدق

فأتي بكل مثل في ربع بيت ثم جعل الربع الآخر زيادة فى شرح معنى ما قبله . . وكذلك قول النابغة الذبيانى

الرفق يمن والاناة سلامة ... فاستأن في رفق تلاق نجاحا

فجاء بثلاثة أمثال إلاّ انها مداخلة لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير . . وقال ابن عبد القدوس

كل آت لابد آت وذو الجهـ ... ـل معني والغم والحزن فضل

فأتى بثلاثة أمثال مداخلة الوزن أيضاً وكان قول ضابئ بن الحارث

وفى الشك تفريط وفى الحزم قوة ... ويخطئ فى الحدس الفتى ويصيب

أحسن تعديلاً فى القسمة لان شطره الأول مشتمل على مثلين وشطره الثانى مشتمل على مثل قائم بنفسه . . وقال عبد الله بن المعتز

والعيش هم والموت هم ... مستكره والمنى ضلال

والحرص ذل والبخل فقد ... وآفة النائل المطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج وفى البيت الثانى ثلاثة أمثال لااحتياج

فيها على حذو ما أتي به ضابئ ولم أر بيتاً فيه أربعة أمثال كل واحد منها قائم بنفسه إلا قليلاه . أنشد الأصمعي

فالهمُّ فضلٌ وطول العيش منقطعٌ والرزق آتٍ وروحُ الله منتظر

وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضاً

والمرء يأملُ والحياة شهية والشيبُ أوقر والشبيبةُ أنزق

فأتى بمثلين في كل قسيم .. وصنعت أنا

كلٌّ الى أجلٍ والدهرُ ذو دولٍ والحرص محيبةٌ والرزقُ مقسوم

وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ولا أعرف منه فى حفظي الا بيتاً واحداً للقزاز النساط فى بسط قصيدة مدح بها الأمير تميم بن معد .. وهو قوله

خاطر تفد وارتد تجد وا كرم تسد وأنقد تقد واصغر تعد الأكبرا

وأما ما فيه ستة فأنى صنعت .

خذ العفوَ وأبَ الضيمَ واجتنبِ الأذى واغض تسد وارفق تنل واسخ تحمد

ومن الأمثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر كقولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه يضرب مثلا للذى رأيته دون السماع بهوفي كل ماجرى هذا المجرى .. وكذلك قولهم على أهلها جنت براقش يضرب مثلا للرجل يهلك قومه بسببه .. وأما قولهم في تفسير ما يقع فى الشعر من جنس قول الحطيئة

* شدُّوا العناجَ وشدُّوا فوقه الكربا *

هو مثل فانما ذلك مجاز أرادوا التمثيل ..وهذه الأشياء فى الشعر انما هي نبذ تستحسن ونكت تستظرف مع القلة وفى الندرة فأما اذا كثرت فهى دالة على الكلفة فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم فى الصناعة لا كثاره من ذلك وما نص عليه العلماء في كتبهم ..وكذلك لا يجب أن يكون استعارة و بديعاً كشعر أبى تمام فقد رأيت ماصنع به ابن المعتز وكيف قال فيه ابن قتيبة وما ألف عليه المتعقبون كالجرجانى وأبي القاسم بن بشر الآمدى وغيرهما

وانما هرب الحذاق عن هذه الاشياء لما تدعو اليه من التكلف لاسيما ان كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف .. وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج اليه من شاهد العقل واقتضاء البيان .. ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً خالياً مفسولا من هذه الحلى فارغاً ككثير من شعر أشجع واشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبي نواس في الخمر وأبي تمام في التصنيع والبحتري في الطيف وابن المعتز في التشبيه وديك الجن في المراثي والصنوبري في ذكر النور والطير وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله .. وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار يقال أهجي من ابن الرومي ومن أكثر من شيء عرف به وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير

باب التشبيه

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان اياه ألا ترى أن قولهم خد كالورد انما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه وكذلك قولهم فلان كالبحر وكالليث انما يريدون كالبحر سماحة وعلماً وكالليث شجاعة وقرماً وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ولا شتامة الليث وزهومته فوقوع التشبيه انما هو أبداً على الاعراض لا على الجواهر لأن الجواهر في الاصل كلها واحد اختلفت أنواعها أو اتفقت فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه كقولهم عين كعين المهاة وجيد كجيد الريم فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الانسان والمهاة واسم الجيد واقع على هذا العضو من الانسان والريم والكاف للمقاربة وانما يريدون أن هذه العين

لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المهاة وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم ألا ترى أن الأصمعي سئل عن الحوَر فقال أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ولا حور في الانسان هذا أحد أقوال الاصمعي في الحور ويدلك على أن التشبيه انما هو بالمقاربة كما قلنا .. والتشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الاغمض الى الأوضح ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه وهما عنده في باب الاختصار .. قال واعلم أن التشبيه على ضربين تشبيه حسن وتشبيه قبيح فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض الى الاوضح فيفيد بياناً والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك قال وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة والمشاهد أوضح من الغائب فالأول في العقل أوضح من الثاني والثالث أوضح من الرابع وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره والقريب أوضح من البعيد في الجملة وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ثم عاب على بعض شعراء عصره

صدغهُ ضدُّ خده مثلُ ما الوعـــدُ اذا ما اعتبرتَ ضدُّ الوعيد

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه .. وكذلك قوله

وله غرةٌ كاونِ وصالٍ فوقها طرةٌ كاونِ صدودِ

وقال في موضع آخر التشبيه على ضربين والأصل واحد فأحدهما التقدير والآخر التحقيق فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الاطلاق وهو التشبيه بالنفس مثل تشبيه الغراب بالغراب وحجر الذهب بحجر الذهب اذا كان مثله سواء وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .. قال صاحب الكتاب أما ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع الا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه اذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة كأنه أراد المبالغة ولعله يقول أو يقول المحتج له معرفة النفس والمعقول أعظم من ادراك الحاسة لا سيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح قال الله عز وجل ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ فقال قوم ان شجرة الزقوم وهي أيضاً الاستن لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤس الشياطين .. وقال قوم

الشياطين الحيات في غيرهذا المكان .. والأجود الأعرف أنه شبهه الاشك أنه منكر قبيح لما جعل الله عز وجل فى قلوب الانس من بشاعة صور الجن والشياطين وان لم يروها عياناً فخوفنا تعالى بما أعد للعقوبة وشبهه بما نخاف أن نراه .. وقال امرؤالقيس

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها .. وعلى هذا التأويل قال أبو تمام وفيه عكس

وأحسن من نَوْر يفتحه الندا (١) بياضُ العطايا فى سوادِ المطالب

.. وقال اعرابى قديم

يزملون حديثَ الضغنِ بينهم والضغنُ اسودُ أوفي وجهه كلفُ

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس كأنه يقول لو كان صورة لكان هكذا .. وقال بعض المولدين

وتديرُ عيناً فى صفيحةِ فضةٍ كسوادِ يأسٍ في بياضِ رجاء

فاليأس على الحقيقة غير اسود لانه لا يدرك بالعيان لكن صورته فى المعقول وتمثيله كذلك مجازاً والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض .. وقد يقول المحتج الأول ان هذا داخل في باب الاستطراد كأن الشاعر لم يقصد الاخبار عن الغرة والطرة وشبههما لكن عن الوصال والصدود وعكس التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة .. فأما قول ابن المعتز يصف شرب حمار

وأقبلَ نحوَ الماء يستلُّ صفوه كما أغمدتْ أيدي الصياقلِ منصلا

فانه بديع يشبه فيه انسياب الماء في شدقيه الى حلقه بمنصل يغمد وهذا تشبيه مليح يدرك بالحس ويتمثل في المعقول وكرر هذا التشبيه فقال يذكر إبل سفر

وأغمدن فى الأعناقِ أسيافَ لجةٍ مصقلةً تفرى بهن المفاوز

وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتركا كها فى الصفات أكثر من

(١) ن تفتقه الصبا

انفرادهما حتى يدنى بهما الى حال الاتحاد وأنشد فى ذلك وهو عنده أفضل التشبيه كافة

له أيطلا ظبي وساقا نعامــة وإرخاءسرحان وتقريب تتفل

وهذا تشبيه اعضاء باعضاء هى هي بعينها وافعال بافعال هى هي أيضاً بعينها الا أنها من حيوان مختلف كما قدمت والأمر كما قال في قرب التشبيه الا أن فضل الشاعر فيه غير كبير حينئذ لأنه كتشبيه نفس الشيء المشبه الذى ذكره الرمانى في تشبيه الحقيقة وانما حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك كما قال الاشجعي

كأن أزيز الـكير إرزام شخبها اذا امتاحها في محلب الحي ماتح

فشبه ضرع العنز بالـكير وصوت الحلب بأزيزه فقرب بين الاشياء البعيدة بتشبيه حتى تناسبت ولو كان الوجه ما قال قدامة لـكان الصواب أن يشبه الاشجعي ضرع عنزة بضرع بقرة أو خلف ناقة لانه انما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن وكان يعدل عن ذكر الـكير وأزيزه الذى دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه وسبيل التشبيه اذ كانت فائدته انما هي تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحــه له أن تشبه الأدون بالأعلى اذا أردت مدحه وتشبه الأعلي بالادون اذا أردت ذمه فتقول في المدح تراب كالمسك وحصى كالياقوت وما أشبه ذلك فاذا أردت الذم قلت مسك كالسك أو التراب وياقوت كالزجاج أو كالحصى لان المراد في التشبيه ما قدمتــه من تقريب الصفة وإفهام السامع وان كان ماشابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها الا أن المتعارف وموضوع التشبيه ماذكرت ** وأصل التشبيه مع دخول الـكاف وأمثالها أوكأن وما شا كلها شيء بشيء فى بيت واحد الى أن صنع امرؤ القيس فى صفة عقاب

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

فشبه شيئين بشيئين فى بيت واحد واتبعه الشعراء فى ذلك ** فقال لبيد بن ربيعة

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجـد متونها أقـلامها

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام بل زاد فشبه جلاء هذه عن هـذه بتجديد تلك لتلك ** وحكى عن بشار انه قال ما قر بى القرار مذ سمعت قول امرئ القيس

ــ كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ــ حتى صنعت

كأن مثارَ النقعِ فوق رؤسهم وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فان كان مراده الترتيب فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس فى ترتيبه كبيته وان كان المراد تشبيهين فى بيت فقد قال الطرماح فى صفة ثور وحشي

يبدو وتضمره البلادُ كأنه سيفٌ على شرفٍ يسلُّ ويغمد

وهذه نهاية فى الجودة .. وأما قول من قال فى بيت الحارث بن حلزة

وحسبتُ وقعَ سيوفنا برؤسهم وقعَ السحابةِ بالطرافِ المشرجِ

ان فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس فيحتمل الا ان الشاعر لم يصرح الا بالوقع خاصة يريد بذلك الحس وحده في ظاهر الأمر ولذلك خص الطراف لكونه من الأدم فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت .. وقال بشار أيضاً

خلقنا سماءً فوقهم بنجومها سيوفاً ونقعاً يقبضُ الطرفَ أقتما

وقال فشبه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد

من كل مشتهرٍ فى كفِ مشتهرٍ كأن غرته والسيفَ نجمان

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي

فهن كالحللِ الموشيِّ ظاهرها أو كالكتابِ الذى قد مسه البللُ

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحترى

كأنما يبسم عن لؤلؤ منظمٍ أو بردٍ أو اقاح

فقول الشاعر أو زيادةُ تشبيه وان لم يصح من جميع المشبه بها الا شئ واحد من جهة الحكم فى أو .. ومن الناس من يرويه

كأنما يبسم عن لؤلؤ أو فضةٍ أو بردٍ أو اقاح

وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب فيكون حينئذ الثغر مشبها بأربعة أشياء .. وقد تقدمه أبو تمام فقال

وثناياك إنها إغريض ولآل توم وبرق وميض

فشبهها بثلاثة أشياء حقيقة لان حكم الواو غير حكم أو لا سيما وقد أتى التشبيه بغير كاف ولا شيء من اخواتها فجاء كأنه ايجاب وتحقيق .. وكثر تشبيههم شيئين بشيئين حتى لم يصر عجباً وقد جاؤا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد بالكاف و بغير كاف .. فقال مرقش

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

وقال ابن الرومي

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش

إن أقبلت فالبدر لاح وان مشت فالغصن ماد وان رنت فالريم

وقال ابن المعتز

بدر وليل وغصن * وجه وشعر وقد خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وقال صاحب الكتاب

كأن ثناياه اقاح وخده شقيق وعينيه بقية نرجس

وقال أيضاً على جهة التفسير

بكوس حكين من شف قلبي شفة لم تذق وثغراً وريقاً

يريد حافة الكأس والحباب والخمر .. ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة بالكاف أيضا و بغير كاف .. فقال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فجاء بتشبيه اضافة كما ترى حتى جعله تحقيقا لولا مفهوم الخطاب .. وقال أبو الطيب

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فجاء بالتشبيه على اسقاط الكاف .. وقال أيضا

ترنو اليّ بعين الظبي مجهشة وتمسح الطلّ فوق الورد بالعنم

فشبه في القسم الأول عينها بعين الظبي وشبه في القسم الآخر ثلاثة بثلاثة .. وقد تقدم أبو نواس فقال

يبكي فيذرى الدر من نرجس ويلطم الوردَ بعناب

وهذا مليح جداً . سئل ابن مناذر من أشعر الناس فقال الذي يقول

يا قمراً أبصرتُ في مأتم يندبُ شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدرّ من نرجس ويلطم الوردَ بعناب

هذا أشعر الجن والانس .. وقد جاء بالشعر على سجيته أعني أبا نواس وشاهد ذلك ظاهر في لفظه والاّ فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى يناسب الكلام لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة .. ومن الناس من يرويه كذلك ومنهم من يرويه - فيذرى الدر من جفنه - ومما شبه فيه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب وهو عبد العزيز وزير القادر بالله أبي العباس النعمان [1]

ثغرٌ وخدٌ ونهدٌ واختضابُ يد كالطلع والورد والرمان والبلح

وقال صاحب الكتاب

بفرعٍ ووجهٍ وقدٍ وردفٍ كليلٍ وبدرٍ وغصنٍ وحقف

ومما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواوا وأتى به بغير آلة تشبيه

فأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة

قد شابهتنيَ في لون وفي قضف [2] وفي احتراق وفي دمعٍ وفي سهر

فقوله - قد شابهتني - أظهر مقدرة من المجيء بالكاف لانهم انما استصعبوا ذلك مع الكاف واخواتها من جهة ضيق الكلام بها فهذا الذي أتى به البستي أشد ضيقاً ألا ترى انه

(١) ن قول ابن حاجب النعمان (٢) ن قصف

وقال كأنها أنا لكان هو الصواب ويكون قد أتى بكان وضمير بن بعدها فضلا عن الكاف • ومنهم من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعد ما نام أهلها سموَّ حبابِ الماء حالا على حال

•• وقوله أيضاً

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أثناء الوشاحِ المفصل

يريد كسمو حباب الماء وكتعرض أثناء الوشاح • وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكرى

دافعتها فتدافعت مشيَ القطاةِ الى الغدير

وانما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه •• ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي

فالطعنُ شغشغة والضربُ هيقعة ضرب المعوِّل تحت الديمة العضدا

وللقسيِّ أزاميلٌ وغمغمة حس الجنوب تسوقُ الماء والبردا

فالأول من نوع بيتى امرئ القيس والثانى من نوع بيت المنخل وأنا أستحسن هذين البيتين جداً • وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك العسل فى حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته • قال أبو الحسن الرمانى وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلاَّ بتقييد وتفسير • ومن هذا النوع الذى ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر

لئن جحدتك معروفاً مننتَ به انى لفي اللوم أحظى منك في الكرم

وكذلك قول أبي نواس

أصبح الحسنُ منك يا أحسن الأمـ ـة يحكي سماجة ابن حبيش

يريد ان هذا غاية كما ان ذاك غاية • قال الجرجانى التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة وأخري بالحالة والطريقة اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب

بليتُ بلى الاطلال ان لم أقف بها وقوفَ شحيحٍ ضاع فى الترب خاتمه

انه انما أراد وقوفاً خارجاً عن المتعارف .. وأنشد

ربَّ ليل أمدُّ من نفس العا شقِ طاولا قطعته بانتحاب

فهذا والله هو النقد العجيب الذي غفل الناس عنه بل عموا وصموا .. والبيت لمحمد ابن عبد الملك الزيات ويروى لماني الموسوس .. ومثله قول أبي تمام

ومسافةٍ كمسافة الهجرِ ارتقى في صدرِ باقى الحبِّ والبرحاء

وأنشد الرماني لذي الرمة

كأنه كوكبٌ في إثر عفرية مسوَّمٌ في سوادِ الليل منقضبُ

ثم قال قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة الاَّ ان انقضاض الكوكب أسرع واستدل بهذا على جودة التشبيه . وأنا أرى ان فيه دركاً على الشاعر واغفالاً من الشيخ المفسر وذلك ان الثور مطلوب والكوكب طالب فشبهه به في السرعة والبياض ولو شبهه بالعفريت وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح لكنه لم يتمكن له المعنى الذي أراده من فوت الثور الذي شبه به راحلته . وأما ما أغفله الشيخ فان الشاعر انما رغب في تشبيه الثور بالكوكب واحتمل عكس التشبيه بان جعل المطلوب طالباً لبياضه فان الثور لهق لا محالة وأما السرعة التي زعم فان العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لما كان مقصراً ولا متوسطاً بل فوق ذلك . ومن التشبيهات عقم لم يسبق أصحابها اليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها واشتقاقها فيما ذكر من الريح العقيم وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة نحو قول عنترة العبسي يصف ذباب الروض

وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ غرِداً كفعلِ الشاربِ المترنم

هزجاً يحكُّ ذراعه بذراعه قدحَ المكب على الزناد الأجذم

وقوله أيضاً في صفة الغراب

خرقُ الجناحِ كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هشٌّ مولع

وقال الحطيئة يصف لغام ناقته

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت لغاماً كبيتِ العنكبوتِ الممدد

وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامة

كأنما منثنى أقماع ما فرطت (١) من العفاء بليتيها الثآليل

وقول عدى بن الرقاع يصف قرن ظبي

تزجي أغنّ كأن ابرة روقه قلم أصابَ من الدواةِ مدادها

وقول الراعي يصف جعد الرأس

جدلا أسك كأن فروةَ رأسه بذرت فأنبتَ جانباها فلفلا

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الارطى وقد كشفها ثور

يثير و يبدي عن عروقٍ كأنها أعنة خراز تخط وتنشر

وقول الطرماح فى صفة الظليم

مجتاب شملة برجد لسراته قدراً وأسلم ماسواه البرجد

وقول ذى الرمة في صفة الابل

وليل كجلبابِ العروس قطعته (٢) بأربعة والشخصُ فى العينِ واحد

وقول مضرس بن ربعي فى صفة رأس النعامة

سكاء عاريةُ الأخادع رأسُها مثلُ المدق وأنفها كالمسرد

وقال النابغة فى صفة النسور

تراهن خلف القوم خزرٌ عيونها جلوسَ الشيوخ فى ثياب المراتب

وهذا التشبيه عندهم عقيم الا انى أقول انه من قول طرفة يصف عقاباً

وعجزاء دفت بالجناح كأنها مع الصبح شيخٌ فى بجاد مقنعُ

وينظر أيضاً الى قول امرئ القيس قبله

كأن ثبيرا فى عرانين وبله كبيرُ اناس فى بجاد مزملُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى فى تشبيه رأس القطاة

(١) ن كأنما منتهى أقماع ما مطرت (٢) ن ادرعته

تقلب للاصغاء رأساً كأنها ينيمة جوزا غيرتها المكاسر

وفى الشعر من هذا صدر جيد وفى القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ وقوله ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ وقوله ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . وقال الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وكثير من هذا يطول تقصيه . وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون الا القليل عن مثلها استبشاعاً لها وان كانت بديعة فى ذاتها . مثل قول امرىء القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك أسحل

فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة وهى دودة تكون فى الرمل وتسمي جماعتها بنات النقى وإياها عنى ذو الرمة بقوله

خراعيب أمثال كأن بنانها بنات النقي تخفى مراراً وتظهر

فهي كأحسن البنان ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد أصابه الحناء وربما كان رأسها أسود إلاّ ان نفس الحضرى المولد اذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكاس

تعاطيكها كفٌ كأن بنانها اذا اعترضتها العين صفُّ مداري

أو قول عليّ بن العباس الرومي

سقي الله قصراً بالرصافة شاقني بأعلاه قصرى الدلال رصافي
أشار بقضبان من الدر قمت يواقيتَ حمراً فاستباح عفافى

أو قول عبد الله بن المعتز

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهنّ عقيق

كان ذلك أحب اليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرىء القيس وان كان تشبيهه أشد اصابة .. وفى قول الطائى أبي تمام

بسطت اليك بنانةً أسروعا تصفُ الفراقَ ومقلة ينبوعا

وقرب هذا عنده وهو مدح من قول حسان في الهجو

وأمك سوداء نوبيةٌ كأن أناملها الحنظب

اذا كان جميعاً من خشاش الأرض • فأما قول امرئ القيس أو مساويك أسحل فجار مجرى غيره من تشبيهاتهم لانهم يصفونها بالعنم والأقلام وما أشبه ذلك والبنان قريبة الشبه من اعواد المساويك في القدر والاستواء والاملاس الا ان الأول على كراهته أشبه بها والاسحل شجر الخيطا • وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضاً

كأن شقائقَ النعمان فيه ثيابٌ قد رَوين من الدماء

فهذا وان كان تشبيهاً مصيباً فان فيه بشاعة ذكر الدماء ولو قال من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب الى الانس وكذلك صفتهم الخمر في حبابها بساخ الشجاع وما جرى هذا المجري من التشبيه فانه وان كان مصيباً لعين الشبه فانه غير طيب في النفس ولا مستقر على القلب • ومن ذلك قول أبي عون الكاتب

تلاعبها كفُّ المزاج محبةً لها وليجرى ذاتَ بينهما الانسُ

فتزبدُ من تيهٍ عليها كأنها غريرة خدر قد تخبطها المسُّ

فلو ان في هذا كل بديع لكان مقيتاً بشعاً ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس • • وكأني أري بعض من لا يحسن الا الاعتراض بلا حجة قد نعي على هـذا المذهب وقال رد على امرئ القيس ولم أفعل ولكني بينت ان طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد خولفت الى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله • وقد عاب الأصمعي بين يدى الرشيد قول النابغة

نظرتْ اليك بحاجةٍ لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العوّد

على انه تشبيه لا يلحق ولا يشق غبار صاحبه ولم يجد فيه المطعن الاّ بذكر السقيم فانه رغب عن تشبيه المحبوبة به وفضل عليه قول عدى بن الرقاع العاملي

وكأنها وسطَ النساء أعارها عينيه أحورُ من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

وأجرى الناس هذا المجري قول صريع الغواني على انه لم يقع لأحد مثله وهو

فغطت بأيديها ثمار نحورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

فهذا تشبيه مصيب جداً الا انهم عابوه بما بينت وانما أشار الى قول النابغة

يخططن بالعيدان في كل منزل ويخبأن رمان الثدي النواهد

ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه كما يطن ذباب الروضة الغرد

فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده

باب الاشارة

والاشارة من غرائب الشعر وملحه وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمي وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه • فمن ذلك قول زهير

فاني لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء[1]

فقد أشار له بقبيح ما كان يصنع لو لقيه هذا عند قدامة أفضل بيت في الاشارة •• وقول الآخر

جعلت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذا النوع من الشعر هو الوحي عندهم •• وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحاق بن ابراهيم الموصلي

جعلنا السيف بين الخد منه وبين سواد لمته عذارا

(١) ن لكان لكل منديه لقاء

فأشار الى هيئة الضربة التى أصابه بها دون ذكرها اشارة لطيفة دلت على كيفيتها وانما وصف انهم ضربوا عنقه ويروى بين الجيد .. ومثله قول الآخر

ويوم يبيلُ النساء الدماء   جعلتَ رداءك فيه خمارا

يريد بالرداء الحسام كما قال متمم بن نويرة

لقد كفن المنهالُ تحت ردائه   فتى غيرَ مبطان العشياتِ أروعا

وقوله انه جعله خماراً أى قنّعت به الفرسان وأشار بقوله ـ يبيل النساء الدماء ـ الى وضع الحوامل من شدة الفزع .. ومما جاء من الاشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً ـ جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط ـ فانما أشار الى تشبيه لونه لان الماء غلب عليه فصار كلون الذئب .. ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وقد قال كعب بن سعد الغنوى

أخى ما أخي لا فاحشٌ عند بيته   ولا ورعٌ عند اللقاء هيوبُ

وأما الايماء فكقول الله عزوجل ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ فأومأ اليه وترك التفسير معه .. وقال كثير

تجافيتِ عنى حين لا لىَ حيلة   وخلفتِ ما خلفتِ بين الجوانح

فقوله ـ وخلفت ما خلفت ـ ايماء مليح .. ومثله قول ابن ذريح

أقول اذا نفسى من الوجدأصعدت   بها زفرة تعتادنى هي ما هيا

ومن أنواعها التعريض كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم   ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا

فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبى بكر رضى الله عنهما وقيل برسول الله صلى الله عليه وسلم تعريض مدح ثم قال

يمشون مشيَ الجمال الزهر يعصمهم   ضربٌ اذا عرّد السودُ التنابيل

فقيل انه عرض في هذا البيت بالأنصار فغضبت الأنصار وقال المهاجرون لم تمدحنا اذ

ذممهم حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها

مَن سره كرمُ الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصار

ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الأسدي لبشر بن مروان يمدحه و يعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يدى نصيب الشاعر مولاه

كأن التاجَ تاجَ بني هرقل جلوه لأعظم الأعياد عيدا

يصافح خدَّ بشرٍ حين يمسي اذا الظلماء باشرت الخدودا

فهذا من خفي التعريض لانه أوهم السامع انه انما أراد المبالغة بذكر الظلماء لا سيما وقد قال ـ حين يمسي ـ وانما أراد الكلف هكذا حكت الرواة ٠٠ ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ أي الذي كان يقال له هذا أو يقوله وهو أبو جهل لانه قال ـ ما بين جبليها (يعني مكة) أعز مني ولا أكرم ـ وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به ٠٠ ومن أنواعها التلويح كقول المجنون قيس بن معاذ العامري

لقد كنتُ أعلو حبَّ ليلى فلم يزل بي النقضُ والابرامُ حتى علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً واياه قصد أبو الطيب بعد ان قلبه ظهراً لبطن فقال

كتمتُ حبك حتى منك تكرمة ثم استوى فيك اسراري واعلاني

لانه زاد حتى فاض عن جسدي فصار سقمي به في جسم كتماني

الاَّ انه أخفاه وعقده كما ترى حتى صار أحجية يتلاقاها الناس ٠ ومن أجود ما وقع في هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل

تقاعس حتي قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذي يرعي النجومَ بآيب

ـ الذي يرعي النجوم ـ يريد به الصبح أقامه مقام الراعي الذي يغدو فيذهب بالابل والماشية فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة ٠٠ وأما من قال ان الذي يرعى

النجوم انما هو الشاعر الذى شكي السهر وطول الليل فليس على شيء ٠٠ وزعم قوم ان الآيب لا يكون إلاّ بالليل خاصة ذكره عبد الكريم ٠٠ ومن أنواع الاشارات الكناية والتمثيل كما قال ابن مقبل وكان جافياً في الدين يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم فقيل له مرة في ذلك فقال

وما لى لا أبكى الديارَ وأهلها   وقد رادها روّاد عكٍّ وحميرا

وجاء قطا الأحباب من كل جانب   فوقّع فى اعطاننا ثم طيرا

فكنى عما أحدثه الاسلام ومثل كما ترى ٠٠ ومن أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت

عقلت لها من زوجها عدد الحصى   مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

يريد اني لم أعطها عقلا ولا قوداً بزوجها إلاّ الهم الذي يدعوها الى عد الحصى وأصله من قول امرئ القيس

ظللت ردائى فوق رأسي قاعداً   أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة

قرارتها كسرى وفى جنباتها   مهىً تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

يقول ان حد الخمر من صور هذه الفوارس التى فى الكؤوس الى التراقى والنحور وزيد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب الى فوق رؤوسها ويجوز أن يكون انتهاء الحباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والأول أملح وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس وأرى والله أعلم انما نحا ق على المعنى من قول امريء القيس

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه   ووافى بماء غير طرق ولا كدر

ويروى — ووفوا — وإياه أردت ويروى — استظلوا — من الظل مكان استطابوا جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب فتسلق الحسن عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكؤوس إلاّ انها سرقة ظريفة مليحة ولم يكن أبو نواس

يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه ٠٠وأصل الرمز الكلام الخفى الذى لا يكاد يفهم ثم استعمل حتى صار الاشارة ٠٠ وقال الفراء الرمز بالشفتين خاصة ومن الاشارات اللمحة كقول أبي نواس يصف يوما مطيراً

وشمسه حرة مخدرة ليس لها في سمائها نور

فقوله حرة يدل على ما أراد فى باقى البيت اذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء ولذلك جعلها مخدرة وشأن القيان والمملوكات التبذل والتبرج وأما زعم من زعم ان قوله حرة انما يريد خلوصها كما تقول هذا العلق من حر المتاع فخطأ لان الشاعر قد قال ليس لها فى سمائها نور فأى خلوص هناك وكذلك قول حسان ويكون أيضا تتبيعا

أولادُ جفنةَ حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يريد انهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر عز ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع ٠٠ ومن أخفى الاشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب كقول ذي الرمة يصف عين الانسان

وأصغر من قعبِ الوليد ترى به بيوتا مبناة وأودية قفرا

فالباء فى به للالصاق كما تقول لمسته بيدى أى ألصقتها به وجعلتها آلة اللمس والسامع يتوهمها بمعنى فى وذلك ممتنع لا يكون والأول حسن غير ممتنع ٠٠ ومثله قول أبي المقدام

وغلام رأيته صار كلبا ثم من بعد ذاك صار غزالا

فقوله صار انما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل ﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ﴾ ومستقبله يصور وقد قيل يصير وهي لغة قليلة وليس صار التي هي من اخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول ٠٠ واشتقاق اللغز من الغز اليربوع ولغز اذا حفر لنفسه مستقيما ثم أخذ يمنة و يسرة يورى بذلك و يعمى على طالبه ٠٠ ومن الاشارات اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه وان كان على غير وجهه قال الله تعالى ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ والى هذا ذهب الحذاق فى تفسير قول الشاعر

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نا وخيرُ الحديث ما كان لحنا

ويسميه الناس فى وقتنا هذا المحاجاة لدلالة الحجا عليه ٠٠ وذلك نحو قول الشاعر

خلوا على الناقة الحمراء أرحلكم والبازلَ الأصهبَ المعقولَ فاصطنعوا
ان الذئابَ قد اخضرت براثنها والناسُ كلهم بكرٌ اذا شبعوا

أراد ـ بالناقة الحمراء ـ الدهناء ـ وبالجمل الأصهب ـ الصمان ـ وبالذئاب ـ الاعداء يقول قد اخضرت أقدامهم من المشى فى الكلأ والخصب والناس كلهم اذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم ٠٠ ومثل ذلك قول مهلهل لما غدره عبداه وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات وطلب الثارات فأرادا قتله فقال أوصيكما أن ترويا عني بيت شعر قالا وما هو قال

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فلما زعما أنه مات قيل لهما هل أوصي بشيء قالا نعم وأنشدا البيت المتقدم فقالت ابنته عليكم بالعبدين فانما قال أبي

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا بالفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما لا يبرحُ العبدان حتى يقتلا

فاستقروا العبدين فأقرا انهما قتلاه ورويت هذه الحكاية لمرقش ٠٠ وسبيل المحاجاة ان تكون كالتعريض والكناية وكل لغز داخل في الأحاجي وقد حاجى شيخنا أبوعبد الله بعض تلاميذه فقال له

أحاجيك عباد كزينب في الورى ولم تؤت الا من حميم وصاحب

فأجابه التلميذ بأن قال

سأكتم حتى ما تحس مدامعي بما انهل منها من دموع سواكب

فكان معكوس قول أبي عبد الله ـ عباد كزينب في الورى ـ سرك ذائع فقال الآخر ـ سأكتم ـ فأجابه على الظاهر اجابة حسنة ومعكوس سأكتم ـ منك أتيت ـ فكأنه قابل به قول الشيخ ـ ولم تؤت الا من صديق وصاحب ـ وهذا كله مليح ٠٠ ومنها التعمية وهذا مَثلٌ للطير وما شاكله وكقول أبي نواس

* واسم عليه خبر الصفا *

وما أشبهه وهو معنى مشهور .. ومن الاشارات مصحوبة وهي عند أكثرهم معيبة كأنها حشو واستعانة على الكلام نحو قول أبي نواس

قال ابراهيم بالا مال كذا غرباً وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ولكن شطارة وعبثاً بالكلام وان شئت قلت بيانا وتنقيفا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص وكيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابع يديه ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلاما منه من الحشو والتكلف .. وقالوا مبلغ الاشارة أبلغ من مبلغ الصوت فهذا باب تتقدم الاشارة فيه الصوت وقيل حسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان جاء بذلك الرمانى نصا وقاله الجاحظ من قبل وأخذ على بعض الشعراء فى قوله

أشارت بطرف العين خيفة أهلها اشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

اذ كان هذا كله مما لا تحمله اشارة خائف مذعور .. ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى الكلاع فقال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان مات فهذا وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى السيف ثم قال

معاوية الخليفة لا نمارى فان يهلك فسائسنا يزيد

فمن غلب الشقاء عليه جهلا تحكم فى مفارقه الحديد

وقد جاء أبو نواس باشارات أخر لم تجر العادة بمثلها .. وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة هل تصنع شعراً لا قافية له قال نعم وصنع من فوره ارتجالا

ولقد قلت للمليحة قولى من بعيد لمن يحبك اشارة قبلة

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولى اشارة لا لا

فتنفست ساعة ثم انى قلت للبغل عند ذلك اشارة امش

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه واعطاه الأمين صلة شريفة ‥ ومن الاشارات الحذف نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته

ان شئت أشرفنا جميعاً فدعا الله كل جهده فاسمعا
بالخير خيراً وان شرا فا ا ولا أريد الشر الا أن تاا

كذا رواه أبو زيد الأنصاري وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش وقال لان الرجز يدل عليه الا أن رواية النحويين وان شرا فا والا إن أنى قالوا يريد وان شرا فشر والا أن تشائي ‥ وأنشدوا

ثم تنادوا بعد تلك الضوضا منهم بهات وهل ويايا
نادى مناد منهم الاتا قالوا جميعاً كلهم بلى فا

وأنشد الفراء * قلت لها قومي فقالت قاف *

يريد قد قمت ‥ ومن أنواعها التورية كقول علية بنت المهدي في طل الخادم

أيا سرحة البستان طال تشوقي فهل لى الى ظل اليك سبيل
متى يشتفي من ليس يرجى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخول

فورت بظل عن طل وقد كانت تجد به فمنعه الرشيد من دخول القصر ونهاها عن ذكره فسمعها مرة تقرأ ﴿ فان لم يصبها وابل ﴾ فانهى عنه أمير المؤمنين ﴿ أي فطل ﴾ فقال ولا كل هذا ‥ وأما التورية في أشعار العرب فانما هي كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو مهرة أو ماشا كل ذلك كقول المسيب بن علس

دعي شجرَ الأرض داعيهم لينصره السدرَ والأثأب

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون في الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر اذا جاء بجيش عظيم ‥ وكان عمر رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء قد حظر على الشعراء ذكر النساء فقال حميد بن ثور الهلالى

تجرم أهلوها لان كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب اليهم علمته سوى أنني قد قلت ياسرحة اسلمي

بلي فاسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلمي

•• وقال أيضاً في مثل ذلك

أبي الله الا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه تروق

فيا طيب رياها ويا برد ظلها اذا حان من شمس النهار شروق

فهل أنا ان علات نفسي بسرحة من السرح مسدود علي طريق

حمي ظلها شكس الخليقة خائف عليها غرام الطائفين شفيق

يريد بذلك بعلها أو ذا محرمها

فلا الظل من برد الضحي نستطيعه ولا الفيء منها في العشي نذوق

•• وقال عنترة العبسي

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وانما ذكر امرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها علي نفسه ••

وكذلك قوله * والشاة ممكنة لمن هو مرتمي *

والعرب تجعل المهاة شاة لانها عندهم ضائنة الظباء ولذلك يسمونها نعجة وعلي هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله عز وجل في اخباره عن خصم داود عليه السلام •• ﴿ إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ نعجة وليَ نعجة واحدة ﴾ كناية بالنعجة عن المرأة وقال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

كناية بالبيضة عن المرأة •• وروي ابن قتيبة أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدي لك من أخي ثقة ازاري

قلائصنا هداك الله انا شغلنا عنكم زمن الحصار

فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف التجار

يمقلهن جعد شيظمي وبئس معقل الذود الظؤار

وانما كني بالقلاص وهي النوق الشواب عن النساء وعرض برجل يقال له جعدة كان يخالف الى المغيبات من النساء ففهم عمر ما أراد وجلد جعدة ونفاه .. ومن الكناية اشتقاق الكنية لانك تكنى عن الرجل بالأبوة فتقول أبو فلان باسم ابنه أو ما تعورف في مثله أوما اختار لنفسه تعظيما له وتفخيما وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .. قال المبرد وغيره الكناية على ثلاثة أوجه هذا الذي ذكرته آنفاً أحدها والثاني التعمية والتغطية التي تقدم شرحها والثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس كقول الله عز وجل ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ فانها فيما ذكر كناية عن الفروج ومثله في القرآن وفي كلام الفصحاء كثير

باب التتبيع

ومن أنواع الاشارة التتبيع وقوم يسمونه التجاوز وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه وأول من أشار الى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله - يضحي فتيت المسك - تتبيع وقوله - نؤم الضحى - تتبيع ثان وقوله - لم تنتطق عن تفضل - تتبيع ثالث وانما أراد أن يصفها بالترفه والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة وانها شريفة مكفية المؤنة فجاءها بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الاخطل يصف نساء

لا يصطلين دخان النار شاتية الا بعود يلنجوج على فحم

فذكر انهن ذوات نعمة وشرف حال .. وأين من هذا قول النابغة في معناه وقصده

ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت ولا تبيع بجنبي نخلة البرما

كأنها ان لم تكن سوداء المقبين بياعة للبرم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة .. وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقة فيها فذكر القرط اذ كان مما يتبع وصف العنق ولم يسبقه الى ذلك أحد من الشعراء

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها ومن يتعلق حيث علق يفرق

فجعل رعاثها يخاف ويفرق وعذره يبعد مسقطه فتناول هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة فأوضحه بقوله

بعيدة مهوى القرطِ اما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله

والقرط في حرة الذفرى معلقة تباعد الحبل منه فهو يضطرب

وقال طفيل الغنوي يصف فرساً ويروى لغيره

هَريتٌ قصير عذر اللجام أسيل طويل عـذار الرسن

فلو ترك الهرت والاسالة لكان من هذا الباب لكنه الآن لم يقصد التتبيع وانما جاء به كالتوكيد لما قبله هذه رواية ابن قتيبة فأما رواية النحاس عن شيوخه عن الاصمعي فانها

وأحوي قصير عذار اللجام وهوٌ طويل عذار الرسن

وهذا تتبيع لاشك فيه .. وأما قول الأخطل

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها فجار وأما الحجل منها فما يجرى

ففيه التتبيع في ثلاثة مواضع وهي صفة الخد بالسهولة وصفة الخصر بالرقة والساق بالغلظ .. ومثله قول الاعشى

صفر الوشاح وملءُ الدرع خرعبة (١) اذا تأتي يكاد الخصر ينخزل

فقوله ـ صفر الوشاح ـ دال على رقة الخصر ـ وملءُ الدرع ـ دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة وكل ما وقع من قولهم طويل النجاد وكثير الرماد وما يشاكلهما فهو من هذا الباب .. وقالت ليلى الاخيلية

ومخرق عنـه القميص تخاله وسطَ البيوت من الحياء سقيما

(١) ن بهكنة

أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله وقيل انما ذلك لعظم مناكبه وهم يحمدون ذلك ٠٠ ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر

جنى يلف نخيلهم وبيوتهم لهب كناصية الحصان الأشقر

أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة هكذا الرواية الصحيحة وبهذا التفسير فسره جلة العلماء وهم الأكثر وقال آخرون بل انما أغراه باحراق النخل والبيوت ففعل ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب ٠٠ ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل

سوى مساحيهن تقطيط الحقق

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها أنفسها مساحي يريد العظم ٠٠ ومثله قول ابن دريد

يدير اعليطين في ململومة الى لموحين بالحاظ اللاي

اراد أن يشبه أذن الفرس بالاعليط وهو وعاء ثمر المرخ فجعل الأذن نفسها اعليطاً كما فعل رؤبة في المساحي ومثله كثير ٠٠ وما يدخل في باب التجاوز قول النابغة

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وانما أراد السلوقي مع ما فيه من الجسد وما تحت لا بـه زعموا من السرج والفرس فعدا عن الجميع وجاء بما يتبعه ويستغنى به عن ذكره اذا كانت لا تقد السلوقي الا أن تقد ما فيه ولا تنتهي الى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته الا بعد أن تأتي على السرج والفرس على أن من الناس من رد يوقدن على الخيل ٠٠ والى مثل هذا الافراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذي شبه به نفسه فقال

تظل تحفر عنه ان ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي

وروى الحذاق ـ القينين والهادي ـ وهو واضح في المعنى ومن التتبيع قول زهير

وملجمنا ما أن ينـال قذاله ولا قدماه الأرض إلا أنامله

فاشار الى طول عنقه وقوائمه بذكر تطاول الملجم اشارة عجيبة وتبعه ابن مقبل فقال

تعطيت أخليه الإلجام فبذني وشخصي يسامي شخصه وهو طائله

وانما تناول زهير هذا المعنى من أبي دؤاد الايادي ويروى لعبد بن ثعلبة الأسدي حيث يقول

لا يكاد الطويل يبلغ منه حيث يثنى على المقص العذار

وأنا أقول ان بيت الذبياني في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص

ماطوا الرعاث بنهد لو يزلّ به لا ندق دون تلاقي الابة القرط

•• وقال ابن دريد وأتى بديع مليح

قريب مابين القطاة والمطا بعيدُ ما بين القذال والصلا

فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق •• وقال بعض الشعراء فملح وظرف

فمايك فيّ من عيب فاني جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

أشار الى كثرة غشيان الضيوف حتى أن الكلب ما أنس جبن أن ينبح فضلا عما سوى ذلك وهزال فصيله دال على أن الألبان مبذولة للضيفان فقل ما يبقى له منها

•• وقد قال امرؤ القيس * سمان الكلاب عجاف الفصال *

فعجف الفصال للعلة التي قدمت وسمن الكلاب لكثرة ما ينحرون ويذبحون •• ومن أعجب التتبيع قوله

أمرخُ خيامهم أم عُشرٌ أم القلبُ في إثرهم منحدر

يقول انزلوا نجداً الذى من نباته المرخ أم الغور الذى من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامهم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذى ينزلون به هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها وانما يتعاورون ذكر الوتد اللهم الا أن تكون الاعمدة وما شا كلها تنتخب وتحمل وانما المطرح ما جعل فوقها وسد به خصاصها فدفع الحر والبرد فنعم ولا أشك أن هذا هو الصحيح يدل عليه قول جرير يذكر منزلا

فلا عهدَ الا أن تذكر أوترى ثماماً حوالىْ منصب الخيم باليا

فذكر الثمام مطرحاً •• وقال أبو دؤاد

عهدت لها منزلا دائراً   وآلاً علي الماء يحملن آلا

فالآل الأول أعمدة الأخبية والآل الثاني الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر هكذا فسروه ومنهم قدامة والذي قال الحذاق يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة وقوله ـ علي الماء ـ يعني الماء العد الذي هو المحضر يرجعون اليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء وقد أخبرك الشاعر علي القول الأول انهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت •• ومن أحسن ما وقع في هذا الباب من التتبيع قول حسان بن ثابت

أولاد جفنة حول قبر أبيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقوله ـ حول قبر أبيهم ـ تتبيع مليح أشار به الى أنهم ملوك مقيمون لا يخافون فينتقلون من مكان الى مكان وأنهم في مستقر عز وأرض خصب لا تجدب أراد الشام وان ذلك دأبهم من القدم فهم حول قبر أبيهم وهذا كما قال ابن مقبل

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا   لا نستجير ومن يحلل بنا يُجر

ومن هذا الباب أيضاً قول عنترة بن شداد العبسي

بطل كأن ثيابه في سرحة   يحذى نعال السبت ليس بتوءم

أراد أنه ملك لأن نعال السبت لا يحتذيها عندهم الا كل شريف يدلك علي ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلي الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما

الى نفر لا يخصفون نعالهم   ولا يلبسون السبت مالم يخصر

•• ومن التتبيع قول الحطيئة

لعمرك ما قرادُ بني كليب   اذا نزع القرادُ بمستطاع

وذلك أن الفحل اذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فلذ ذلك وسكن اليه ولان لصاحبه حتى يلقي الخطام في رأسه فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبائهم

فيقدر عليهم . . وأما قول ذى الأصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي　　أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

فيجوز أن يكون أراد اضربك على الرأس الذى تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الاعراب فيكون من هذا الباب و يجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ بثأرك وتكون حيث ههنا مثلها فى قول زهير　　* لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم *

فيخرج عن هذا الباب . . والى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله

فيا بن الطاعنين بكل لدن　　مواضع يشتكي البطل السعالا

أراد الصدر أو النحر . . و بيت البحتري فى صفة الذئب و يروى لعمارة بن عقيل

فأوجرته أخرى فأظللت ريشها　　بحيث يكون اللب والرعب والحقد

خير من بيت أبي الطيب وأجمع للصفة وقوله ـ أظللت ـ بمعنى صيرت و يروى بالصاد

باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى قول زياد الأعجم وقيل الصلتان العبدي يرثى المغيرة بن المهلب

فانع المغيرة للمغيرة أذبدت　　شعواء مشعلة كنبيح النابح

ـ فالمغيرة الأولى ـ رجل والمغيرة الثانية الفرس وهي ثانية الخيل التي تغير . . وقال الكتاب قال الله تعالى ﴿ وأسلمت مع سليمان ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم انصرفوا صرف قلوبهم ﴾ وفى كلام النبي صلى الله عليه وسلم سليم سالمها الله وغفار غفر الله لها عصت الله ورسوله وان كان من غير هذا الباب . . وأنشد سيبويه

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة　　قليل بها الأصوات إلا بغامها

ـ البلدة الأولى ـ صدر الناقة والثانية المكان من الأرض . . ومثله أنشد ثعلب

وثنيـة جاوزتها بثنيـة   حرف يعارضها ثنى أدهم

ـ فالثنية ـ الأولى عقبة والثانية ناقة ـ والثنى الأدهم ـ الظل استعار له هذا الاسم ٠٠ ويروي ـ جيب أدهم ـ ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء ٠ عود على عود على عود خلق ٠ وقال الأول الشيخ والثاني الجمل المسن والثالث الطريق القويم قد ذلل بكثرة الوطء عليه ٠٠ ويجري هذا المجرى قول الأودى

وأقطع الهوجل مستأنساً   بهوجل عيرانة عيطموس

أنشده قدامة على انه طباق وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب وقد جاء رد الأخفش علي بن سليمان عليه في ذلك وانكاره على رأى الخليل والأصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي ٠٠ وعلى القول الأول قال أبو نواس في ابن الربيع

عباس عباس اذا حضر الوغى   والفضل فضل والربيع ربيع

٠٠ وقال أبو تمام

يا ابنا بالرقتين وأهلنا   سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

ـ فالعهد ـ الأول المسقى هو الوقت ـ والعهد ـ الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ماله عهد ـ والعهد ـ الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهدت اليه أى وصاني و وصيته ـ والعهد ـ الرابع المطر وجمعه عهاد وقيل أراد مطراً بعد مطر بعد مطر وفسر ذلك بقوله

سحاب متى يسحب على النبت ذيله   فلا رجل ينبو عليه ولا جعد

واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم ٠٠ ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومي

للسود في السود آثار تركن بها   لمعاً من البيض تثنى أعين البيض

ـ فالسود ـ الأول الليالي ـ والسود ـ الآخر شعرات الرأس واللحية ـ والبيض ـ الأول الشيبات ـ والبيض ـ الآخر النساء ٠٠ وزعم الحاتمي ان أفضل تجنيس وقع لمحدث قول عبد الله بن طاهر

واني للثغر المخيف لكالئ   وللثغر يجرى ظلمه لرشوف

فهذا وما شاكله التجنيس المحقق والجرجاني يسميه المستوفى ٠٠ ويقرب منه وليس محضاً قول ابن الرومي

له نائل مازال طالبَ طالبٍ ومرتادَ مرتادٍ وخاطبَ خاطبٍ

أدخل الترديد والترديد نوع من المجانسة يفرد له باب ان شاء الله تعالى •• والتجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع الى الاشتقاق أو لم يرجع نحو قول أحد بنى عبس

وذلكم أن ذلَّ الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا

فاتفقت الأنفُ في الأنف في جميع حروفها دون البناء ورجعا الى أصل واحد هذا عند قدامة أفضل تجنيس •• وقع مثله في الاشتقاق قول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق قال وهو أشهر أوصافه

وما زال معقولا عِقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن الخير حابسُ

وقال جرير أيضاً وفيه المضارعة والمماثلة والاشتقاق وأنشده ابن المعتز

تقاعس حتى فاته المجد فقعسٌ وأعيا بنو أعيا وضلَّ المضالُ

وقال خلف بن خليفة الأقطع

فان يشغلونا عن أذانٍ فاننا شغلنا وليداً عن غناء الولائد

يعني الوليد بن يزيد بن عبد الملك •• وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق

بحوافرٍ حفرٍ وصلبٍ صلَّبٍ وأشاعر شعر وخلق أخلق

فجنس بثلاث لفظات •• ومثله قول البحتري

صدق الغراب لقد رأيت شموسهم بالأمس تغرب عن جوانب غرَّب

ويقرب من هذا النوع قول ذى الرمة * واسترجعت هامها الهيم الشماميم * فالهيم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق وربما جعلها بعض الناس من أصل واحد وكذلك قوله

كأن البرى والعاج عيجت متونها على عُشَرٍ نهَّى به السيلَ أبطح

قال ابن المعتز- نهي به السيل -أي بلغ به اليه فهو أنعم له وأكثر لدونة وأنا أقول معناه

ترك به السيل نهبا وهو الغدير وذلك أتم لما أراد ابن المعتز الهـم إلاّ أن يكون معناه جعل نهايته هناك فانه أتم وأجود أي لم يجد منصرفاً فأقام ٠٠ وقال البحتري

وذكرنياك والذكرى عناء مشابهُ منك بينة الشكول

نسيم الروض في ريح شمالٍ وصوب المزن في راح شمول

٠٠ وقال أبو تمام

مليتك الأحسابُ أيّ حياة وحيا أزمة وحيَّة واد

ويقرب من هـذا النوع نوع يسمونه المضارعة وهو على ضروب كثيرة ٠٠ منها أن تزيد الحروف وتنقص نحو قول أبي تمام والجرجاني يسميه التجنيس الناقص

* يمدون من أيد عواص عواصم *

وهما سواء لولا الميم الزائدة ٠٠ وكذلك قوله ـ قواض قواضب ـ سواء لولا الباء ومع ذلك فان الباء والميم أختان ٠٠ ومثله قول البحتري

فيالك من حزم وعزم طواهما جديد البلى تحت الصفا والصفائح

٠٠ ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول الطائي

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

فقوله ـ الصفائح لا سود الصحائف ـ هو الذي أردت ٠٠ وقال البحتري

شواجر أرماح تقطع بينهم شواجرَ أرحام ملومٌ قطوعها

ومثله قول أبي الطيب

ممنعة منعمة رداحٌ يكلف لفظها الطيرَ الوقوعا

وحكي ابن دريد أن اعرابياً شتم رجلا فقال لمج أمه فقدم الى السلطان فقال انما قلت ملج أمه فدرأ عنه ٠٠ قال أبو بكر ـ لمجها ـ أتاها ـ وملجها ـ رضعها وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف وفى كلام العرب منه كثير غير متكلف والمحدثون انما تكلفوه فمن المعجز قول الله عز وجل ﴿ وهمْ يَنهونَ عنه ويَنأونَ عنه ﴾ ٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار وقيل بل سأله عن نسبه فقال

أني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله ألأم لجدك واضرع لخدك وأفل لحدك وأقل لعدك وأبعد لك عن الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والكزم والقزم ـ الأيمة ـ الخلو من النساء ـ والعيمة ـ شهوة اللبن ـ والغيمة ـ العطش ـ والكزم ـ قصر البنان خلقة أو من بخل و يقال الكزم شدة الأكل ـ والقزم ـ شهوة اللحم وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ خاصة وأما المشاكلة في المعنى فننبه عليها في أماكنها ان شاء الله تعالى ٠٠ وقال ابن هرمة

وأطعن للقرن يوم الوغى وأطعم في الزمن الماحل

٠٠ وقال أبو تمام

رب خفض تحت الثرى وغناء من عناء ونضرة من شحوب

وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤية الهذلي

رأى شخص مسعود بن بشر بكفه حديد حديث بالوقيعة معتد

و بنى المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم

فان حلوا فليس لهم مقر وان رحلوا فليس لهم مفر

٠٠ وقال البحتري يمدح المعتز بالله

ولم يكن المعتز بالله ان سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

فجاء بتصحيف مستوف ٠٠ وقال

ما يعيب في هذا الغزال الغرير من فتون مستجلب من فتور

٠٠ وقال غيره وأظنه قابوس بن وشمكير

ان المكارم في المكا ره والغنائم في المغارم

وقال بعض العلماء ربما اسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر ٠٠ وقال آخر خالف الوعد خالق الوغد ٠٠ وقال ابن المعتز

لئن نزهت سمعك عن كلامي لقد نزهت في خديك طرفي
له وجه به يُصبي ويُضني ومبتسم به يشفي ويشفي

وقال آخر أيضاً في مثل ذلك وفيه تغيير كثير بتصحيف

فمن داعٍ ومن راعٍ ومن مطرٍ ومن مطرق
وكلٌّ خاشعُ الطرفِ لديه خاضعُ المنطق

أعني بالتغيير ضاد خاضع ليست مناسبة لشين خاشع فيكون تصحيفاً وانما التصحيف فيما تناسب من الخط ومن هذا قوله داع وراع لبعد ما بينهما في اللفظ والهجاء .. ومن الاسقاط الذي لايظهر الا في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ومن يسرِ فوقَ الأرضِ يطلب غاية من المجد نسري فوق جمجمة النسر
ومن يختلف في العالمينَ نجاره فانا منَ العلياء نجرى على نجرِ

فبالوصل في النسر جانست به نسرى وصار القاء النون كسرة الهاء من جمجمة كالتنوين في الهاء وكذلك صلة نجر جانست به نجري فاذا صرت الي الخط زالت المجانسة وقد أحدث المولدون تجانساً منفصلا يظهر أيضاً في الخط كقول أبي تمام

رفدوكَ في يوم الكُلاَب وشققوا فيهِ المزاد بجحفلٍ كاللاب

الكاف للتشبيه واللاب جمع لابة وهي الحرة ذات الحجارة السود .. هذا أصح الروايتين وأما قوله بجحفل كالاًلب أي كان به كلباً فليس بشيء وانما القول ماقدمناه وليس بتجانس صحيح على ماشرطه المتقدمون ولكنه استظرف فأدخل في هذا الباب تملحاً .. وأكثر من يستعمله الميكالي وقابوس وأبو الفتح البستي وأصحابهم فمن ذلك قوله

عارضاه بما جنى عارضاه أو دعاني أمت بما أودعاني

فقوله ـ أودعاني ـ انما هي أو التي للعطف نسق بها دعاني وهو أمر اثنين من دع على قوله عارضاه الذي في أول البيت وقوله ـ أودعاني ـ الذي في القافية فعل ماض من اثنين يقول في الواحد أودع يودع من الوديعة .. وقال أيضاً

وان أقرَّ على رقٍّ أناملهُ أقر بالرقِ كتابُ الأنام له

وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتي كالإيطاء وليس بإيطاء الا في اللفظ مجازاً ولا بتجنيس الا كذلك . . قال عمر بن علي المطوعي

أميرٌ كله كرمٌ سعدنا بأخذِ المجدِ منه واقتباسه
يحاكي النيلَ حين يُسام نَيلا ويحكي باسلاً في وقت باسه

يناسب نُجاء القافيتان كما ترى في اللفظ وليس بينهما في الخط الا مجاورة الحروف وهذا أسهل معنى لمن حاوله وأقرب شيءٍ ممن تناوله من أبواب الفراغ وقلة الفائدة وهو مما لايشك في تكلفه وقدأ كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نثرهم ونظمهم حتي بردوا بل تدركوا فأين هذا العمل من قول القائل وهو أبو فراس

سكرتُ من لحظه لامن مدامته ومالَ بالنومِ عن عيني تمايله
وما السلافُ دهتني بل سوالفه ولا الشَّمولُ زهتني بل شمائله
ألوي بصبري أصداغٌ لوين له وغلَّ صدريَ ما تحوي غلائله

فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه . . وقد يجيءُ التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي ترد فيها بعد

ماترى الساقي كشمسٍ طلعت تحمل المريخ في برجِ الحمل

فبهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه اذ كان برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ومظهراً لخفي محاسنه وحصل التجنيس فضلة على المعنى لأنه لو قال في وزن موضع الحمل أو النطح أو الكبش لكان كلاماً مستقيما فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً اليه مأخوذاً منه ما سامحت فيه القريحة وأعان عليه الطبع . . وقد يعد قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط كقوله تعالى ﴿ وهمْ يَحسبونَ أنهم يُحسنون صُنعاً ﴾ وهي مضارعة بعيدة لا يجب أن يعد مثلها . . واختلف الناس في قول الأعشى

ان تَسُدِ الحُوصَ فلم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامر

فقال الجرجاني علي بن عبد العزيز القاضي هو مجانسة لان أحدهما رجل والآخر قبيلة

وقال غيره بل معناهما واحد وأنا على خلاف رأى الجرجاني لان الشاعر قال بنى عابس وأضاف بنى اليه ولو قال سادعامراً يعنى القبيلة لكان تجنيساً غير مدفوع . . قال الجرجانى وأراه يعنى بيت الأعشى يخالف قول الآخر

قتلنا به خير الضبيعات كلها   ضبيعة قيس لا ضبيعة اضجما

لان كلتيهما قبيلتان فكأنه جمع بين رجلين متفقي الاسم انتهى كلامه وهو يشهد بما قلته فى بيت الأعشى اذا حققه من له ميز وتدبير . . وقد ذكروا تجنيساً مضافاً أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجانى

أيا قمرَ التمام أعنت ظالماً   عليَّ تطاولَ الليلِ التمام

فهذا عندهم وما جرى مجراه اذا اتصل كان تجنيساً واذا انفصل لم يكن تجنيسا وانما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال ليل التمام كما قال قمر التمام والرمانى سمي هذا النوع مزاوجاً ومثله عنده قول الآخر

حمتنى مياه الوفر منها مواردي   فلا تحمياني وردَ ماء المناقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى ﴿ يُخادعونَ اللهَ وهوَ خادعُهمْ ﴾ وقوله ﴿ مَنِ اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثلِ ما اعتدَى عليكم ﴾ وقوله ﴿ إنمـا نحنُ مستهزؤُن اللهُ يستهزئُ بهم ﴾ وكل هذه استعارات مجاز لان المراد المجازاة فزاوج بين اللفظين . . وكان الأصمعي يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا اذا كان من شكله يقول ليس بعربى خالص حكي ذلك ابن جنى . . وأما ابن المعتز فقال وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظةَ فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها قال والجنس أصل لكل شيء تتفرع منه أنواعه وتعود كلها اليه كالانسان هو جنس وأنواعه عربى ورومي وزنجى وأشباه ذلك ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب أعنى التجنيس يدلك على ذلك ما حكي عن رؤبة بن العجاج وابيه وذلك أنه قال له يوماً أنا أشعر منك قال وكيف تكون أشعر منى وأنا علمتك عطف الرجز قال وما عطف الرجز قال * عاصم ياعاصم لو اعتصم * قال يا أبت أنا شاعر ابن شاعر وأنت شاعر ابن معجم فغلبه فأنت ترى كيف سماه عطفاً ولم يسمه تجانساً اللهم الا أن يذهب

بالعطف الى معنى الالتفات فتم ٠٠ ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفري واسمه عامر ابن عمرو الأزدى وبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وطلت وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام

فاشربْ على الوردِ من وردية عتقت كأنها خدُّ ريم ريمَ فامتنعا

٠٠ وقال الفرزدق

ألم يأته أني تخللُ ناقتي بنعمانَ أطرافَ الأراكِ النواعم

وحقيقة المجانسة عند الرماني بالمناسبة بمعنى الاصل نحو قول أبي تمام

* في حده الحدُّ بين الجد واللعب *

قال لان معناهما جميعاً أبلغ وأما قولك قرب واقترب والطلوع والمطلع وما شاكل هذا فهو عنده من تصرف اللفظ ولا يعده تجنيساً ٠٠ ومن تصرف المعنى عنده قولك عين الميزان وعين الانسان وعين الماء ونحو ذلك ٠٠ ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك الضرب والمضاربة والاستضراب وما أشبه ذلك كل هذه الانواع عنده من باب التصرف وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ويظن أنه قد أتى بشيء من غرائب التجنيس ٠٠ وأما قول دعبل في امرأته سلمى

أحبك حباً لو تضمنه سلمى سميك ذاك الشاهق الراس

فقد جنس من غير ذكر جنس لان قوله سميك دال على مراده ٠٠ ومثله قول الآخر

ضيعني مثل اسمها الـ ـعام وداري مسترمه

أنشده الرماني ٠٠ وقال الآخر هو ابو تمام

اذ لا صدوق ولا كنود اسماهما كالمعنيين ولا النوار نوارا

المراد صدر البيت لاعجزه ٠٠ واذا دخل التجنيس نفيٌ عد طباقا وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيسا وسأفرد لها بابا ان شاء الله تعالي فيما بعدَ باب الترديد

تم الجزء الأول من كتاب العمدة

﴿ ويليه الجزء الثاني وأوله باب الترديد ﴾